الكليم

بمفاهيم الذكر الحكيم

دروس تمهيدية في العلوم القرآنية

الكتاب الأول

مفاهيم الذكر الحكيم

الشيخ علاء الدين عبد الزهراء الصبيحي النجفي

بسم الله الرحمن الرحيم

الكَلِيم

بمفاهيم الذّكر الحكِيم

دروس تمهيدية في العلوم القرآنية

الكتاب الاول

مفاهيم الذّكر الحكيم

الشيخ عماد الدين عبد الزهراء آل صبي نجفي

غفر الله له ولوالديه بمنه الكريم واحسانه القديم

نجف القرآن ونبأ نهضته



الكليم بمفاهيم القرآن الحكيم (ج١)

الشيخ علاء الدين عبدالزهراء آل صبي نجفي

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

المجتبى

للطباعة المحدودة

ايران - قم - ٠٠٩٨٩١٢٣٥١٢٠٣٣ +

E-mail: jafar_wa@yahoo.com

روي
عنه صلى الله عليه وآله
انه قال: تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة،
ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه
صدقة، وبذله لأهله قربة لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار
سُبُل الجنة، والأنس في الوحشة، والصاحب في الغربة،
والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء،
والقرب عند الغرباء، والزين عند الأخلاء، يرفع الله
به أقواما فيجعلهم في الخير قادة يقتدى بهم، وأئمة
في الخير تقتفى آثارهم، وترمق أعمالهم، وينتهى
إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها
تمسحهم، وفي صلاتها تستغفر لهم، حتى كل
رطب، ويابس يستغفر لهم، حتى الحيتان في
البحر، وهوامه، وسباع البر، وأنعامه، والسماء
ونجومها ،إن العلم حياة القلب من الجهل،
ومصابيح الأبصار في الظلم، وقوة
الأبدان من الضعف، يبلغ به
العبد منازل الأبرار،
ومجالس الملوك، والدرجات
العلى في الدنيا، والآخرة،
والفكر فيه يعدل
بالصيام، ومدارسته بالقيام، به يطاع الله،
وبه يعبد، وبه يعمل الخير، وبه توصل
الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام،
يلهمه السعداء ،
ويحرمه
الأشقياء

مقدمة التمهيد

(إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[1]

عندما انزل الله تعالى كتابه للناس جعل له تمهيدا يمهد لمواضيع كتابه، سطره في كتابه اسماه سبحانه بإسم (الذِّكرَ)، تفرقت آياته على مدى سور واجزاء واحزاب ليذكر فيه بعض ماسبق الدنيا، قال تعالى: (لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ)[2]، وذكر فيه ما كان وما يكون فيها على التحقيق، والغرض من ذكر هذه الحقائق للانسان لعلمه تعالى به، قال تعالى: (وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ)[3]. فقد اخبر تعالى عن الإنسان وما فيه من الصفات الذميمة، إلا من رحم الله من عباده المؤمنين، فإنه إذا أصابته شدة بعد نعمة، حصل له يأس وقنوط من الخير بالنسبة إلى المستقبل، وكفر

---

(١) الحجر: ١٠.

(٢) الزخرف: ١٠.

(٣) هود: ٩.

وجحود لماضي الحال، كأنه لم ير خيرا، ولم يَرْجُ بعد ذلك فرجا. وهكذا إن أصابته نعمة بعد نقمة يقول: ما بقي ينالني بعد هذا ضيم ولا سوء، فهو فرح بما في يده، بطر فخور على غيره، وفي إيراد صيغتي المبالغة في (لَيَئُوسٌ كَفُورٌ) ما يدلّ على أن الإنسان كثير اليأس، وكثير الجحد عند أن يسلبه الله بعض نعمه، فلا يرجو عودها، ولا يشكر ما قد سلف له منها. وفي التعبير بالذوق (وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً) ما يدل على أنه يكون منه ذلك عند سلب أدنى نعمة ينعم الله بها عليه، لأن الإذاقة والذوق: أقلّ ما يوجد به الطعم، والمعنى: أنه إن أذاق الله سبحانه العبد نعماءه من الصحة والسلامة، والغنى بعد أن كان في ضرّ من فقر أو مرض أو خوف، لم يقابل ذلك بما يليق به من الشكر لله سبحانه، بل يقول ذهبت المصائب التي ساءته من الضرّ والفقر والخوف والمرض عنه وزال أثرها، غير شاكر لله، ولا مثن عليه بنعمه.

وقال تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ)[١].

هذه طبيعة الإنسان من حيث هو ظالم متجرئ على المعاصي مقصر في حقوق ربه كفّار لانعم الله، لا يشكرها ولا يعترف بها. وقال تعالى: (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ)[٢]. خَلَق الإنسان من ماء مهين فإذا به يقْوى ويغترُّ، فيصبح شديد الخصومة والجدال لربه

---

(١) ابراهيم: ٣٤.

(٢) النحل: ٤.

في إنكار البعث، وغير ذلك، فالخصيم هو شديد الخصومة في نفي البعث قائلاً (مَن يُحيِ العظام وَهِيَ رَمِيمٌ). وقال تعالى: (وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا)[١]. والهدف من ذكر هذه الحقائق وغيرها للانسان لاجل ان يعرف الانسان كثير مما خفي عليه وعلاقة كل ذلك بالخالق سبحانه..

أهمية علوم القرآن

روي في الأثر عن سيد البشر صلى الله عليه وآله انه قال: إن أردتم عيش السعداء، وموت الشهداء، والنجاة يوم الحشر، والظل يوم الحرور، والهدى يوم الضلالة، فادرسوا القرآن، فانه كلام الرحمن، وحرز من الشيطان، ورجحان في الميزان.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال في وصف القرآن الكريم[٢]؛ ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقده، وبحراً لا يدرك قعره، ومنهاجاً لا يضل نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوءه، وفرقاناً لا يخمد برهانه، وتبياناً لا تهدم أركانه، وشفاء لا تخشى أسقامه، وعزاً لا تهزم أنصاره، وحقاً لا تخذل أعوانه، فهو معدن الإيمان وبحبوحته[٣]، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه،

---

(١) الكهف: ٥٤.

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٩٨.

(٣) بُحبوحة: وسَط الشَّيء.

وأثافي[١] الإسلام وبنيانه، وأودية الحق وغيطانه، وبحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون[٢]، ومناهل لا يغيضها الواردون، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وآكام[٣] لا يجوز عنها القاصدون، جعله الله رياً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاج لطرق الصلحاء، ودواء ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزاً لمن تولاه، وسلماً لمن دخله، وهدى لمن ائتم به، وعذراً لمن انتحله[٤]، وبرهانا لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاج به[٥]، وحاملاً لمن حمله، ومطية[٦] لمن أعمله، وآية لمن توسم[٧]، وجنة لمن استلام[٨]، وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى.

وروى في الكافي عن محمد بن أبي عبدالله رفعه، عن يونس بن عبدالرحمن، قال: قلت لابي الحسن الاول عليه السلام: بما أوحد الله؟ فقال: يا يونس لا تكونن مبتدعا، من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل

---

(١) جمع أُثْفية: أحجار ثلاثة تُوضع عليها القدر فوق الموقد.

(٢) امتتح الشَيء انتزعه من أصله .

(٣) تلّ صغير، أو موضع يكون أكثر ارتفاعاً مما حوله.

(٤) انْتسب إليْه، تبنَّاهُ، اتَّخذَهُ .

(٥) أحْسن الإدْلاَء به فَغلَب خَصْمَهُ.

(٦) جعله وسيلة.

(٧) رَأى فيه علامَةَ الخَيْرِ، تَبيَّنَهُ فيه، تَوَقَّعَهُ.

(٨) اسْتلام: استحقَّ اللومَ.

بيت نبيه صلى الله عليه وآله ضل، ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر.

فتحصل: ان علوم القرآن من أهم العلوم، وأعلاها، وأنفعها، إذ هو السبيل لفهم كتاب الله، ومعرفة أحكامه، ولذا تظهر علوم القرآن الكريم من جوانب عديدة أبرزها ما يلي:

(١)ـ يساعد على فهم وتدبر القرآن الكريم، واستنباط أحكامه وحل مشكله، وفهم متشابهه، بصورة صحيحة دقيقة، لأنه لا يمكن أن يفهم القرآن ويفسره من لا يعرف نطقه، ورسمه، وأوجه قراءته، وأسباب نزوله، وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ونحو ذلك، فهو الأساس، والمفتاح لفهم القرآن الكريم.

(٢)ـ معرفة الجهود العظيمة التي بذلها ائمة اهل البيت عليهم السلام ووصاياهم لعلماء الامة في خدمة هذا الكتاب ودور هذه الجهود في حفظه من التغيير والتبديل، وفي تيسير فهمه. فقد روى في الكافي عن أبي بصير قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام: ترد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب الله ولا سنة فننظر فيها؟ فقال: لا، أما إنك إن أصبت لم تؤجر، وإن أخطأت كذبت على الله عز وجل[١].

(٣)ـ زيادة ثقافة الفرد المسلم بالمصدر الأول لدينه، وأعظم ما يملكه في وجوده، إذ ينبغي لكل مسلم أن يأخذ حظه من القرآن مهما كان تخصصه، ومهنته، وحرفته، لئلا يختلط عليه الحق فتذهب به

---

(١) الكافي للكليني باب البدع والرأي والمقائيس: ١: ٥٦.

الاهواء والاراء فيقع في الفتنة. فقد روى في الكافي عن محمد ابن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس فقال: أيها الناس إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، يتولى فيها رجال رجالا، فلو أن الباطل خلص لم يخف على ذي حجى، ولو أن الحق خلص لم يكن اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث[١] فيمزجان فيجيئان معا فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى[٢].

(٤)- نيل الأجر والثواب، إذ تعلم مثل هذه العلوم من أوسع أبواب العبودية لله ﷻ. قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: نوروا بيوتكم بتلاوة القرآن[٣].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ثلاثة على كثبان من مسك، لا يحزنهم الفزع الأكبر، ولا يكترثون للحساب: رجل قرأ القرآن محتسباً، ثم أم قوما محتسباً[٤].

(٥)- تطهير القلب، وتهذيب النفس، وزيادة الإيمان، إذ تعلم علوم القرآن يربط المسلم بصورة قوية بكتاب الله الذي أنزله الله شفاء

---

(١) بالكسر قبضة من حشيش مختلط فيها الرطب باليابس.

(٢) الكافي للكليني باب البدع والرأي والمقائيس: ١: ٥٤.

(٣) الكافي ج٢ ص٦١٠ ح١ ٧٤.

(٤) بحار الأنوار ج ٧ ص ١٤٩ باب ٨ ٧٥.

للناس ورحمة. قال صلى الله عليه وآله وسلم: إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، قيل: يا رسول الله وما جلاؤها؟ قال: قراءة القرآن وذكر الموت.

تعريف علوم القرآن

علوم القرآن مركب إضافي، مكون من كلمتين، كلمة علوم وقرآن. وعلوم هي جمع علم، والعلم في اللغة نقيض الجهل وهو مصدر مرادف للفهم والمعرفة والإدراك، ويراد به إدراك الشيء على حقيقته، ثم نُقل بمعنى المسائل المختلفة المضبوطة ضبطاً علمياً والمتعلقة بعلم ما. القرآن لغةً: من قرأ مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ × فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)[1].

القرآن اصطلاحاً: هو كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وآله المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته المتحدى بأقصر صورة منه. قال تعالى: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً)[2] فهو إذن كلام الله.

وقال تعالى: (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً)[3].

---

(١) القيامة: ١٨.

(٢) النساء: ٨٢.

(٣) المزمل: من الآية ٤.

وقال تعالى: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوب أَقْفَالُهَا)[١] فكانت تلاوته والتدبر فيه عبادة لله.

وقد تحداهم بالإتيان بسورة من مثله. فقال تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْب مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَة مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[٢]. وقد تكفل الله بحفظه من التحريف الذي لحق بالكتب التي سبقت. فقال تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[٣]، ولعلوم القرآن معنيان: معنى عام، ومعنى خاص .

أ- تعريف علوم القرآن في المعنى العام: هو أنواع المعارف والعلوم المتصلة بالقرآن الكريم، سواء كانت خادمة له أو دل القرآن على مسائلها وأحكامها. فالعلوم الخادمة للقرآن كعلم التجويد وعلم التفسير وعلوم اللغة العربية وعلم الناسخ والمنسوخ ونحو ذلك، وعلوم دل القرآن على مسائلها وأحكامها كعلم الفقه وعلم التوحيد وعلم الفرائض وعلم التاريخ ونحو ذلك. وقد توسع بعض العلماء في ذلك حتى أدخلوا علم الطب وعلم الفلك والجبر والهندسة وغيرها.

ولكن ليس هنالك شك أن كل العلوم الدينية والعربية داخلة في

---

(١) سورة محمد صلى الله عليه وآله: ٢٤.

(٢) البقرة: ٢٣.

(٣) الحجر: ٩ .

معنى علوم القرآن في معناه العام .

ب- تعريف علوم القرآن باعتباره علماً مدوناً: هو علوم القرآن باعتباره فناً مدوناً عبارة عن مباحث أساسية ينبغي الإلمام بها لكل مقبل على فهم ودراسة القرآن الكريم وإلا ضل عن سواء السبيل لذا يمكن تعريفه بأنه: أنواع المعارف والعلوم الخادمة للقرآن الكريم كعلم النزول وعلم الرسم وعلم التجويد والقراءات وعلم أسباب النزول وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم التفسير، ونحو ذلك.

شرح تعريف القرآن الكريم

يذكر العلماء تعريفاً له: هو كلام الله، المنزّل على نبينا محمد صلى الله عليه وآله، المعجز في لفظه ومعناه، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته.

قولهم: (كلام)، هو اسم جنس يشمل جميع الكلام لله تعالى وللمخلوقات وبإضافته إلى لفظ الجلالة يخرج كلام غيره من الإنس والجن والملائكة.

و (المنزّل) يخرج به كلام الله الذي استأثر به سبحانه (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا)[1]. وتقييد المنزّل بكونه المنزل على الرسول الاعظم صلى الله

---

(١) الكهف: ١٠٩.

عليه وآله، يخرج ما أنزل على الأنبياء قبله كالتوراة والإنجيل وغيرهما. و (المعجز بلفظه ومعناه) لأن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة والرسالة المتجددة الصالحة لكلِّ زمان ومكان، وقد وقع به التحدي لإلى يوم القيامة، قال تعالى (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْض ظَهِيراً)[١].

و (المنقول إلينا بالتواتر) خرج به قراءات الآحاد والشواذ.

و(المتعبد بتلاوته) يُخرج قراءات الآحاد، والأحاديث القدسية؛ لأن التعبد بتلاوته معناه الأمر بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة، وليست قراءة الآحاد والأحاديث القدسية كذلك.

أسماء القران وأوصافه

للقرآن الكريم أسماء كثيرة منها:

١- (القرآن) قال تعالى: (ق ۞ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ)[٢]. لأنه يقرأ.

٢- (الكتاب) قال تعالى: (الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِى أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لّهُ عِوَجًا)[٣] لأنه يقرأ ويحفظ في الصدور وأيضاً يُكتب.

وقد جاء لفظ (الكتاب) في القرآن الكريم ويراد به غير القرآن

---

(١) الاسراء: ٨٨.

(٢) سورة ق: ١.

(٣) الكهف: ١٨.

فمن ذلك: جاء بمعنى التوراة في قوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ)[١]. وجاءت لفظ الكتاب بمعنى الكتابة في قوله تعالى عن عيسى: (وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ)[٢]. وجاءت كلمة الكتاب والمراد بها اللوح المحفوظ في قوله تعالى: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ)[٣].

وقوله تعالى: (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)[٤].

ومن أسماء القرآن أيضا :

٣- (الفرقان) قال تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)[٥]، وسمي بذلك لأن الله تعالى فرَّق به بين الحق والباطل، أو لأنه نزل مفرقا.

٤- (الذكر) قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[٦].

٥- (التنزيل) قال تعالى: (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[٧].

---

(١) البقرة: ٥٣.

(٢) آل عمران: ٤٨.

(٣) الواقعة: ٧٨ - ٧٩.

(٤) الانعام: ٣٨.

(٥) الفرقان: ٢٥.

(٦) الحجر: ٩.

(٧) الشعراء: ١٩٢.

أوصاف القرآن: ووصف الله القرآن بأوصاف كثيرة كذلك منها:

بُرْهَانٌ و نورًا مُبينًا: (أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا)[١].

مَوْعظةٌ وَشفاءٌ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ)[٢].

مُبارَكٌ: (وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ)[٣].

نورٌ وكتابٌ مُبينٌ: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ)[٤].

وهُدى وبُشْرى: (مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)[٥].

لكتابٌ عزيزٌ: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ)[٦].

---

(١) النساء: ١٧٤.

(٢) يونس: ٥٧.

(٣) الانعام: ٩٢.

(٤) المائدة: ٥.

(٥) البقرة: ٩٧.

(٦) فصلت: ٤١.

قُرْآنٌ مَجِيدٌ: (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ)[١].

بشيرا ونذيرا: (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ)[٢].

القرآن كتاب هداية

لم يحظ كتاب سماوي أو أرضي بما حظي به القرآن الكريم من عناية واهتمام سواء من لدن المؤمنين به وحيا من عند الله، أو من لدن المتشككين في ذلك، مما جعل الدراسات القرآنية والأبحاث حول القرآن تحتل حيزا وافرا في مكتبات العالم، وكتاب الله العظيم (القرآن) في نظر المسلمين قديما وحديثا، هو كتاب هداية وإرشاد لكل الناس مصداقا لقوله تعالى: (إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)[٣].

يمدح تعالى كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وآله وهو القرآن، بأنه يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل، ويبشر المؤمنين به الذين يعملون الصالحات على مقتضاه أن لهم أجراً كبيراً أي يوم القيامة، ويبشر الذين لا يؤمنون بالآخرة، أن لهم عذاباً أليماً، أي

---

(١) البروج: ٢١.

(٢) فصلت: ٣ - ٤.

(٣) الاسراء: ٩.

يوم القيامة، كما قال تعالى: { فبشرهم بعذاب أليم} . فمَنْ كان يريد الأُسْوة الطيبة في عبودية الرسول لربه، هذه العبودية التي جعلتْه يسري به إلى بيت المقدس، ثم يصعد به إلى السماء، ومَنْ كان يريد أن يكون مثل نوح في عبوديته لربه فأكرم ذريته من أجله، فعليه أنْ يسيرَ على دَرْبهم، وأنْ يقتديَ بهم في عبوديتهم لله تعالى، وليحذر أن يكون مثل اليهود الذين أفسدوا في الأرض مرتين.

والذي يرسم لنا الطريق ويُوضِّح لنا الحق من الباطل هو القرآن الكريم: {إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}، وقول الحق تبارك وتعالى: {إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنَ} هل عند نزول هذه الآية كان القرآن كله قد نزل، ليقول: إن هذا القرآن؟ نقول: لم يكن القرآن كله قد نزل، ولكن كل آية في القرآن تُسمَّى قرآناً، كما قال تعالى: {فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْآنَهُ}[١]، فليس المراد القرآن كله، بل الآية من القرآن قرآن. قوله: {يَهْدِى} الهداية هي الطريق الموصِّل للغاية من أقرب وَجْه، وبأقل تكلفة وهي الطريق المستقيم الذي لا التواءَ فيه، والحق سبحانه يهدي الجميع ويرسم لهم الطريق، فمن اهتدى زاده هُدى، كما قال سبحانه: {وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ}[٢]. ومعنى: {أَقْوَمُ} أي: أكثر استقامة وسلاماً. هذه

---

(١) القيامة: ١٨.

(٢) سورة محمد: ١٧.

الصيغة تُسمّى أفعل التفضيل، إذن: فعندنا (أقوم) وعندنا أقل منه منزلة (قَيّم) كأن نقول: عالم وأعلم.

يدل على وجود (القيّم) في نُظم الناس وقوانينهم الوضعية، فالحق سبحانه لا يحرم البشر من أن يكون لهم قوانين وشرائع حينما تعضُّهم المظالم ويشْقُون بها، فيُقنّنون تقنيات تمنع هذا الظلم.

وهو أيضا كتاب إحياء الأمة وإنقاذها وإظهارها على باقي الأمم مصداقا لقوله تعالى: (لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)[1] .

قوله تعالى: {فِيهِ ذِكْرُكُمْ} أي ذكر أمر دينكم; وأحكام شرعكم وما تصيرون إليه من ثواب وعقاب..

وقيل: أي حديثكم. وقيل: مكارم أخلاقكم، ومحاسن أعمالكم. وقيل: العمل بما فيه حياتكم. فثبت ان القران كتاب هداية.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): القرآن هدى من الضلال وتبيان من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الأحداث وعصمة من الهلكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة وفيه كمال دينكم، وما عدل أحد عن القرآن إلا إلى النار[2].

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): من أعطاه الله القرآن فرأى أن

---

(١) الانبياء: ١٠.

(٢) الكافي ج٢ ص٦٠٠ ح ٨.

رجلاً أعطي أفضل مما أعطي فقد صغر عظيماً وعظم صغيراً [١].

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه[٢].

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): لا يعذب الله قلباً وعى القرآن[٣].

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): من كان القرآن حديثه والمسجد بيته بنى الله له بيتا في الجنة [٤].

وجاء أبو ذر إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا رسول الله إني أخاف أن أتعلم القرآن ولا أعمل به، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لا يعذب الله قلباً أسكنه القرآن(٥).

وروي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال: كِتَابُ اللَّهِ، كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّار قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَي فِي غَيْرِهِ اَضَلَّهُ اللَّهُ فَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ

---

(١) الكافي ج٢ ص٦٠٥ ح ٧ ووسائل الشيعة ج٣ ص٥٨٢ باب٢٠ ح٧.

(٢) بحار الأنوار ج ٨٩ ص ١٩ باب١ ح ١٨.

(٣) الوسائل ج٤ ص٨٢٥ ب١ ح ٥ ومستدرك الوسائل ج٤ ص٢٤٥ ب ٥ ح ٤٦٠٨.

(٤) التهذيب ج٣ ص٢٥٥ باب١٣ ح٢٧.

(٥) عن طرق العامة، رواه الترمذي(٢٩٠٨) والدارمي(٤٣٥/٢) والبغوي في شرح السنة(١١٨١)، وعن طرق الخاصة نقله في مستدرك الوسائل ج٤ ص٢٣٣ باب١ ح٤٥٧٢ باختلاف يسير.

بِهِ الْاَهْوَاءُ وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْاَلْسِنَةُ وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ وَهُوَ الَّذِى لَمْ يَنْتَهِ الْجِنُّ اِذْ سَمِعَتْهُ اَنْ قَالُوا اِنَّا سَمِعْنَا قُرْاٰنًا عَجَبًا هُوَ الَّذِى مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ اُجِرَ وَمَنْ دَعَا اِلَيْهِ هُدِىَ اِلَى صِرَاط مُسْتَقِيم ..[١].

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): هبط عليّ جبرائيل فقال: يا محمد إن لكل شيء سيداً، وسيد الكلام العربية، وسيد العربية القرآن[٢].

وعن معاذ بن جبل قال: كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في سفر فقلت: يا رسول الله حدثنا بما لنا فيه نفع، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): إن أردتم عيش السعداء وموت الشهداء والنجاة يوم الحشر والظل يوم الحرور والهدى يوم الضلالة فادرسوا القرآن، فانه كلام الرحمن وحرز من الشيطان ورجحان في الميزان [٣].

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): القرآن أفضل كل شيء دون الله، فمن وقّر القرآن فقد وقّر الله، ومن لم يوقر القرآن فقد استخف بحرمة الله، حرمة القرآن على الله كحرمة الوالد على ولده [٤].

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): لا ينبغي لحامل القرآن أن يظن

---

(١) مستدرك الوسائل ج٤ ص٢٣٩ باب٢ ح٤٥٩٥.

(٢) بحار الأنوار ج٦١ ص٣٠ باب١ ح٨.

(٣) مستدرك الوسائل ج٤ ص٢٣٢ باب١ ح٤٥٧٠.

(٤) مستدرك الوسائل ج٤ ٢٣٦ باب٢ ح ٤٥٨٥.

إن أحداً أعطى افضل مما أعطي، لأنه لو ملك الدنيا بأسرها لكان القرآن أفضل مما ملكه[١].

دور القرآن في الحياة

لا يقتصر دور القرآن الكريم على هداية الإنسان إلى طريق النجاة في الآخرة، بل هي ترتبط بكافة جوانب حياة الإنسان فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ هذا القرآن هو الناصح الذي لايغشّ، والهادي الذي لا يضلّ، والمحدّث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى ونقصان من عمى، واعلموا أنّه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لوائكم، فإنّ فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والعمى والضلال. اسألوا الله به وتوجهوا إليه بحبّه، ولا تسألوا به خلقه إنّه ما توجّه العباد إلى الله بمثله، واعلموا أنّه شافع مشفّع، وقائل مصدّق وأنّه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه، ومن مَحِلَ به القرآن يوم القيامة صدق عليه، فإنّه ينادي مناد يوم القيامة ألا إنّ كلّ حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله، غير حرثة القرآن، فكونوا من حرثته وأتباعه، واستدلّوه على ربّكم، واستنصحوه على أنفسكم، واتهموا عليه آراءكم، واستغشوا

---

(١) مستدرك الوسائل ج٤ ص٢٣٧ باب٢ ح٤٥٨٧.

فيه أهوائكم[١].

القرآن معجزة الإسلام الخالدة

وحيث إن القرآن معجزة الإسلام الخالدة، فهو الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنكشف أصدافه عن كل جواهره ومكنوناته لمفسر واحد، ولا لجيل واحد، بل الأمة دائما في حاجة إلى هدايته باستمرار، وكل جيل من أجيالها يكشف من مكنونات القرآن ما يوصله إليه علمه، وما هو في حاجة إليه من الهداية والنور، لذلك كانت صلاحية نصوصه للتدبر وللتفسير في كل زمان، والذي يهديك الى ذلك قوله تعالى: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا)[٢] . فقد استعمل القران كلمة (أَفَلاَ)، في جملة من مواضع في الاسلوب البليغ، فقوله تعالى: { أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ} أي كان الواجب عليهم أن يتدبروا القرآن، فهناك التدبر، والتفكر، والتذكر والتعلم، والتعقل، ووردت كل هذه الأساليب في القرآن، أفلا يعلمون، أفلا يعقلون، أفلا يتذكرون، أفلا تتكفرون. هي إذن تدبر، تفكر، تذكر، وتعقل، وعلم.

والتدبر هو كل أمر يُعرض على العقل له فيه عمل فتفكر فيه

---

(١) نهج البلاغة من خطبة له عليه السلام في فضل القران:٢: ٩٢.

(٢) النساء - ٨٢١.

لتنظر في دليل صدقه، هذه أول مرحلة، فإذا ما علمت دليل صدقة فأنظر النتيجة التي تعود عليك لو لم تعملها؛ و (تتدبر) تعني أن تنظر إلى أدبار الأشياء وأعقابها، فالرسول يبلغك: الإله واحد، إبحث في الأدلة بفكرك، فإذا ما انتهيت إليها آمنت بأن هناك إلهاً واحداً. فهذا كان منك تدبر، فتدبر..

العترة الطاهرة والقرآن

قال امير المؤمنين (عليه السلام): إن الله تبارك وتعالى طهرنا وعصمنا، وجعلنا شهداء على خلقه وحجته في أرضه، وجعلنا مع القرآن، وجعل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا[١].

وقال (عليه السلام): نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد، فينا نزل القرآن وفينا معدن الرسالة[٢].

وفي الكافي معنعنا عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة له، قال: إن علم القرآن ليس يعلم ما هو إلاّ من ذاق طعمه، فعلم بالعلم جهله، وبصر به عماه، وسمع به صممه، وأدرك به (ما قد فات)، وحيى به بعد إذ مات، فاطلبوا ذلك من عند أهله (وخاصّته)، فإنّهم خاصّة نور يستضاء به، وأئمّة يقتدى بهم، هم عيش العلم، وموت الجهل، وهم الذين يخبركم حلمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم

---

(١) الكافي ج١ ص١٩١ ح٥ ٤٠.

(٢) بحار الأنوار ج٢٦ ص٢٦٩ باب٦ ح ٥ ٤١.

عن باطنهم، لا يخالفون الحق، ولا يختلفون فيه[١].

وقال زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام): مثلنا في كتاب الله كمثل مشكاة، فنحن المشكاة والمشكاة الكوة، فيها مصباح والمصباح في زجاجة، والزجاجة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، كأنه كوكب دري، يوقد من شجرة مباركة.

قال امير المؤمنين عليه السلام: زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور القرآن، يهدي الله لنوره من يشاء، يهدي لولايتنا من أحب[٢].

وعن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: (فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُون)[٣]. قال: الذكر: القرآن، ونحن أهله[٤].

وعنه (عليه السلام): نزل القرآن على أربعة أرباع، ربع فينا، وربع في عدونا، وربع في فرائض وأحكام، وربع سنن وأمثال، ولنا كرائم القرآن[٥].

وعنه (عليه السلام): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي ثم أمتي، ثم

---

(١) الكافي ٨: ٣٨٦ / ٥٨٦.

(٢) بحار الأنوار ج٢٣ ص٣١١ باب ١٨ ح١٦ ٤٢.

(٣) سورة النحل ٤٣.

(٤) بحار الأنوار ج٢٣ ص١٨١ باب ٩ ح٣٦ ٤٤.

(٥) بحار الأنوار ج٨٩ ص١١٤ باب١٢ ح١ ٤٥.

أسألهم ما فعلتم بكتاب الله و أهل بيتي [١].

وعنه (عليه السلام) في قوله عز وجل: (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ)[٢] قال: الثقلان نحن والقرآن [٣].

وعنه (عليه السلام): إن الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن[٤].

وعنه (عليه السلام): يا مفضل، لو تدبر القرآن شيعتنا لما شكوا في فضلنا [٥].

وعنه (عليه السلام): إن الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن وقطب جميع الكتب، عليها يستدير محكم القرآن، وبها يوهب الكتب، ويستبين الإيمان، وقد أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقتدى بالقرآن وآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، حيث قال في آخر الخطبة خطبها: إني تارك فيكم الثقلين، الثقل الأكبر والثقل الأصغر، فأما الأكبر فكتاب ربي، وأما الأصغر فعترتي أهل بيتي، فاحفظوني فيهما، فلن تضلوا ما تمسكتم بهما[٦].

---

(١) بحار الأنوار ج٢٤ ص٣٢٤ باب٦٧ ح٣٧ ٤٨.

(٢) سورة الرحمن ٣١ ٤٧.

(٣) بحار الأنوار ج٨٩ ص٢٧ باب١ ح٢٩ ٤٩.

(٤) بحار الأنوار ج٥٣ ص٢٦ باب٢٨ ح١ ٥٠.

(٥) بحار الأنوار ج٨٩ ص٢٧ باب١ ح٢٩ ٥١.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم ص١١١ الفصل الرابع في القرآن وتفسير مجمع البيان ج١ ص١٥ ٥٢.

وجوه منهج التفسير بالرأي

ذكر العلماء والمفسّرون آراء متباينة حول مفاد روايات التفسير بالرأي، وسنعرض لرأي العلّامة الطباطبائي (قده) وموقفه من هذا المنهج. فقد اعتبر السيّد الطباطبائي أنّ التفسير بالرأي يحتمل وجوهاً متعدّدة، أهمّها:

- تفسير المتشابه الّذي لا يعلمه إلّا الله.

- التفسير المقرّر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تبعاً، فيردّ إليه بأيّ طريق أمكن وإن كان ضعيفاً. وهذا يحصل فيما لو كان للمفسّر ميل إلى نزعة أو مذهب فيتأوّل القرآن على رأيه ويصرفه عن المراد، فيجرّ شهادة القرآن لتقرير رأيه.

- التفسير بأنّ مراد الله تعالى كذا على القطع من غير دليل.

- التفسير بالاستحسان والهوى ومن دون الاستناد إلى نظر في أدلّة العربية ومقاصد الشريعة، وما لابدّ منه من معرفة الناسخ والمنسوخ وسبب النزول.

- القول بالقرآن بما يعلم أن الحقّ غيره.

- القول في القرآن بغير علم وتثبُّت، سواء علم أنّ الحقّ خلافه أم لا. ثمّ علّق عليها بقوله: وربما أمكن إرجاع بعضها إلى بعض، وكيف كان فهي وجوه خالية عن الدليل، على أنّ بعضها ظاهر البطلان.

من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار

قال الراغب في (مفرداته): الرأي عبارة عن ترجيح أحد طرفي القضية بالظن والتخمين. وقال المحقق الأنصاري: (الظاهر أن المراد بالرأي هو الاعتبار العقلي الظني الراجع إلى الاستحسان)[١].

هو التفسير بالرأي المنهي عنه في الروايات، والذي يعني حمل القرآن الكريم على طبق الآراء التي تكونت للإنسان من خلال أهوائه وشهواته. والذي يدل على كون ذلك تفسيراً بالرأي المذموم هو أن الباء في قوله صلى الله عليه وآله (برأيه) هي المعروفة بـ(باء السببية)، ويكوت تقديرها انه فسر القران بسبب رايه، أي أن تفسيره للقرآن بهذا الشكل جاء نتيجة لـ (رأي اعتقده واعتنقه في السابق)، بحيث لو لم يكن ذلك (الرأي) موجوداً مسبقاً لما فسر القرآن بهذا الشكل.

وهو عبارة عن تطويع الدين والنصوص والايات بالباطل الذي يعتقده ليجعلها مقدمة كبرى في برهانه على احقية معتقده الفاسد. كتفسيرهم لمفهوم (الصبر الجميل) الذي ورد الامر به في الذكر الحكيم بالخنوع والخضوع لولاة الظلم والجور المفسدين من الضالين المضلين، فيجعلون من هذا المفهوم القدسي آية لهم على تمرير ظلم الحاكمين على الناس وتبرأتهم عن الجهاد والعمل على ازالتهم والقيام عليهم. وغير ذلك كثير من هذا القبيل، وعليه فقس. ومن هنا يأتي

---

(١) راجع فرائد الأصول /حجية ظواهر الكتاب.

الحديث الشريف: (من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار).

ومن امثلة التفسير بالراي والهوى ما عرف عن (فقيه زمانه في (الامة) وقاضي قضاة لا اقول المسلمين بل (المستسلمين) ووزير الخلافة العباسية) يحيى بن أكثم (لع)، هذا (القزم) كان يعاني من (الشذوذ الجنسي) حتى قال عنه ابن خلكان في وفيات الاعيان: (ألوط قاض بالعراق نعرفه)!، وكان مقربا ونديما للمأمون العباسي، (الطيور على اشكالها تقع)، حتى انه كان يستحل هذا العمل (اللواط)، المنكر في السماء والارض والقول بمشروعيته عليه اللعائن بان يفسر قول الله تعالى: (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا) فكان يرى في هذه الاية إباحة الزواج، وإباحة الشذوذ كذلك!. مع إن الآية تقول: (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُور، أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا)[1]. ومن المعلوم ان الاية قد قسمت الازواج على أربعة أقسام، فقسم لا يولد له إلا الإناث، وقسم لا يولد له إلا الذكور، وثالثٌ يولد له الاثنان معا، ورابعٌ عقيم. وقد روي ان يحيى بن أكثم سال الإمام الهادي (عليه السلام) في معنى هذه الاية، فأجاب الإمام (عليه السلام): أي يولد له الذكور، ويولد له إناث. يقال لكل اثنين مقرنين: زوجان، كل واحد منهما زوج. ثم قال عليه السلام: ومعاذ الله أن يكون الجليل ما لبست به على نفسك، تطلب

---

(١) سورة الشورى: ٤٩ - ٥٠.

الرخص لارتكاب المآثم، (وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا)[١].

أن هذا الشكل من التحريف المعنوي هو الذي يصدق عليه من فسر القرآن برأيه، أي حسب أهواءه وشهواته.

معنى (الرأي) عند الطباطبائي

بعد أن استعرض النصوص الدالّة على النهي عن تفسير القرآن بالرأي قال: قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»، الرأي هو الاعتقاد عن اجتهاد وربما أطلق على القول عن الهوى والاستحسان وكيف كان لما ورد قوله: برأيه مع الإضافة إلى الضمير علم منه أن ليس المراد به النهي عن الاجتهاد المطلق في تفسير القرآن حتى يكون بالملازمة أمرا بالإتباع و الاقتصار بما ورد من الروايات في تفسير الآيات عن النبي وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم على ما يراه أهل الحديث، على أنه ينافي الآيات الكثيرة الدالة على كون القرآن عربيا مبينا، والآمرة بالتدبر فيه، و كذا ينافي الروايات الكثيرة الآمرة بالرجوع إلى القرآن وعرض الأخبار عليه.

فعن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: مَن فسّر القرآن برأيه فقد افترى على الله

---

(١) سفينة البحار، للمحدث المتبحر الشيخ عباس القمي (رضوان الله عليه) المجلد الأول ص٣٦٧ - ٣٦٨، وأيضاً (الأذكياء) لابن الجوزي ص١٣٢.

الكذب[١].

وعن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس: أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: «من قال في القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار[٢].

و عن أبي بصير عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: منْ فسّر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر، وإن أخطأ خرَّ أبعد من السماء[٣].

وروي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: منْ تكلّم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ[٤].

و أما النهي الوارد على التفسير في الرأي لأحد وجهين:

أحدهما: أن يكون له في الشيء رأي، وإليه ميل من طبعه وهواه،

---

(١) تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تأليف: الفقيه المحدّث الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، المتوفّى ١١٠٤هـ، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأُولى، ١٤١٢هـ: كتاب القضاء، الباب ١٣ من أبواب صفات القاضي، الحديث ٣٧، ج٢٧ ص١٩٠.

(٢) تفسير الطبري، المسمّى جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمّد ابن جرير الطبري، المتوفّى سنة ٣١٠هـ، مركز الكتاب العلمي، القاهرة، منشورات دار الكتب العلميّة، بيروت ـ لبنان ١٤١٨ هـ: ج١ ص٥٨.

(٣) وسائل الشيعة الباب ١٣ من أبواب صفات القاضي، ح ٦٦، ج٢٧.

(٤) الإتقان في علم القرآن، السيوطي، المتوفّى سنة ٩١١هـ، دار الفكر، لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١٦هـ: ج٢ ص٤٤٥.

وأخرجه أبو داود والترمذي والنسائي رواه الترمذي في السنن (٢٩٥٠ ـ ٢٩٥١) والنسائي في الكبرى (٨٠٨٤ ـ ٨٠٨٥) والطبري في التفسير: ج١ ص٥٩، والطبراني في المعجم الكبير (١٢٣٩٢).

فيتأوّل القرآن على وفق رأيه وهواه، ليحتج على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لما يلوح له من القرآن ذلك المعنى.

وهذا النوع يكون تارة مع العلم كالذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته، وهو يعلم ان ليس المراد من الآية ذلك، ولكن مقصوده أن يُلبس على خصمه، وتارة يكون مع الجهل وذلك إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه، ويرجّح ذلك الجانب برأيه وهواه، فيكون قد فسّر برأيه، أي رأيه حملَه على ذلك التفسير، ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه.

الثاني: أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة، وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير، فمن لم يُحكّم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه، ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأي، والنقل والسماع لابدّ له منه في ظاهر التفسير ليتقي به مواضع الغلط، ثمّ بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط، والغرائب التي لا تفهم إلاّ بالسماع كثيرة، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر. وقيل أيضا، من إن التفسير بالرأي المنهي عنه أمر راجع إلى طريق الكشف دون المكشوف، وبعبارة أخرى إنما نهى (عليه السلام) عن تفهم كلامه على نحو ما يتفهم به كلام غيره و إن كان هذا النحو من التفهم ربما صادف الواقع.

والدليل على ذلك قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الرواية الأخرى: من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ فإن الحكم بالخطأ مع فرض الإصابة ليس إلا لكون الخطأ في الطريق. وكذا قوله (عليه السلام) في حديث العياشي: إن أصاب لم يؤجر.

القرآن والوحي الذي انزل به

في بدأ الوحي: قال الشيخ الجليل الثقة علي بن إبراهيم القميّ: إنَّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) لما أتى له سبع وثلاثون سنة، كان يرى في منامه كأنّ آتياً يأتيه فيقول: يا رسول الله! ومضت عليه برهة من الزمان وهو على ذلك يكتمه، وإذا هو في بعض الأيام يرعى غنماً لأبي طالب في شعب الجبال، إذ رأى شخصاً يقول له: يا رسول الله! فقال له: من أنت؟ قال: أنا جبرئيل، أرسلني الله إليك ليتّخذك رسولاً، فجعل يعلّمه الوضوء والصلاة. (وذلك عندما تمّ له أربعون سنة).

فدخل عليّ (عليه السلام) وهو يصلّي قال: يا أبا القاسم ما هذا؟ قال: هذه الصلاة التي أمرني الله بها. فجعل يصلّي معه. وكانت خديجة ثالثتهم. فكان عليّ (عليه السلام) يصلّي إلى جناح رسول الله الأيمن، وخديجة خلفه، فأمر أبو طالب ابنه جعفراً أن يصلّي إلى جناح رسول الله الأيسر. وكان زيد بن حارثة عتيق رسول الله [1] قد أسلم عند ما

---

(١) قيل: اشتراه رسول الله (صلى الله عليه وآله) لخديجة، فلمّا تزوّجها وهبته له، فأعتقه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقيل: استوهبته خديجة من ابن ←

نبيء رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فكان يصلّي معهم أيضاً.

وبهذا الجمع انعقدت نطفة الإسلام [١].

وفي تفسير الإمام: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يغدو كلّ يوم إلى حراء، وينظر إلى آثار رحمة الله، متعمّقاً في ملكوت السماوات والأرض، ويعبد الله حق عبادته، حتى استكمل سنّ الأربعين، ووجد الله قلبه الكريم أفضل القلوب وأجلّها وأطوعها وأخشعها. فأذن لأبواب السماء ففتحت، وأذن للملائكة فنزلوا، ومحمد (صلى الله عليه وآله) ينظر إلى ذلك، فنزلت عليه الرحمة من لدن ساق العرش، ونظر إلى الروح الأمين جبرائيل مطوّقاً بالنور، هبط إليه وأخذ بضبعه وهزّه[٢]، فقال: يا محمد! اقرأ. قال: وما أقرأ؟ قال: يا محمّد! ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

ثمّ أوحى إليه ما أوحى. وصعد جبرائيل إلى ربّه، ونزل محمد (صلى الله عليه وآله) من الجبل وقد غشيه من عظمة الله وجلال ابّهته

→

أخيها حكيم بن حزام بن خويلد، عندما قدم مكة برقيق فيهم زيد وصيف أي غلام لم يراهق. فقال لها: يا عمّة! اختاري أيّ هؤلاء الغلمان شئت: فاختارت زيداً، ثمّ وهبته لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فأعتقه رسول الله وتبنّاه.

(١) بحار الأنوار: ج١٨ ص١٨٤ ح١٤ وص١٩٤ ح٣٠.

(٢) الضبع. وسط العضد. وفي المصدر: بضبعيه. وهزه: حركه.

ما ركبه الحمّى الشديدة، وقد اشتدّ عليه ما كان يخافه من تكذيب قريش ونسبته إلى الجنون وقد كان أعقل خلق الله وأكرم بريّته. وكان أبغض الأشياء إليه الشيطان وأفعال المجانين، فأراد الله أن يشجّع قلبه ويشرح صدره، فجعل كلّما يمرّ بحجر وشجر ناداه: السلام عليك يا رسول الله[١].

وفي شرح النهج: أنّ بعض أصحاب أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) سأله عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾[٢] فقال: يوكّل الله تعالى بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم، ويؤدّون إليه تبليغهم الرسالة، ووكّل بمحمد (صلى الله عليه وآله) ملكاً عظيماً منذ فصل عن الرضاع يرشده إلى الخيرات ومكارم الأخلاق، ويصدّه عن الشرّ ومساوئ الأخلاق، وهو الذي كان يناديه: السلام عليك يا محمد يا رسول الله، وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد، فيظن أنّ ذلك من الحجر والأرض، فيتأمّل فلا يرى شيئاً[٣].

كيف عمل أهل البيت بالقرآن

وهذه جملة من أخبار أهل البيت عليهم السلام حول الوحي

---

(١) بحار الأنوار: ج١٨ ص٢٠٥-٢٠٦ ح٣٦.

(٢) الجن:٢٧.

(٣) نهج البلاغة: ج١٣ ص٢٠٧. والخطبة القاصعة من كلام أمير المؤمنين (ع).

والقران والعمل به وبدايات النزول. عن الإمام الباقر (عليه السلام): «ياجابر لو كنا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكنا نفتيهم بأثر من رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) وأصول علم عندنا، نتوارثها كابرا عن كابر، نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم ».

وهكذا فان الأساس الذي بني عليه أئمة أهل البيت(عليهم السلام) العلوم والمعارف الإسلامية التي أفاضوها هو الكتاب والسنة النبوية المطهرة. وهكذا نفهم أيضا ان الكتاب العزيز هو المصدر الأول في علوم ومعارف هذه المدرسة العلمية الخالدة، وكما هو واضح فان فهم الكتاب والاستنباط منه استنباطا معبرا عما يحوي الكتاب من علم واقعي يحتاج إلى إحاطة علمية كاملة وسلامة منهج، لذا كان من جملة ما أفاضه أئمة أهل البيت (عليهم السلام) من علم ومعرفة هو علم التفسير والتأويل، ومنهج فهم القرآن.

والجدير ذكره، إن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) قد أسسوا منهج فهم القرآن على أساس من القرآن ذاته. وحين تعددت مناهج الفهم ومذاهب الاستفادة والاستنباط من القرآن بعد رحيل الرسول الأكرم محمد(صلى الله عليه وآله) تصدى ائمه أهل البيت (عليهم السلام) ومن لدن أمير المؤمنين عليه السلام، وحتى آخرهم لمهمة تفسير القرآن وبيان ما فيه من فقه وعلوم ومعارف.

قالت أمّ سلمة رضي الله عنها: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مرضه الّذي قُبض فيه يقول وقد امتلأت الحجرة من أصحابه

أيّها الناس!.. يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً، فينطلق بي وقد قدّمت إليكم القول معذرة إليكم، ألا إنّي مخلفٌ فيكم كتاب ربّي عزّ وجلّ، وعترتي أهل بيتي، ثمّ أخذ بيد عليّ (عليه السلام) فرفعها فقال: هذا عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، خليفتان بصيران لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض، فأسألهما ماذا خلّفت فيهما[١].

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ألا إنّ العلم الّذي هبط به آدم من السّماء إلى الأرض، وجميع ما فُضّلت به النبيّون إلى خاتم النبيّين عندي وعند عترة خاتم النبيّين، فأيّن يُتاه بكم بل أين تذهبون ؟[٢].

---

(١) أمالي الطوسي ٢/٩٢.

(٢) تفسير القمي ص٥.

الفصل الأول

مفردات قرآنية

الفصل الأول

الملائكة

الملائكة في أصل اللغة جمع ملَك، وهو مشتق من الألوكة، أي: الرسالة، أو مشتق من الملك بفتح الميم وتسكين اللام، وهو الأخذ بقوة.

أما تعريف الملائكة في الشرع: فهي أجسام لطيفة، لايعصون ما امرهم الله تعالى به .

وجوب الإيمان بالملائكة: الإيمان بالملائكة؛ هو الاعتقاد الجازم بوجودهم، وأنهم مخلوقون لله سبحانه، قال تعالى: (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِوَالْكِتابِ وَالنَّبِيِّينَ)[1].

والإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، فلا يصح إيمان العبد إلا به، وقد دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، قال تعالى: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ)[2].

وفي حديث جبريل قال صلى الله عليه وآله عندما سُئل عن الإيمان: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره)، وأجمع المسلمون قاطبة على وجوب الإيمان

---

(١) البقرة: ١٧٧.

(٢) البقرة: ٢٨٥.

بالملائكة، وعليه فمن أنكر وجود الملائكة من غير جهل يعذر به فقد كفر، لتكذيبه القرآن في نفي ما أثبته، وقد قرن الله عز وجل الكفر بالملائكة بالكفر به قال تعالى: (وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلّ ضَلَالًا بَعِيدًا)[1].

والإيمان بالملائكة ظاهرا ليس هو على درجة واحدة، فهناك الإيمان المجمل، وهو الإيمان بوجودهم، وأنهم خلق من خلق الله سبحانه، وهذا القَدْر من الإيمان بالملائكة واجب على عموم المكلفين.

وهناك الإيمان التفصيلي، وذلك بمعرفة ما يتعلق بالملائكة مما ورد به الشرع المطهر، وطلب هذا ظاهرا على الكفاية، فلا يطالب به كل مكلف، بحيث إذا قام به البعض، سقط عن الآخرين.

مرتبة الملائكة عند ربهم

لعل من أعظم الآيات، التي تدل على عظم مكانة الملائكة عند ربهم، قوله تعالى: (شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[2]، ووجه الدلالة: أن الله احتج بشهادتهم على أعظم مشهود على الإطلاق، وهو توحيده سبحانه، وقرن شهادتهم بشهادته، والله لا يستشهد من خلقه إلا من عظم قدره عنده،

---

(١) النساء: ١٣٦.

(٢) آل عمران: ١٨.

فهذه الآية تدل على علو قدرهم ومكانتهم.

صفات الملائكة الخلقية والخلقية

خلقت الملائكة من نور، كما ثبت ذلك في الروايات، وكان خلقهم متقدما على خلق البشر، كما دلّ على ذلك ما قصه القرآن علينا من قصة خلق آدم عليه السلام، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)[١]. فالآية واضحة الدلالة على أن وجود الملائكة سابق لوجود البشر .

وتشير النصوص إلى عظم خلق الملائكة من حيث الجملة، كما في وصف الملائكة الموكلة بالنار قال تعالى: (عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)[٢].

وقال تعالى في وصف جبريل عليه السلام: (ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ)[٣].

وهم على عظم خلقهم لا يأكلون ولا يشربون، ولهم قدرة على التشكل، كما دلت على ذلك قصة إبراهيم مع الملائكة، عندما أتوه في صورة شبان، فقدم لهم الطعام، فلم يأكلوا، قال تعالى: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ

---

(١) البقرة:٣٠.

(٢) التحريم: ٦.

(٣) التكوير: ٢٠.

ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ۞إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ۞فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۞ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۞فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۞ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۞ قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۞)[1].

ومما يدل على ذلك أيضا، مجيئهم لوطاً عليه السلام في صورة شبان حسان الوجوه، قال تعالى: (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ)[2].

ومجيء جبريل عليه السلام إلى مريم عليها السلام في صورة بشر، قال تعالى: (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا)[3].

وكذلك كان جبريل عليه السلام يأتي النبي صلى الله عليه وآله في صورة أعرابي، كما في حديث جبريل المشهور.

ووصفهم الله سبحانه بأنهم اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع، قال تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

---

(١) الذاريات: ٢٤ - ٣٠.

(٢) هود: ٧٧.

(٣) مريم: ١٧.

قَدِيرٌ)[١].

ومن صفاتهم الخَلقية أنهم لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، فمن وصفهم بالأنوثة من غير جهل فقد كفر؛ لتكذيبه القرآن في نفي ذلك، قال تعالى: (أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً)[٢]، ومن وصفهم بالذكورة، فقد جاء بدعا من القول وزورا، لإثباته ما لم يثبت شرعا، ونفي أن يكونوا إناثا لا يلزم أن يكونوا ذكورا، فإن الملائكة خلق يختلف عن خلق الإنس والجن .

وأما صفاتهم الخُلُقية، فهم من أعظم الخلْق خُلقاً، فقد وصفهم الرب سبحانه بأنهم (أَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ)[٣]، ووصفهم النبي صلى الله عليه وآله بالأوصاف ذاتها حين قال: (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة).

ومن صفاتهم: أنهم معصومون من الذنوب والمعاصي لا يقربونها، قال تعالى: (لا يَعْصُونَ اللّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)[٤].

وهم مع عصمتهم من الذنوب والمعاصي دائمو الطاعة لله

---

(١) فاطر: ١.

(٢) الإسراء:٤٠.

(٣) عبس:١٦.

(٤) التحريم:٦.

سبحانه، قال تعالى: (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ)[١].

وأما عددهم فلا يعلمه إلا الله سبحانه، حيث ردّ علم ذلك إلى نفسه، فقال تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ)[٢].

وعدَ صلى الله عليه وآله الملائكة الذين يأتون بجهنم فقال: (يؤتي بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك) . وقال صلى الله عليه وآله لأصحابه يوما: (إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطّت السماء وحُقَّ لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله).

فهذه الأحاديث وغيرها تدل على كثرة عدد الملائكة، وأنه لا يحصي عددهم إلا الله سبحانه.

أعمال الملائكة

وصف الله أعمال بعض الملائكة بقوله تعالى: (فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا)[٣].

---

(١) الأنبياء: ٢٠.

(٢) المدثر: ٣١.

(٣) النازعات: ٥.

هي الملائكة تدبر الأمر من السماء إلى الأرض. وقال تعالى: (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً) [١]، وهي الملائكة تقسم الأعمال عليها، من الخصب والجدب والمطر والموت والحوادث.

وقد ذكر الله تعالى بعض الأعمال التي كلف بها ملائكته، فمن ذلك قوله تعالى: (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ)[٢]، فهذه ملائكة تحفظ الإنسان من الشرور بأمر الله سبحانه، حتى إذا جاء القدر خلو عنه، وقال سبحانه: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ)[٣].

فذكر في هذه الآية أن الملائكة هي التي تتولى نزع روحه .

ومن ذلك أن الملائكة هم من يحملون عرش الرحمن سبحانه، قال تعالى: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ)[٤]. ومن أعمال الملائكة الاستغفار للمؤمنين، قال تعالى: (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ

---

(١) الذاريات: ٤٠.

(٢) الرعد: ١١.

(٣) الأنعام:٦١.

(٤) غافر:٧.

تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ)[١] .

ومن أعمال الملائكة كتابة وإحصاء أعمال المكلفين من خير أو شر، قال تعالى: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)[٢].

قال تعالى: (كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ)[٣].

ودلت الايات على أن من الملائكة من يجاهد مع المؤمنين، قال تعالى: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ)[٤].

ودلت على أن الملائكة تشفع يوم القيامة في المذنبين من الموحدين، قال تعالى: (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى)[٥].

فهذه بعض أعمال الملائكة التي ذكرت في الكتاب دون تعيين أصحابها من الملائكة. وفي المقابل ورد في الكتاب والسنة ذكر أعمال معينة مصرحا بأسماء أصحابها، ومن أعظم الملائكة الذين صرح الكتاب والسنة بذكرهم وذكر أعمالهم؛ جبريل عليه السلام أمين الوحي،

---

(١) غافر: ٧.

(٢) ق: ١٨.

(٣) الانفطار: ١١-١٢.

(٤) الأنفال: ٩.

(٥) النجم: ٢٦.

وميكال أمين القطر، وكلاهما موكل بالحياة فجبريل موكل بحياة القلوب، وميكال موكل بحياة الأبدان، وبهما تقوم الحياة وتنعم البشرية، قال تعالى: (مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنّ اللّـهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ)[1].

وممن ورد ذكره في القرآن مصرحا باسمه مالك خازن النار، قال تعالى: (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ)[2].

ومن الملائكة الذين صرح القرآن بأسمائهم (هاروت وماروت) عليهما السلام، قال تعالى: (وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ)[3].

وقد ذكر في السنة بعض أسماء الملائكة وأعمالهم، فممن صرحت السنة باسمه، إسرافيل عليه السلام وهو الموكل بالنفخ في الصور، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (كيف أنعم ؟ وصاحب القرن قد التقم القرن، وحنى جبهته، وانتظر أن يؤذن له . قالوا: كيف نقول يا رسول الله ؟ قال قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا).

وممن ذكر اسمه في السنة المطهرة أيضاً منكر ونكير عليهما

---

(١) البقرة: ٩٨.

(٢) الزخرف: ٧٧.

(٣) البقرة: ١٠٢.

السلام، وهما الملكان الموكلان بسؤال العبد في قبره فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله (إذا قبر أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير..).

وملك الموت عليه السلام قد ذكره الله تعالى بوظيفته لا باسمه، فقال سبحانه: (قُلْ يَتَوَفّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) [1].

فهذه بعض أعمال الملائكة التي وردت في الكتاب والسنة، وهي تدل على أن الله سبحانه وكل بالعالم العلوي والسفلي ملائكة، فهي تدبر أمر العالم بإذنه ومشيئته وأمره، فلهذا يضيف التدبير إلى الملائكة تارة؛ لكونهم هم المباشرين للتدبير، كقوله تعالى: (فالمدبرات أمرا)، ويضيف التدبير إليه سبحانه، كقوله تعالى: (إِنّ رَبَّكُمُ اللّهُ الّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيّام ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكّرُونَ)، فهو المدبر أمرا وإذنا ومشيئة، والملائكة المدبرات مباشرة.

---

(١) السجدة:١١.

الوحي في الذكر الحكيم

الوحي في اللغة: عرف اللغويون الوحي بقولهم: أصل الوحي: الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمر وحي، وذلك كون بالكلام، وعلى سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة بعض الجوارح وبالكتابة..

وقيل أيضا: هو الإعلام السريع الخفي.

وقال الراغب: أصل الوحي: الإشارة السريعة، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة.

وقد حمل على ذلك قوله تعالى عن زكريا:﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[١] قيل: رمز.

وقيل: أشار، وقيل: كتب، وعلى هذه الوجوه قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[٢].

وقوله تعالى:﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾[٣]، فذلك

---

(١) مريم: ١١.

(٢) الأنعام: ١١٢.

(٣) الأنعام: ١٢١.

بالوسواس المشار إليه بقوله تعالى:﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾[١]، ويقال للكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه (وحي)، وذلك أضرب حسبما دل عليه قوله تعالى تعالى: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)[٢].

وذلك إما برسول مشاهد ترى ذاته ويسمع كلامه، كتبليغ جبريل عليه السلام للنبي في صورة معينة.

وإما بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى كلام الله.

وإما بإلقاء في الروع كما ذكر صلى الله عليه وآله: (إن روح القدس نفث في روعي) .

وإما بإلهام نحو قوله تعالى:﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾[٣].

وإما بتسخير نحو قوله تعالى:﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾[٤] .

أو بمنام كما روي عنه صلى الله عليه وآله: (انقطع الوحي وبقيت المبشرات رؤيا المؤمن) ففي البخاري عنه صلى الله عليه وآله: لم يبق

---

(١) الناس: ٤.

(٢) الشورى: ٥١.

(٣) القصص: ٧.

(٤) النحل: ٦٨.

من النبوة إلا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة[١].

فهذا الوحي هو عام في جميع أنواعه، وذلك أن معرفة وحدانية الله تعالى، ومعرفة وجوب عبادته ليست مقصورة على الوحي المختص بأولي العزم من الرسل، بل يعرف ذلك بالعقل والإلهام كما يعرف بالسمع.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ ﴾[٢]، فذلك وحي بوساطة عيسى عليه السلام، وقوله:﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ﴾[٣]، فذلك وحي إلى الأمم بوساطة الأنبياء.

ومن الوحي المختص بالنبي صلى الله عليه وآله: ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾[٦]. وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ ﴾[٧] .

فوحيه إلى موسى بوساطة جبريل، ووحيه تعالى إلى هرون

---

(١) البخاري كتاب التعبير باب المبشرات: ح ٦٥٨٩.

(٢) المائدة: ١١١.

(٣) الأنبياء: ٧٣.

(٤) يونس: ١٠٩.

(٥) يونس: ١٥.

(٦) الكهف: ١١٠.

(٧) يونس: ٨٧.

بوساطة جبريل وموسى، وقوله تعالى:﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ ﴾[١] فذلك وحي إليهم بوساطة اللوح والقلم فيما قيل، وقوله تعالى:﴿ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا ﴾[٢]، فإن كان الوحي إلى أهل السماء فقط فالموحى إليهم محذوف ذكره، كأنه قال: أوحى إلى الملائكة؛ لأن أهل السماء هم الملائكة؛ ويكون كقوله تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ ﴾. وإن كان الموحى إليه هي السموات فذلك تسخير . ومنه قوله تعالى:﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾[٣]، وقوله تعالى:﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾[٤] فحث على التثبيت في السماع، وعلى ترك الاستعجال في تلقيه وتلقنه.

وعرف الشيخ المفيد الوحي فقال: أصل الوحي هو الكلام الخفي، ثم قد يطلق على كل شيء قصد به إلى إفهام المخاطب على السر له عن غيره، والتخصيص له به دون من سواه، واذا أضيف الى اللّه تعالى كان فيما يخص به الرسل (عليهم السلام) خاصة دون من سواهم على عرف الإسلام وشريعة النبي..

وتحدث المفسر الامامي الكبير الطبرسي عن الوحي فعرفه

---

(١) الأنفال: ١٢.

(٢) فصلت: ١٢.

(٣) الزلزلة: ٥.

(٤) طه: ١١٤.

بقوله: الإيحاء: هو إلقاء المعنى الى الغير على وجه يخفى، والإيحاء الإرسال الى الأنبياء، نقول أوحى اللّه إليه، اي أرسل اليه ملكا.

الوحي في الاصطلاح: كلمة الوحي هي مصطلح قرآني من اعرق واهم المصطلحات الإسلامية في مجال الفكر والعقيدة، ويشكل الإيمان به القاعدة الأساسية للإيمان بالأنبياء والرسل(عليهم السلام)، وقد استعملها القرآن بهذا المعنى في موارد عديدة، كما جاءت في السنة المطهرة وعلى السن العلماء الإسلاميين، وهو الوحي الى الأنبياء والرسل، وهو المعنى المتبادر الى ذهن الإنسان المسلم من استعمال هذه الكلمة، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾[١]. وكقوله تعالى: (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ)[٢].

وبما أنّ الوحي ظاهرة روحيّة، فإنّه بأيّ أقسامه اتفق فإنّما كان مهبطه قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أي شخصيّته الباطنة . الروح .. قال تعالى ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣].

وقال جَلَّ جَلالُه: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ × عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ

---

(١) طه: ١١٤.

(٢) الأنعام: ١٩.

(٣) البقرة: ٩٧.

الْمُنذِرِينَ ﴾[١]. والقلب هو لبّ الشيء وحقيقته الأصلية.

وقال صاحب تفسير الميزان السيد محمد حسين الطباطبائي(ره) في مسألة نزول القرآن على قلب الرسول (صلى الله عليه وآله): وهذا إشارة إلى كيفيّة تلقّيه صلى الله عليه وآله، القرآن النازل عليه، وأنّ الذي كان يتلقاه من الروح هي نفسه الكريمة من غير مشاركة الحواسّ الظاهرة التي هي أدوات لإدراكات جزئيّة خارجيّة، فكان صلى الله عليه وآله يرى شخص الملَك ويسمع صوت الوحي، ولكن لا بهذه يسمع أو يبصر هو دون غيره، فكان يأخذه برحاء الوحي - أي: شدة ألمه والإحساس بكربه- وهو بين الناس فيوحي إليه ولا يشعر الآخرون الحاضرون [٢] .

قال امير لمؤمنين عليه السلام عن النبيِّ صلى الله عليه وآله: (فَقَفّى بِهِ الرُّسُلَ وخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ)[٣].

وقال عليه السلام: (بَعَثَ اللهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ وجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ)[٤].

وقال عليه السلام: (بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ! لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ

---

(١) الشعراء:١٩٣ - ١٩٤.

(٢) تفسير الميزان: ١٥: ٣٤٦.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٣٣.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة ١٤٤.

مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ والآنْبَاءِ وأَخْبَارِ السَّمَاءِ)[١].

وقد أوضح الشيخ المفيد في شرح اعتقادات الصدوق رحمهما الله تعالى الاستعمال الاصطلاحي لكلمة وحي بقوله: (إذا أضيف «الوحي» إلى اللّه تعالى كان فيما يخص به الرسل صلى اللّه عليهم خاصة دون من سواهم على عرف الإسلام وشريعة النبي (صلى الله عليه وآله).

وهذا الصنف من الوحي الإلهي الى البشر قد انقطع بوفاة نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) ولتأكيد هذا المعتقد الضروري في الإسلام.

قال (ره): (والاتفاق على انه من زعم ان أحدا بعد نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) يوحى اليه فقد أخطا وكفر، ولحصول العلم بذلك من دين النبي (صلى الله عليه وآله)[٢].

ثم يوضح المعنى الاصطلاحي للوحي، بقوله: (وقد يُري اللّه سبحانه وتعالى في المنام خلقا كثيرا ما يصح تأويله، وتثبت حقيقته، لكنه لا يطلق بعد استقرار الشريعة عليه اسم الوحي، ولا يقال في هذا الوقت لمن طبعه اللّه على علم شي ء انه يوحى اليه..).

وقد جاء في توضيح المعنى الاصطلاحي أيضا: (وأما تفسير

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٣٥.

(٢) اوائل المقالات شرح عقائد الصدوق للشيخ المفيد، وانظر: بحار لأنوار، ج٢٦، ص ٨٤. وسفينة البحار، ج٢، ص ٦٣٨.

وحي النبوة والرسالة فهو: قوله تعالى: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا)[1].

وهكذا يتضح الاستعمال الاصطلاحي لكلمة وحي، ويفترق عن الاستعمالات الأخرى التي تنطبق على غير الأنبياء، كما يتضح ذلك.

الوحي في الاصطلاح القرآني

لقد استعمل القرآن الكريم كلمة الوحي في معان عديدة، وهذه الاستعمالات هي:

(**وحي الرسالة**)- استعمل القرآن الكريم كلمة (وحي) بمعناها الاصطلاحي كما اشرنا اليه آنفا.

(**الالقاء في الروع**)- استعمل القرآن الكريم كلمة وحي بمعنى الإلقاء في نفوس بعض العباد من غير الأنبياء، كإلقاء الله سبحانه ما أراد إلقاءه في نفس ام موسى وإلهامها. قال تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)[2].

(**الرؤيا**)- وقد نقل الشيخ المفيد تفسير هذا اللون من الوحي

---

(١) النساء: ١٦٣.

(٢) القصص: ٧.

بقوله عند تفسير الآية الانفة الذكر: (فاتفق اهل الإسلام على ان الوحي كان رؤيا، او كلاما سمعته ام موسى في منامها على الاختصاص).

وكإلقائه سبحانه في نفوس الحواريين ليؤمنوا بعيسى الذي صوره بقوله تعالى: (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ)[١].

(**الالهام**)- ونقرأ تفسيرا آخر لكلمة الوحي بمعنى (الهام) بعض الناس (**التوجيه**)- او توجيه بعض الخلائق، فقد نقل العلامة المجلسي من تفسير النعماني ما نصه: وأما وحي الإلهام فهو قوله عز وجل: (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ)[٢]. وقوله تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ)[٣].

وقد اشار الشيخ المفيد الى ان هذا اللون من الإلقاء يحصل لائمة اهل البيت الهداة (عليهم السلام) لما اتصفوا به من طهارة الذات، وصفاء النفس، وكمال التقوى، والتوجه الى اللّه سبحانه، على ان هذا الإلقاء ليس هو إلقاء أحكام او تشريع، فان ذلك منقطع بعد النبي

---

(١) المائدة: ١١١.

(٢) النحل: ٦٨.

(٣) القصص: ٧.

(صلى الله عليه وآله) ولا يصح القول به. قال رحمه اللّه: (وعندنا ان اللّه يسمع الحجج بعد نبيه كلاما يلقيه اليهم في علم ما يكون، لكنه لا يطلق عليه اسم الوحي، لما قدمناه من اجماع المسلمين على انه لا وحي الى احد بعد نبينا، وانه لا يقال في شي ء مما ذكرناه انه وحي الى احد). فهذا الصنف من الإلقاء الذي اشار اليه الرسول (صلى الله عليه وآله) واجمع المسلمون على حصوله لغير الأنبياء يتحقق للأولياء في المنام والإلهام والرؤيا، وغير ذلك من المبشرات التي ذكرها الحديث النبوي الشريف.

(**الوسوسة**)- استعمل القرآن كلمة (الوحي) بمعنى الوسوسة والإلقاء الخبيث في النفس، وقد جاء هذا الاستعمال في قوله تعالى: (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ)[1].

وبقوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ)[2].

(**الافهام الخفي**)- واستعمل القرآن كلمة الوحي بمعنى الاشارة المفهمة إفهاما خفيا للمراد. فقد جاء هذا الاستعمال في وصفه تعالى لإشارة النبي يحيى (عليه السلام) الى أصحابه.

---

(١) الانعام: ١٢١.

(٢) الانعام: ١١٢.

قال تعالى: (فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)[١].

(**التسخير**)- الإيحاء بمعنى التسخير ووضع النظام التكويني من قبل اللّه تعالى لتسير وفقه عوالم الطبيعة والمادة والأحياء. ويوضح هذا المعنى قوله تعالى: (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ)[٢].

وقوله عز وجل: (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ)[٣].

صور الوحي الى الأنبياء

قال تعالى: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝)[٤].

---

(١) مريم: ١١.

(٢) فصلت: ١٢.

(٣) النحل: ٦٨.

(٤) الشورى: ٥١ - ٥٢.

تتضمن الآيات انواع الوحي وهي ثلاثة: (وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَاب أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء) في هذه الاية الكريمة ينقسم الوحي فيها الى وحي بلا واسطة ووحي برسول، ووحي من وراء حجاب.

فهذه ثلاثة اقسام من الوحي، كلها وحي منه تعالى. فما كان لبشر ان يكلمه الله الا باحد هذه الثلاث، اما ان يكون عبر رسول من ملائكته وهو قوله تعالى: (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا)، كجبرئيل عليه السلام، فهو وحي بتوسط الرسول الذي هو ملك الوحي، فيوحي ذلك الملك بإذن الله ما يشاء الله سبحانه قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ × عَلَى قَلْبِكَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ﴾[2]، والموحي مع ذلك هو الله سبحانه كما قال: ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾[3].

او ان يكلمه من وراء حجاب، وهو قوله تعالى: (أَوْ مِن وَرَاء حِجَاب)، وحي مع واسطة هو الحجاب غير أن الواسطة لا يوحي كما في القسم الثالث وإنما يبتدىء الوحي مما وراء مكان، وليس وراء بمعنى خلف وإنما هو الخارج عن الشيء المحيط به.

---

(١) الشعراء: ١٩٢.

(٢) البقرة: ٩٧.

(٣) يوسف: ٣.

قال تعالى: ﴿وَاللّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾[١]، وهذا كتكليم موسى (عليه السلام) في الطور، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾[٢]، ومن هذا الباب ما أوحي إلى الأنبياء في مناماتهم.

وهذا اللون من الوحي هو الوحي المألوف في الرسالات، وبه نزلت الكتب والشرائع، فقد جعل اللّه جبرائيل (عليه السلام) وسيطا لإيصال رسالاته إلى الأنبياء (عليهم السلام).

قال اللّه تعالى: موضحا نزول القرآن على نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) بواسطة جبرائيل (عليه السلام): ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ × عَلَى قَلْبِكَ﴾[٣]. وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ﴾[٤].

او ان يكون التكليم (وَحْيًا) اي تكليم إلهي للنبي من غير واسطة بينة وبين ربه من رسول أو أي حجاب مفروض. فهو (الوحي) بلا توسط الملك، فهذا القسم ليس هو من قبيل (او من وراء حجاب)، اي ليس من

---

(١) البروج: ٢٠.

(٢) القصص: ٣٠.

(٣) الشعراء: ١٩٢.

(٤) البقرة: ٩٧.

قبيل (مِنَ الشَّجَرَةِ)، وليس هو من قبيل ارسال ملكا رسولا، بل هو قسم مختلف عنهما، والا كيف كان قسما برأسه، فهو ليس بداخل تحت او من وراء حجاب، وليس هو من قبيل ارسال جبرئيل او غيره من الملائكة. بل هو تكليم اللهي للرسول الاعظم صلى الله عليه وآله .

ففي البحار نقلا عن كمال الدين للشيخ الصدوق: سئل الصادق عليه السلام عن الغشية التي كانت تأخذ النبي صلى الله عليه وآله أكانت تكون عند هبوط جبرائيل؟ فقال: لا، إن جبرائيل إذا أتى النبي صلى الله عليه وآله لم يدخل عليه حتى يستأذنه، فإذا دخل عليه قعد بين يديه قعدة العبد، وإنما ذلك عند مخاطبة الله عز وجل إياه بغير ترجمان وواسطة[1].

هذا وقد نطقت الأخبار الكثيرة بأنه إذا كان الوحي للنبي صلى الله عليه وآله بواسطة جبرائيل فلا يثقل الوحي على النبي صلى الله عليه وآله ولا تصيبه السبتة.

فقد روى الشيخ أبو جعفر البرقي في العلل من المحاسن عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أتاه الوحي من الله وبينهما جبرائيل يقول: هو ذا جبرائيل، وقال لي جبرائيل، وإذا أتاه الوحي وليس بينهما جبرائيل تصيبه تلك السبتة، ويغشاه منه ما يغشاه لثقل الوحي عليه

---

(١) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٦٧.

من الله عز وجل[١].

وعن الشيخ الصدوق في التوحيد بإسناده عن زرارة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، الغشية التي كانت تصيب رسول الله صلى الله عليه وآله إذا نزل عليه الوحي؟ قال: فقال: ذلك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد، ذلك إذا تجلى الله له. قال: ثم قال: تلك النبوة يا زرارة، وأقبل يتخشع[٢].

يستفاد من هذه الأحاديث أن الغشية إنما كانت تصيبه لو لم يكن جبرائيل بينه وبين الله عز وجل، أما إذا كان جبرائيل فلا يصيبه شئ من ذلك.

الشيخ المفيد يصف هذه الحالة فيقول: (فاما الوحي من اللّه تعالى الى نبيه (صلى الله عليه وآله) فقد كان تارة بإسماعه الكلام من غير واسطة..)، ومثاله ما كلم اللّه به النبي محمدا (صلى الله عليه وآله) في معراجه المبارك عند سدرة المنتهى. وهذه المباشرة لا تعني زوال الحجاب الذي يكلم من ورائه البشر، كما ذكر اللّه سبحانه ذلك.

ولما كان للوحي في جميع هذه الأقسام نسبة إليه تعالى على اختلافها صح إسناد مطلق الوحي إليه بأي قسم من الأقسام تحقق وبهذه العناية أسند جميع الوحي إليه في كلامه كما قال: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا

---

(١) المحاسن للبرقي: في قسم العلل ص ٣٣٨.

(٢) التوحيد للصدوق: ص ١١٥ حديث ١٥.

إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوح وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلك إِلّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾[٢].

وقد تحدث القرآن الكريم عن حالات عديدة للإلقاء الإلهي وحالات الوحي الى الأنبياء التي يتلقاها الأنبياء بوعي ووضوح كامل لما يريد اللّه سبحانه ان يلقيه اليهم. وهذه الحالات منها:

الوحي بواسطة الرؤيا: ومن صور الوحي للأنبياء هو الرؤيا الصادقة التي يريها اللّه سبحانه لأنبيائه ورسله (عليه السلام). وتحدث القرآن عن رؤيا إبراهيم ويوسف ومحمد (صلى الله عليه وآله)، نذكر منها حديث القرآن عن الرؤيا التي أراها اللّه سبحانه لنبيه في دخول المسجد الحرام، وتحقيق النصر له. قال تعالى: (لَقَدْ صَدَقَ اللّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا)[٣].

وقوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاّ

---

(١) النساء: ١٦٣.

(٢) النحل: ٤٣.

(٣) الفتح: ٢٧.

طُغْيَاناً كَبِيراً)[١].

وروى الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) حين سئل: كم تتأخر الرؤيا؟ قال: «رأى رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) في منامه كان كلبا أبقع يلغ في دمه فكان، اي ذلك الكلب الابقع شمرا، قاتل الحسين، وكان أبرص، فكان تأخير الرؤيا بعد خمسين سنة».

وورد عن الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) قوله: «رؤيا الأنبياء وحي».

ويوضح الإمام الصادق (عليه السلام) إن صنفا من الأنبياء يتلقون وحيهم عن طريق الرؤيا، فقد روي عنه قوله في هذا الصنف من التلقي: «الرسول الذي يأتيه جبريل قبلا فيراه ويكلمه، فهذا الرسول.

وأما النبي فهو الذي يرى في منامه، نحو رؤيا إبراهيم، ونحو ما كان رأى رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) من أسباب النبوة قبل الوحي، حتى أتاه جبريل (عليه السلام) من عند اللّه بالرسالة».

وقد روي عن عائشة في البخاري وغيره قولها: (اول ما بدئ به رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم..).

النفث في الروع والإلقاء في النفس: ومن صور الوحي والإلقاء الإلهي في نفوس الأنبياء هو النفث في الروع. فقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) بيانه لهذه الصورة من صور الوحي، روى الامام جعفر بن

(١) الاسراء: ٦٠.

محمد الصادق (عليه السلام) قول الرسول (صلى الله عليه وآله): ايها الناس اني لم ادع شيئا يقربكم الى الجنة، ويباعدكم من النار، الا وقد نباتكم به، إلا وان روح القدس نفث في روعي، واخبرني ان لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا اللّه عز وجل، وأجملوا في الطلب .

وهكذا يوضح هذا الحديث طريقة النفث في الروع والإلقاء في نفس النبي (صلى الله عليه وآله) المقدسة.

بدء الوحي في حياته صلى اللّه عليه وآله

في هذا الموضوع نحاول ان ندرس مسالة بدء الوحي إلى النبي محمد (صلى الله عليه وآله) فان تحديد بداية الوحي الى النبي (صلى الله عليه وآله) توضح لنا مسائل عديدة، من أبرزها إنهاء التقولات التي وصف بها موقف النبي حين مخاطبة جبريل (عليه السلام) له في غار حراء. فقد جاءت روايات مختلفة تصور لنا موقف النبي (صلى الله عليه وآله) من تلقي البشارة بالبعثة الى البشرية يوم أراد اللّه سبحانه بعثه الى الناس كافة، تروي ان النبي (صلى الله عليه وآله) لم يكن يعرف ما حدث له، فعاد الى اهله يملا قلبه الرعب والشك بنفسه، وهو يبحث عن تفسير لما رأى وسمع، فكان فهم ذلك وتفسيره عند خديجة وورقة بن نوفل. ولكي نقف على جانب من تلك الروايات فلنقرأ:

اخرج البخاري عن عائشة: أول ما بدئ به رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) من الوحي، الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا الا وجاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب اليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء،

فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع الى اهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرا، قال: (ما انا بقارئ). قال: (فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما انا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم ارسلني فقال: اقرا، فقلت: ما انا بقارئ، فاخذني فغطني الثالثة، ثم ارسلني فقال: (اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم). فرجع بها رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد، رضي اللّه عنها، فقال: (زملوني، زملوني). فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال خديجة، واخبرها الخبر: (لقد خشيت على نفسي). فقالت خديجة: كلا، واللّه ما يخزيك اللّه أبدا، انك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة، وكان امرءا تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء اللّه ان يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يابن عم، اسمع من ابن اخيك. فقال له ورقة: يا ابن اخي ماذا ترى؟ فاخبره رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) خبر ما راى، فقال له ورقة: هذا

الناموس الذي نزله اللّه على موسى..)[١].

ويتحدث الطبري في تاريخه عن بدء الوحي في غار حراء فيصور ذلك المشهد بالرواية التي رواها البخاري مضيفا: حتى فجأه الحق، فأتاه، فقال: يا محمد أنت رسول الله، قال رسول الله: فَجَثَوْتُ لِرُكْبَتَيَّ وأنا قائمٌ، ثُمَّ رَجَعْتُ تَرْجُفُ بَوَادِرِي، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلى خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، حتى ذَهَبَ عنِّي الرَّوْعُ، ثُمَّ أتاني فَقالَ: يا مُحَمَّدُ، أنا جِبْرِيلُ وأنْتَ رَسُولُ اللهِ، قال: فَلَقَدْ هَمَمْتُ أنْ أطْرَحَ نَفسِي مِنْ حالِقٍ مِنْ جَبَلٍ، فَتَمَثَّل إليَّ حينَ هَمَمْتُ بذلكَ، فَقالَ: يا مُحَمَّدُ، أنا جِبْرِيلُ، وأنْتَ رسُولُ اللهِ، ثُمَّ قالَ: اقْرأ، قُلْتُ: ما أقْرأ؟ قال: فأخَذَنِي فَغطَّنِي ثَلاثَ مرَّاتٍ، حتى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ قالَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) فَقَرأتُ، فأتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: لَقَدْ أشْفَقْتُ عَلى نَفْسِي، فأخْبَرْتُها خَبَرِي، فَقالَتْ: أبْشِرْ، فَوَاللهِ لا يُخْزِيكَ اللهُ أبدًا، وَوَاللهِ إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتُؤَدِّي الأمانَةَ، وَتحمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ عَلى نَوائِبِ الْحَقِّ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِي إلى وَرَقَةَ بنِ نَوْفَل بنِ أسَدٍ، قالَتْ: اسْمعْ مِن ابْنِ أخِيكَ، فَسألَنِي، فأخْبَرْتُهُ خَبَرِي، فَقالَ: هَذا النَّامُوسُ الَّذِي أُنزِلَ عَلَى مُوسَى صَلى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ، لَيْتَنِي فِيها جَذَعٌ، لَيْتَنِي أكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، قُلْتُ: أوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟ قال: نَعَمْ،

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب التعبير باب أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة: ٦٥٨١.

إنَّهُ لَمْ يَجِئ رَجُلٌ قَطّ بِمَا جِئْتَ بِهِ، إلا عُودِي، وَلَئِنْ أدْرَكنِي يوْمُك أنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا.

ويروي لنا الطبري حوادث بدء الوحي في رواية أخرى، فيقول بعد ان تحدث عن حوار جبريل مع النبي: فجاء الى خديجة فقال: يا خديجة ما أراني إلا قد عرض لي، قالت: كلا، واللّه ما كان ربك يفعل ذلك بك، ما أتيت فاحشة قط، قال: فاتت خديجة ورقة ابن نوفل فأخبرته الخبر، فقال: لئن كنت صادقة، ان زوجك لنبي.

قول أهل البيت عليهم السلام في مرحلة الإعداد الإلهي

وقد جاء عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وعن عدد من علماء ينتسبون إلى مدارس مذهبية متباينة.. من إن النبي لم يفاجأ بالوحي، وان هناك مرحلة إعداد الهي، وتربية للنبي (صلى الله عليه وآله) ليكون مؤهلا لتلقي الوحي، واستقبال المهمة الكبرى في عالم الإنسان. وليس كما صوره البعض.. قال الأحول: سالت أبا جعفر (عليه السلام) عن الرسول والنبي والمحدث: قال: (الرسول الذي يأتيه جبريل قبلا فيراه ويكلمه، فهذا الرسول، وأما النبي فهو الذي يرى في منامه نحو رؤيا إبراهيم (عليه السلام) ونحو ما كان رأى رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) من أسباب النبوة قبل الوحي، حتى أتاه جبريل (عليه السلام) من عند اللّه بالرسالة، وكان محمد (صلى الله عليه وآله) حين جمع له النبوة، وجاءته الرسالة من عند اللّه يجيئه بها جبريل (عليه السلام)، ويكلمه قبلا..).

وعن زرارة قال: قلت لأبي عبد اللّه: كيف لم يخف رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) فيما يأتيه من قبل اللّه أن يكون ذلك مما ينزغ به الشيطان؟ قال: فقال: «إن اللّه إذا اتخذ عبدا رسولا انزل عليه السكينة والوقار فكان يأتيه من قبل اللّه، عز وجل، مثل الذي يراه بعينه».

وتحدث الإمام علي (عليه السلام) في الإعداد الإلهي لشخص النبي الكريم وتأهيله للنبوة فقال: «لقد قرن اللّه به من لدن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره».

ونقل الماوردي عن الشعبي ما يساوق قول الإمام علي (عليه السلام) فقد جاء فيه: (إن اللّه قرن اسرافيل (عليه السلام) بنبيه ثلاث سنين، يسمع حسه، ولا يرى شخصه، يعلمه الشيء بعد الشيء، ولا يذكر له القرآن، فكان في هذه المدة مبشرا بالنبوة، وامهله هذه المدة، ليتأهب لوحيه).

واخرج البخاري ومسلم عن عائشة إنها قالت: (أول ما بدئ به رسول اللّه من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح..)[1].

وقال القاضي وغيره: وإنما ابتدئ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) بالرؤيا لئلا يفاجئه الملك الذي هو جبرائيل (عليه السلام) بالنبوة: أي

---

(١) البخاري ح ٢٣١باب بدء الوحي: ١٤٠.

الرسالة، فلا تتحملها القوى البشرية: اي لان القوى البشرية لا تتحمل رؤية الملك، وان لم يكن على صورته التي خلقه اللّه عليها، ولا على سماع صوته، ولا على ما يخبر به، لا سيما الرسالة، فكانت الرؤيا أنيسا له (صلى الله عليه وآله) والمراد بالملك جبرائيل (عليه السلام).

ثم نقل الحلبي في سياق عرضه للآراء الواردة في بدئ الوحي فقال: وعن علقمة بن قيس: (أول ما يؤتى به الأنبياء في النوم، أي ما يكون في المنام، حتى تهدا قلوبهم، ثم ينزل الوحي)[1].

ثم علق الحلبي على ذلك بقوله: أي في اليقظة، لان رؤيا الأنبياء وحي وصدق وحق، لا أضغاث أحلام، ولا تخيل من الشيطان، اذ لا سبيل له عليهم، لان قلوبهم نورانية فما يرونه في المنام، له حكم اليقظة، فجميع ما ينطبع في عالم مثالهم لا يكون الا حقا، ومن ثم جاء: نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا..

ثم قال: (وذكر بعضهم ان مدة الرؤيا ستة أشهر، قال: فيكون ابتداء الرؤيا حصل في شهر ربيع الاول، وهو مولده (صلى الله عليه وآله) ثم أوحى اللّه إليه في اليقظة، أي في رمضان، ذكره البيهقي وغيره).

وتحدّث العلامة ألمجلسي بعد أن عرض جملة من الأخبار والروايات والتحليلات المتعلقة ببدء الوحي، قال: فإذا عرفت ذلك اعلم

---

(١) السيرة الحلبية ج١ ص٣٩٧ .

ان الذي ظهر لي من الأخبار المعتبرة، والآثار المستفيضة، هو انه كان قبل بعثته، مذ أكمل اللّه عقله في بدو سنه، نبيا مؤيدا بروح القدس، يكلمه الملك، ويسمع الصوت، ويرى في المنام، ثم بعد أربعين سنة صار رسولا، وكلمه الملك معاينة، ونزل عليه القرآن، وأمر بالتبليغ، وكان يعبد اللّه قبل ذلك بصنوف العبادات، إما موافقا لما أمر به الناس بعد التبليغ، وهو اظهر، او على وجه آخر، وإما مطابقا لشريعة إبراهيم (عليه السلام) أو غيره ممن تقدمه من الأنبياء (عليهم السلام) لا على وجه كونه تابعا لهم، او عاملا بشريعتهم بل إن ما أوحي إليه كان مطابقا لبعض شرائعهم، أو على وجه آخر نسخ بما نزل عليه بعد الإرسال.

يتحصل: ان ثمة حقيقة منطقية، كشفت واقعا موضوعيا. يتلخص في إن اللّه سبحانه قد اعد نبيه، وهيأه لتحمل تلك المسؤولية الكبرى، ورعاه رعاية ربانية عن طريق ملك (روح القدس) مكلف بذلك قبل ان يكلف بحمل الرسالة الى البشرية في غار حراء. وان فترة الخلوة التي كان يخلوها في غار حراء كان فيها نبيا، فكان يخلو للتعبد والتامل، منتظرا البعثة والرسالة. ولم يفاجأ بشي ء أبدا. وبعد ان كمل عمره الشريف أربعين سنة، نزل عليه جبريل (عليه السلام) بالقرآن، وبعثه اللّه إلى الناس رسولا.

كيفية نزول القرآن

لقد تحدث القرآن عن زمن النزول وكيفيته، فأوضح إن القرآن نزل في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك، جاء ذلك في قوله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَات مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)[1].

ثم بين الليلة التي نزل فيها القرآن، فقال: (إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم). وبيَّن هذه الليلة المباركة بقوله: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ). وهكذا يوضح القرآن انه نزل ليلا في ليلة القدر على النبي الأمين محمد (صلى الله عليه وآله) في شهر رمضان المبارك. وقد عرفت كيفية نزول القرآن وتنزيله من قبل اللّه تعالى على النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، في قوله سبحانه (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللّهُ إِلاّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَاب..).

وقال تعالى: (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)[2]. أي فإذا أتممنا قراءته عليك وحيا فاتبع قراءتنا له و اقرأ بعد تمامها. وقيل: المراد باتباع قرآنه اتباعه ذهنا بالإنصات و التوجه التام إليه و هو معنى لا بأس به. وقيل: المراد فاتبع في الأوامر و النواهي قرآنه، و قيل: المراد اتباع

---

(١) البقرة: ١٨٥.

(٢) القيامة: ١٨.

قراءته بالتكرار حتى يرسخ في الذهن و هما معنيان بعيدان.

وقال تعالى: (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا)[١].

وقال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا)[٢].

تحصل: ان القرآن نزل وحيا من ربٍ العزة، وبصورة قراءة، نزل به جبريل على النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وليس مكتوبا بصحف او ألواح، كما نزلت الكتب الإلهية الأخرى.

وان النزول بدا في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك، كما نزلت الكتب الإلهية التوراة والإنجيل والزبور في هذا الشهر المبارك، كما تفيد الروايات ذلك.

وإن القرآن نزل مفرقا على شكل آيات أو سور أحيانا، ولم ينزل بصورته الكاملة على النبي محمد(صلى الله عليه وآله) دفعة واحدة، ويتضح ذلك من قوله تعالى: (لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ)[٣]. و (وَرَتَّلْنَاهُ

---

(١) الاسراء: ١٠٦.

(٢) الفرقان: ٣٢.

(٣) الاسراء: ١٠٦.

تَرْتِيلًا)[١]، أي بيناه وفرقناه تفريقا، آية بعد آية. وهو ما يذهب إليه جمع من العلماء والمحققين، وبه قال الشيخ المفيد.

كما يتضح ذلك من رده على الكافرين (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا)، الذين طالبوا بإنزاله جملة واحدة على النبي محمد(صلى الله عليه وآله).

غير ان هناك من يذهب الى ان القرآن نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم انزله اللّه تعالى عن طريق جبرائيل على نبيه محمد(صلى الله عليه وآله) مفرقا. وقد اخرج الحاكم والبيهقي والنسائي وابن ابي شيبة وابن ابي حاتم والطبراني والبزار وابن مردويه عن ابن عباس بعدة طرق، اخرجوا ذلك.

ومن يذهب إلى هذا القول الشيخ الصدوق أيضا: (إن القرآن نزل في شهر رمضان، في ليلة القدر جملة واحدة إلى البيت المعمور ثم انزل من البيت المعمور في مدة عشرين سنة).

وقد ردّ الشيخ المفيد على هذا الرأي بقوله: الذي ذهب إليه أبو جعفر (الشيخ الصدوق) في هذا الباب أصله حديث واحد، لا يوجب علما ولا عملا ونزول القرآن على الأسباب الحادثة، حالا فحالا يدل على خلاف ما تضمنه الحديث .

---

(١) الفرقان: ٣٢.

أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل منه

إن أول ما نزل من القرآن هو قوله تعالى: بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ × خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ × اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ × الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ × عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ×) فهذه الآيات الخمس بعد البسملة، هي أول ما نزل من القرآن على النبي (صلى الله عليه وآله) في غار حراء. أما الآيات الأخرى من سورة العلق فقد نزلت بعد فترة من الزمن ثم وضعت في موضعها الذي هي فيه من السورة. غير إن هناك آراء وروايات تتحدث عن إن أول ما نزل من القرآن هو سورة المدثر، وأخرى تذهب إلى إن أول ما نزل من القرآن هو سورة الفاتحة. واختار الطوسي والطباطبائي في تفسيريهما: إن أول ما نزل من القرآن، هو الآيات الخمس من سورة العلق.

وكما اختلف في أول ما نزل من القرآن، اختلف كذلك في آخر ما نزل منه، فقيل هي سورة براءة، وقيل سورة: اذا جاء نصر اللّه والفتح، وقيل سورة المائدة، وقيل غير ذلك. ويرجح إن آخر ما نزل من القرآن هو قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً)[1].

---

(١) المائدة: ٣.

المشركون ونزول الآيات بالتدريج

في رأي بعض العلماء أن القرآن الكريم قد نزل على الرسول (صلى الله عليه وآله) مرتين: نزل في ليلة القدر جملة واحدة، إجمالاً. ونزل على الرسول تدريجاً على سبيل التفصيل خلال ثلاث وعشرين سنة. ومعنى نزوله إجمالاً، هو نزول المعارف الإلهية المشتمل عليها القرآن الكريم، والأسرار الكبرى على قلب النبي (صلى الله عليه واله)؛ لكي تمتلئ روحه بنور المعارف القرآنية المباركة، ومعنى نزوله على سبيل التفصيل، هو نزوله بألفاظه المحدّدة وآياته المتتالية التي كانت في بعض الأحيان مرتبطة بالأحداث والوقائع المتصلة في زمن الرسالة المباركة، ومواكبة تطور الأحداث، قال تعالى: (الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)[1].

توضيح التدرج: لقد تنوّعت الحالات التي مرّت على النبي (صلى الله عليه وآله)، وقد تخللت مدة الثلاث والعشرين سنة الماضية، تبعاً لما مرّت به الدعوة الإسلامية من آلام ومحن، وما قاسته من الشدائد وحازته من تقدم، وما حققته من انتصارات، وهي الأحداث التي كان الإنسان متفاعلاً معها في أقواله وأفعاله. والقرآن الكريم قد واكب هذه الأحداث عبر تلك السنين، من ضعفها وقوتها وعسرها ويسرها

---

(١) هود: ١.

وهزائمها وانتصاراتها وكان يسايرها، ومع ذلك كان ذا مستوى يعلو على جميع الاعتبارات القائمة ويأخذ بجذبها إليه والانجذاب لله تعالى. ولم يتأثر القرآن بشكل من أشكال الانفعال البشري، بل كان مؤثراً فيها. فإن تنزيل القرآن تدريجاً كان امتداداً وإمدادا معنوياً مستمراً للرسول (صلى الله عليه وآله)، كما قال الله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا)[١]. وقيل إن الوحي إذا كان يتجدّد في كل حادثة كان أقوى للقلب وأعمق تأثيراً، وأكثر أهمية بالمرسل إليه، ويتطلب ذلك نزول الملك وتجديد العهد به، وتقوية آمال الرسول الخالصة، وتعاليه على كل المصائب والمصاعب والمشاكل التي تعترض الرسالة الكريمة. فكان القرآن الكريم يأمر الرسول بالصبر فيقول تعالى: (وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً)[٢]. وينهى الرسول (صلى الله عليه وآله) عن أمر في قوله: (وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)[٣]. وحيث ان الهدف الأساس في القران ان يسهم بشكل اساس في عملية التغيير الشاملة للانسانية جميعا، في روح الانسان وعقله وإرادته، وبناء أُمة توحيديّة وصنع حضارة كريمة شاملة، ومثل هذا العمل الكبير لا يمكن أن يكون

---

(١) الفرقان: ٣٢.

(٢) المزمل: ١٠.

(٣) يونس: ٦٥.

عفوياً ويقع مرة واحدة، بل لا بد من التدرّج فيه. ولهذا كان ضرورياً نزول القرآن الكريم تدريجاً لترسيخ عملية البناء وإنشاء جيل متين رصين، مجتثّاً بذلك جذور الجاهلية الأولى ورواسبها وشوائبها بحكمة وأناة، وأوضح مثال لذلك هو عملية تحريم الخمر التدريجية.

وكانت الرسالة الإسلامية المباركة تواجه الكثير من الاتهامات والشبهات وأسئلة المشركين، فلذا كان على الرسول أن يواجه التحدّيات بالموقف والتفسير المتناسبين، وذلك لا يتم بشكل سليم إلاّ بشكل تدريجي؛ لأن طبيعة هذه المواقف المعادية هي تدريجية، فتحتاج إلى معالجة ميدانية فائقة. ولعل قوله تعالى يشير الى ذلك: (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)[1].

وقد أثار المشركون شبهة حاصلها: إن نزول القرآن مفرقا يعني إن النبي(صلى الله عليه وآله) ليس مرسلا بدين من اللّه سبحانه، إذ لو كان وحيا إلهيا على زعمهم لنزل دينا كاملا مرة واحدة، ونزوله مفرقا يعني انه قول البشر يتأمل نصوصه فيأتي بها.

فاجاب القران العزيز، وموضحا الحكمة من النزول مفرقا، فقال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ

---

(١) الفرقان: ٣٣.

فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا)[١]. ويمكن ان يكون سبب هذه الشبهة ما هو معروف من أخبار الديانات السابقة، إن الكتب أنزلت مكتوبة جملة واحدة، وكيفية نزول القرآن تختلف عن كيفية نزول التوراة والإنجيل والزبور، فالقرآن نزل قراءة ومفرقا، أما تلك الكتب فقد نزلت مكتوبة جملة واحدة وبصيغتها الكاملة. وقد ذكر القرآن ذلك، كما في قوله تعالى: (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ)[٢].

وقال تعالى: (وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ)[٣]. وهكذا يوضح القرآن ان التوراة أنزلت مكتوبة بشكلها الكامل في الألواح، وبهذه الصيغة تلقاها موسى (عليه السلام). وقد بين القرآن الحكمة من نزوله مفرقا في الآية من سورة الفرقان (لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا)، كما وبين ذلك في سورة الأعراف (وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ). فالحكمة إذن هي أن استمرار نزول الوحي، وتواصل نزول القرآن ومواصلة النبي بالقرآن، يثبت فؤاد النبي (صلى الله عليه وآله) ويقوي

---

(١) الفرقان: ٣٢.

(٢) الأعراف: ١٤٥.

(٣) الأعراف: ١٥٤.

موقفه الجهادي في مواجهة التحديات أولا. والرسالة الإسلامية رسالة تغيير شامل، وتسعى لبناء مجتمع ودولة وحضارة، وتثبيت قانون ونظام. والتغيير والبناء يقتضي التدرج في التبليغ لمواصلة عملية الهدم والبناء، ولترسخ الدعوة في النفوس، وتستوعب العقيدة والأحكام والمفاهيم بشكل تدريجي، وليستقبل الناس التغيير على مراحل، وليتفاعلوا مع مبادئ القرآن، وتتهيا النفوس لتحمل التكاليف.

وهكذا يكون العامل الزمني والنزول التدريجي قضية ضرورية للنبي (صلى الله عليه وآله) وللمجتمع كما يوضح القرآن ذلك.

ليلة القدر ونزول الكتب السماوية

الواجب على المسلم الإيمان بكل ما أنزله الله تعالى من الكتب على أنبيائه ورسله على وجه العموم، كما قال تعالى: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ)[1]. وقال تعالى: (وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ)[2]. أما الإيمان بالكتب السماوية على وجه التفصيل، فلا يجب إلا بما أخبر به الله ورسوله صلى الله عليه وآله، والإجماع منعقد على وجوب الإيمان بأربعة كتب هي: التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، وبصحف إبراهيم وصحف موسى،

---

(١) البقرة: ٢٨٥.

(٢) الشورى: ١٥.

قال تعالى: (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ) [١].

وقال تعالى: (إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى× صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى)[٢]. وبذلك تكون الكتب الإلهية السماوية قد نزلت على ثمانية أنبياء مرسلين هم: آدم وشيت وإدريس وإبراهيم وموسى وداوود وعيسى ومحمد (صلى الله عليه وآله وعلى انبياء الله ورسله اجمعين) في أماكن متفرقة وأزمان متباعدة ولغات مختلفة. فصحف آدم (عليه السلام)وولده شيت(عليه السلام) وإدريس (أخنوخ) (عليه السلام) نزلت باللغة السريانية في أزمان ليس لدينا معلومات تاريخية كافية عن تواريخ نزولها ولاعن محتوياتهاوكلها نزلت قبل طوفان نوح (عليه السلام)، أي قبل حوالي أربعة ألاف سنة قبل الميلاد.

وأماصحف إبراهيم (عليه السلام) فقد نزلت باللغة الأرامية خلال الأعوام ١٩٨٥ - ١٨٣٣ق. م. أي طول مدة ١٣٥ سنة، ويزعم بعض أحبار اليهود أنها موجودة في كتاب القبول المتداول بين علمائهم وأحبارهم .

وأما التوراة فنزلت على موسى (عليه السلام) باللغة العبرانية خلال الأعوام ١٢٥٠ - ١٣٣٠ق. م. أي طول مدة ٨٠ سنة .

وأما الزبور (المزامير) فقدنزلت على داوود (عليه السلام) باللغة

---

(١) آل عمران: ٣.

(٢) الأعلى: ١٨-١٩.

العبرانية خلال الأعوام ٩٨٠ - ٩٦٠ق. م. أي طول مدة عشرين سنة .

ونزل الأنجيل على عيسى بن مريم (عليه السلام) باللغة السريانية خلال الأعوام ٢٥ - ٣٠م. أي مدة ٢٢سنة.

والمعروف من الأحاديث النبوية وأحاديث ومرويات الأئمة (عليه السلام) أن كل هذه الكتب السماوية قد بدأ نزولها في شهر رمضان وخاصة ليلة القدر.

وفي الكافي عن حفص بن الغياث عن ابي عبدالله قال سألته عن قول الله عزوجل: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن)، فقال أبو عبد الله (عليه السلام) نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور ثم نزل في طول عشرين سنة ثم قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله): نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهررمضان وأنزلت التوراة لست مضين من شهر رمضان وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من شهر رمضان وأنزل القرآن في ثلاث وعشرين من شهررمضان.

وجاء في الكافي عن يعقوب قال سمعت رجلا يسأل أباعبد الله عن ليلة القدر فقال أخبرني عن ليلة القدر كانت أوتكون في كل سنة ؟ فقال أبو عبد الله (عليه السلام): لورفعت ليلة القدر لرفع القرآن.

وجاء في الدر المنثور عن إبن عباس قال: شهر رمضان والليلة المباركة وليلة القدر، فإن ليلة القدر هي الليلة المباركة وهي في رمضان إذ نزل القرآن جملة واحدة من الذكر الحكيم إلى البيت المعمور وهو موقع النجوم في السماء الدنيا حيث رفع القرآن ثم نزل على محمد

(صلى الله عليه وآله) بعد ذلك.

وقال الله تعالى: (وَالطُّورِ ۞ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۞ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۞ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۞ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۞ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۞)[1].

(١) الطور: ١ - ٦.

الفصل الثاني

الاساليب البلاغية في الذكر الحكيم

الفصل الثاني

يقف هذا البحث مع ما يكون في الآيات الكريمات المتحدّثة عن القرآن من فنون البلاغة الثلاث المعاني والبيان والبديع؛ للوقوف على ما تمَّ فيها من اساليب بيانية حكيمة كاسلوب التشبيه والكناية، ومن ثم النظر في ما تحققه هذه الأساليب من تجلية لمضمون تلك الآيات في حديثها عن القرآن في مجالاتها المختلفة.

ففي القرآن الكريم وعبر أسلوبه المميز، في معرفة الله لخلقه قد اختار لهم التعبير الأنسب والتصوير الأقرب الذي به تتأثر عقولهم وتثار نفوسهم لتصل الرسالة السماوية إلى كل إنسان، فالتشبيه في القران وان كان عنصراً بيانياً يكسب النص روعة واستقامة وتقريب فهم، إلا انه يعود ضروريا لأداء المعنى القرآني متكاملاً من جميع الوجوه . وسيتضح أثر التشبيه وبلاغته عبر الوقفات التحليلية البلاغية في الآيات الكريمات المتحدثة عن القرآن، المشتملة على التشبيه لتتضح معالم البلاغة في اسراره الجمالية والجلالية. وقد أثر النظم القرآني في هذا السياق لفظة (قسورة) من دون لفظة (أسد) أو ما عداها من أسماء الأسد الكثيرة، وذلك لما فيها من الإيحاءات والدلالات ما ليس في غيرها من الألفاظ، ففيها دلالة على القسر والقهر والغلبة، فقد سمي بذلك؛ لأنه يقهر السباع ويغلبها، فضلاً عما فيها من الإيقاع

والجرس القوي الخاص بها، ليزيد من هيبته هيبةً، ويضيف إلى عظمته عظمةً أخرى، لتحل مكانته في القلوب، وتجل منه النفوس[١].

(١)ـ اسلوب المثل في الذكر الحكيم

المثل جمعها أمثال، لقوله تعالى: (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[٢]. وقوله تعال: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ﴾[٤].

والمَثل والمِثل والمثيل: كالشَّبه والشِّبه والشبيه لفظًا ومعنى، والمثل في الأدب: قول محكي سائر يقصد به تشبيه حال الذي حُكِي فيه بحال الذي قيل لأجله، أي يشبه مضربه بمورده، مثل: (رُب رمية من غير رام)، أي رُب رمية مصيبة حصلت من رام شأنه أن يخطئ، وأول من قال هذا الحكم بن يغوث النقري، يضرب للمخطئ يصيب أحيانًا، وعلى هذا فلا بد له من مورد يشبه مضربه به. ويطلق المثل على الحال والقصة العجيبة الشأن.

وبهذا المعنى فُسر لفظ المثل في كثير من آيات. كقوله تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاء غَيْرِ آسِنٍ}[٥]، أي قصتها

---

(١) ينظر: الكشاف، للزمخشري: ١٨٨/٤.

(٢) الحشر.

(٣) العنكبوت.

(٤) النور: ٣٥.

(٥) سورة محمد(صلى الله عليه وآله): ١٥.

وصفتها التي يُتعجب منها.

وأشار الزمخشري إلى هذه المعاني الثلاثة في كشافه فقال: والمثل في أصل كلامهم بمعنى المِثل والنظير، ثم قيل للقول السائر الممثَّل مضربه بمورده: مثل، ولم يضربوا مثلًا ولا رأوه أهلًا للتسيير ولا جديراً بالتداول والقبول إلا قولًا فيه غرابة من بعض الوجوه.. ثم قال: وقد استعير المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة.

وقد ذكر الله سبحانه في كتابه العزيز أنه يضرب الأمثال: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[1]، {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}[2]، {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[3]، وعن امير المؤمنين عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الله أنزل القرآن آمراً وزاجراً، وسُنة خالية، ومثلًا مضروباً. يبين الله سبحانه وتعالى موقف المشركين جميعاً من القرآن، مصوراً إستكبارهم عما جاء فيه، يقول الله تعالى: {فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ × كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ × فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ × بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ

---

(١) الحشر: ٢١.

(٢) العنكبوت: ٤٣.

(٣) الزمر: ٢٧.

مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفاً مُّنَشَّرَةً }[١]. للمتأمل يجد ان الاية قد بدأت بالإستفهام الإنكاري لحالهم مع القرآن، وتعجباً من الإعراض عنه، يدل على ذلك الاستفتاح بصيغة (فما لهم) وقد زاد هذا الإستفهام تعجباً وإنكاراً إن الذي أعرضوا عنه تذكرة لهم، جاء لهدايتهم وصلاحهم، فكيف يعرضون عن هذه التذكرة ؟ ومن هنا جاء الإستفهام الإنكاري التعجبي دلالة على هذا المعنى، وقد تقدم الجار والمجرور (عن التذكرة) على متعلقة (معرضين) وفي هذا بيان للأمر الذي أعرضوا عنه، والكشف عنه، كما أن فيه اهتماماً للمقدم، وعناية به، فيكون في هذا التقديم تسفيه بهم وبعقولهم، إذ جهلوا قدر هذه التذكرة، وما رعوها حق رعايتها، ومن هنا تبين لنا سرُّ هذا التقديم، ودلالته في المقام الذي ورد فيه، فلم يكن الغرض منه مراعاة الفاصلة والمحافظة عليها، كما رأى ابن الأثير في كتابة المثل السائر [٢] .

وفي مجيء لفظة (معرضين) اسماً دلالة على ثبوتهم ودوامهم على هذا الإعراض، وفي ذلك دلالة على الكفر المتأصل في قلوبهم، كما في مجيئه إسماً ذم لهم، وبيان لموقفهم الثابت مع القرآن وهو الإعراض عنه، ولإيضاح صورة هذا الإعراض ذكر سبحانه تشبه هؤلاء المعرضين عن القرآن بالحُمر، في قوله: (كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ × فَرَّتْ مِن

---

(١) المدثر: ٤٩-٥٢ .

(٢) ينظر: المثل السائر، ابن الأثير: ٣٦/٢.

قَسْوَرَة). أي كأن هؤلاء القوم في إعراضهم عن القرآن، ونفارهم منه الحُمر حين تفر ممن يريد صيدها، فلينظر المتلقي إلى هذه الصورة البيانية الرائعة التي صورت حال القوم، وهم يعرضون عن الحق، بيد أن هذا الإعراض والفرار لا يزيدهم إلا حسرةً واضطراباً، فما أشبههم بالحمر الوحشية النافرة التي تهيم على وجهها فارّة من أسد يريد إفتراسها.

إذ في هذا التشبيه أسرار بلاغية جمّة، فقد شُبه القوم في إعراضهم عن القرآن بالحمر، والسر في اختيار الحمر هنا من دون سواها من الحيوانات هو إشارة إلى بلوغهم الغاية القصوى في الجهل والبلادة والغباء، فإعراض هؤلاء المشركين عن التذكرة دلالة واضحة على شدة غبائهم وفرط بلادتهم، وهناك سر آخر في هذا التشبيه، فقد شبه هؤلاء القوم بالحمر في عَدْوِها وخِفَّتها دلالة على موقف أولئك المعرضين عن القرآن، وتصوير دقيق لهم وقت سماعهم لتلك الآيات وتلاوتها عليهم، فما إن يسمعوا آيات الله إلا ونراهم يفرون منها في خِفَّة وطيش، فحالتهم هذه كحالة الحمر وقد لفَّها الذعر، وشملها حين رأت الأسد مقبلاً عليها، وهذا سر من أسرار القرآن الكريم، وخصيصة من خصائص تشبيهاته وهي تلك القيود التي يجعلها في المشبه به، حتى قيل ان من عادة القرآن في رسم صورة التشبيه أن يذكر فيها من القيود وأحوال الصياغة مما يجعلها معبرة تعبيراً دقيقاً عن الغرض، ولهذه القيود والأحوال شأن في صورة التشبيه لا ينتبه إليها إلا المعني

بإبراز نواحي الجمال، وسر البلاغة في الأسلوب.

ومن الجدير بالذكر أن لفظة (مستنفرة) قد قرئت بفتح الفاء وكسرها فعلى قراءة الفتح (مستنفَرة) يكون المعنى: أن هذه الحمر مذعورة منفَّرة، أي محمولة على النفار، وعلى قراءة الكسر مستنفرة، يكون المعنى: نافرة، وفي هذه القراءة إشارة إلى أن هذا النفور طبيعة غالبة عليها، وهذا شأنها دائماً.

وقد ذكر في البلاغة وعلومها ان الحقائق السامية في معانيها وأهدافها تأخذ صورتها الرائعة إذا صيغت في قالب حسي يقربها إلى الأفهام بقياسها على المعلوم اليقيني، والتمثيل بمعنى التشبيه هو القالب الذي يبرز المعاني في صورة حية تستقر في الأذهان، بتشبيه الغائب بالحاضر، والمعقول بالمحسوس. وكم من معنى جميل أكسبه التمثيل روعة وجمالًا، فكان ذلك أدعى لتقبل النفس له، واقتناع العقل به، وهو من أساليب القرآن الكريم في ضروب بيانه ونواحي إعجازه.

لذا اعتبر الأليق في تعريف المثل في القرآن: هو إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس، سواء أكانت تشبيهاً أو قولًا مرسلًا. لان أمثال القرآن لا يستقيم حملها على أصل المعنى اللغوي الذي هو الشبيه والنظير، ولا يستقيم حملها على ما يذكر في كتب اللغة، إذ هي ليست أقوالًا استعملت على وجه تشبيه مضربها بموردها، فمن أمثال القرآن ما ليس باستعارة وما لم يعم استعماله. فتجد أكثرها على طريقة التشبيه الصريح كقوله تعالى: {إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

كَمَاء أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ}[١].

ومنها ما يجيء على طريقة التشبيه الضمني، كقوله تعالى: {وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ}[٢] إذ ليس فيه تشبيه صريح.

ومنها ما لم يشتمل على تشبيه ولا استعارة، كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيئًا لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ}[٣] فقوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً} وقد سماه الله مثلًا وليس فيه استعارة ولا تشبيه.

أنواع الأمثال في القرآن

استخدم في الاسلوب الحكيم مما جاء في الذكر الحكيم من الأمثال مؤديا بها تقريب المعنى في اذهان المخاطبين لمعنى الغيبيات التي لا نعرفها ولا نشاهدها، فضربت الأمثال في الإيمان بوحدانيته سبحانه وتعالى، وهي أنه لا إله إلا الله، يقول الحق جل جلاله: {ضَرَبَ

---

(١) يونس: ٢٤.

(٢) الحجرات: ١٢.

(٣) الحج: ٧٣.

اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ للَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ}[١].

وقول الحق تبارك وتعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [٢].

ثم يضرب الله سبحانه وتعالى لنا مثلا لنوره، هذا النور الإلهي الذي يضيء الدنيا والآخرة، فيضيء القلوب المؤمنة، إنه يريد أن يضرب لنا مثلا لهذا النور بشيء مادي محسوس، فيقول جل جلاله: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِى اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[٣]. **فضرب لنا سبحانه المثل بنوره جل جلاله الذي لا نشهده وهو غيب عنا، وهذا ليس نور الله تبارك وتعالى عن التشبيه والوصف، ولكنه مثل فقط للتقريب إلى الأذهان، فكأن نور الله يضيء كل ركن وكل بقعة، ولا يترك**

---

(١) الزمر: ٢٩.

(٢) النحل: ٧٦.

(٣) النور: ٣٥.

مكانا مظلما، فهو نور على نور.

ويضرب لنا المثل بما سيشهده المؤمنون في الجنة، فيقول الحق سبحانه: {مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى}[١].

هذا مثل يقرب الله سبحانه به الصورة بأشياء مادية محسوسة في حياتنا، وهذا ما يحيط به البشر علما ويدريه معرفة، والجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ومن هنا فإنه لا توجد أسماء في هذه الدنيا يمكن ان يتعقله العاقل تعبر عما في الجنة، واشار الى ذلك الملك الوهاب سبحانه بقوله تعالى: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}[٢]. فإذا كانت النفس لا تعلم، فلا توجد ألفاظ تعبر عما يوجد في الجنة. وضربت الأمثال بالنسبة للكفار والمنافقين، وفي كفران النعمة.. وغير ذلك.

قال الله تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا}[٣].

---

(١) سورة محمد: ١٥.

(٢) السجدة: ١٧.

(٣) الإسراء: ٨٩.

والامثال في جميع احوالها ثلاثة أنواع

(أ)ـ الأمثال المصرحة

(ب)ـ الأمثال الكامنة

(ج)ـ الأمثال المرسلة

(أ)ـ الأمثال المصرحة في الذكر الحكيم

وهي المصرح فيها بلفظ (مثل)، أو ما يدل على التشبيه كـ(الكاف)، وهي كثيرة في القرآن نورد منها ما يأتي:

قول الحق سبحانه: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَات لا يُبْصِرُونَ، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ، أَوْ كَصَيِّب مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ)[1].

فقد ضرب الله تعالى للمنافقين مثلين: استيقاد النار في قوله: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَاراً} والملفت هو انه سبحانه لم ليقل: ذهب الله بضيائهم مع ان النار عندما استوقدها كان المرتجى منها الضياء لذا قال (فَلَمَّا أَضَاءَتْ)، فما هو سبب التغيير من الاضاءة التي كان بحسب السياق ان يقع عليها النسخ والرفع والاذهاب، الا انه سبحانه الذي ذكره هو اذهاب النور؟، لان الضياء اقوى من النور، الضياء تكوينا

---

(١) البقرة: ١٧-١٩.

يكون مصدر ذاتي مباشر، اما النور فمصدره اكتسابي غير مباشر، كما هو الحال في ضياء الشمس ونور القمر، فان الوهج الصادر عن الشمس يسمى ضوء، والصادر عن القمر فهو النور، وعرف ان القمر وهجه مكتسب من الشمس ومنعكسا عنها، والقمر ليس مصدرا باعثا لنوره، وقد اشار الحق تبارك وتعالى الى هذه الحقيقة في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُورًا}[١]. قوله تعالى: (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ) معناها أنه لم يبق لهم ضوءا ولا نورا، فكأن قلوبهم يملؤها الظلام، ولذلك قال الله بعدها (وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ) لنعلم أنه لا يوجد في قلوبهم أي نور ولا ضوء وهو كناية عن الايمان، وكل هذا حدث بظلم منهم.

ومثل ثان في قوله تعالى: (أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ) والصيب سحابٌ كثيفٌ قاتم تصحبه عواصف الرَّعد المطيرة، مطر شديد الانصباب، وهو كناية عن الماء الذي فيه مادة الحياة. لقول الحق تبارك وتعالى: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ)[٢].

لقوله تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ)[٣].

---

(١) يونس: ٥.

(٢) الانبياء: ٣٠.

(٣) النور: ٤٥.

وتقدير هذا المثل: أن الله سبحانه، شبههم في اشترائهم الضلالة بالهدى، وصيرورتهم بعد التبصرة إلى العمى، بمن استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله، واستأنس بها فبينا هو كذلك إذ طفئت ناره، وصار في ظلام شديد، فكتب عليهم الصمم الذي هو يصيب الاسماع، والبكم الذي يصيب النطق، والعمى الذي يصيب الابصار، فانى لهم السمع والنطق والبصر وهذه هي التي يعتمد عليها العقل في معرفة الاشياء فكان مثلهم كمن كان في ظلمة ولا سمع له حتى يهتدي به ولا لسان يطلب به الهداية ولا بصر يرى به سبيل الرشاد، فلا عودة لهم لرحمة الله بما فعلوا فضلوا واضلوا.. وفي هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا، فبإيمانهم اكتسبوا نورا ثم بنفاقهم وكفرهم ذهب عنهم ذلك النور فوقعوا في حيرة عظيمة.

والمتامل لهذا الاسلوب الحكيم يجد ان المثل هنا ضرب عن جماعة بواحد، لتشابه افعال الجماعة الكفار جميعهم ياتون بفعل واحد وهو النفاق والكفر، وهو في الاسلوب القراني الحكيم كثيرا. كما في قوله تعالى: (فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ)[1]. وكقوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ

(١) الاحزاب: ١٩.

وَاللّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[١].

وايضا تشابه الناس في خلقهم وفي بعثهم وهو قوله تعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنّ اللّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[٢].

فجاز تشبيهُ الأفعال للجماعة من الناس وغيرهم - وان كانت مختلفة - إذا كانت تعطي ذات المعنى الواحدِ بفعل الواحد. والفعل الواحد المتكرر للجماعة من الناس وغيرهم - وان كان متعددا - اذا كان بمعنى فاردا بالواحد.

واستعمل في المثل الاول (كَمَثَلِ)، وهذا اللفظ فيه اداتي تشبيه هما: (الكاف) و (مَثَلِ)، فاذا قدرنا (الكاف) خبر لاسم المرفوع بالابتداء (مَثَلُهُمْ)، فيكون تقديرها (مثل مثل الذي استوقد..). وهذا المعروف بالتشبيه التمثيلي وهو ان يرتبط صورتان من ادوات التشبيه بغاية واحدة، فان (الكاف) اداة تشبيه ارتبطت باداة تشبيه اخرى وهي (مثل)، ومنه قول الحق سبحانه: ﴿مَثَلُ الّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبّةٍ﴾. شبه سبحانه هيئة الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ابتغاء مرضاته ويعطفون على الفقراء والمساكين بهيئة الحبة التي أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة،

---

(١) الجمعة: ٥.

(٢) لقمان: ٢٨.

والله سبحانه يضاعف لمن يشاء.

وقيل: (الكاف) حرف فيكون المبتدأ (مَثَلُهُمْ)، خبره مستترا وتقديره: (مثلهم مستنير كمثل الذي..).

اقول: السلب للنور هنا جاء باذهاب منه سبحانه لابصارهم المكنى عنه (بِنُورِهِمْ)، في قوله تعالى: (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ)، فان المسلوب والمُذهب به ليس هو ضوء النار حقيقة، وانما هذا باقٍ، وهو ابلغ في التشبيه، والمعنى انه مع وجود الضوء هو لا يرى، فهو كالاعمى، والضوء ووجوده من النار كناية عن وجود الرسالة السمحاء التي جاءت بالادلة العقلية والبراهين الواضحة الجلية ولكنهم لم يهتدوا الى ذلك النور السماوي فاذهب الله بنور ابصارهم، كناية عن عدم استفادتهم من نور ابصارهم فهم والاعمى سواء، مصداق لقول الحق تبارك وتعالى: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)[1].

والا لقال ذهب بضيائهم او ضياء نارهم، فيفهم منه انه اخمد نارهم، لكنه سبحانه قال (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ)، فليس المقصود نور النار وضيائها، وانما اضاف النور اليهم (بِنُورِهِمْ)اي نور ابصارهم، والا لقال

---

(١) الاعراف: ١٧٩.

(بنورها)، ولعل النار ما زالت تعطي فائدتها من الضوء ولكنهم لا يستفيدون منه كيف وهم (صُمٌّ وَعُمْيَانًا). فلاجل ذلك جيئ بصورتي تشبيه، لانه مثلهم وهو معبر عنه بالكاف ومثل الذي استوقد نارا من المرجو انه يستفاد منها ومن ضوئها، لكنه لم يستفد لانه صار كالذي أُذهِبَ ببصره. فهذا التشبيه هو صورة مزدوجة لصورتين متداخلتين من التشبيه والتمثيل، صورة للمنافقين، واخرى صورة الذي استوقد نارا لم يستفد من ضيائها لانه اعمى. والله تعالى اعلم.

وقد نزل الوحي من السماء متضمناً لاستنارة القلوب وحياتها. وذكر الله حظ المنافقين في الحالين. فهم بمنزلة من استوقد ناراً للإضاءة والنفع حيث انتفعوا مادياً بالدخول في الإسلام، ولكن لم يكن له أثر نوري في قلوبهم.

وقوله تعالى: (أَوْ كَصَيِّب مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ)، وذكر مثلهم (كَصَيِّب) فشبههم بحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فخارت قواه ووضع أصبعيه في أذنيه وأغمض عينيه خوفًا من صاعقة تصيبه (أَوْ كَصَيِّب مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ)؛ لأن القرآن بزواجره وأوامره ونواهيه وخطابه نزل عليهم نزول الصواعق.

وفي سورة الرعد قال تعالى: {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ

بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ}[1]. فشبه الوحي الذي أنزله من السماء لحياة القلوب بالماء الذي أنزله لحياة الأرض بالنبات، وشبه القلوب بالأودية، والسيل إذا جرى في الأودية احتمل زبداً وغثاء، فكذلك الهُدى والعلم إذا سرى في القلوب أثار ما فيها من الشهوات ليذهب بها، وهذا هو المثل في قوله: {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} وهكذا يضرب الله الحق والباطل.

وذكر تعالى مثل النار في قوله: {وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ}، فالمعادن من ذهب أو فضة أو نحاس أو حديد عند سبكها تخرج النار ما فيها من الخبث وتفصله عن الجوهر الذي ينتفع به فيذهب جفاء. فكذلك الشهوات يطرحها قلب المؤمن ويجفوها كما يطرح السيل والنار ذلك الزبد وهذا الخبث.

(ب)- الأمثال الكامنة في الذكر الحكيم

وهي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل، ولكنها تدل على معان رائعة بإيجاز بلاغي لا مثيل له يكون لها وقع في النفس إذا نقلت إلى

---

(١) الرعد: ١٧.

ما يشبهها، ويمثلون لهذا النوع بأمثلة منها:

قوله تعالى: {لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ}[١].

وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً}[٢].

وقوله تعالى: {وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً}[٣].

وقوله تعالى: {وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ}[٤].

قوله تعالى في إبراهيم عليه السلام: {قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}[٥].

قوله تعالى: {مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ}[٦].

قوله تعالى على لسان يعقوب: {قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ

---

(١) البقرة: ٦٨.

(٢) الفرقان: ٦٧.

(٣) الإسراء: ١١٠.

(٤) الإسراء: ٢٩.

(٥) البقرة: ٢٦٠.

(٦) النساء: ١٢٣.

عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْل}[١].

(ج)- الأمثال المرسلة في الذكر الحكيم

وهي جمل أرسلت إرسالًا من غير تصريح بلفظ التشبيه. ولكنها جارية مجرى الأمثال، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

١- {الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ}[٢].

٢- {لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ}[٣].

٣- {قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ}[٤].

٤- {أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيب}[٥].

٥- {لِكُلِّ نَبَأ مُسْتَقَرٌّ}[٦].

٦- {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ}[٧].

٧- {قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ}[٨].

---

(١) يوسف: ٦٤.

(٢) يوسف: ٥١.

(٣) النجم: ٥٨.

(٤) يوسف: ٤١.

(٥) هود: ٨١.

(٦) الأنعام: ٦٧.

(٧) فاطر: ٤٣.

(٨) الإسراء: ٨٤.

٨- {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شيئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ}[١].

٩- {كُلُّ نَفْس بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ}[٢].

١٠- {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ}[٣].

١١- {كُلُّ حِزْب بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}[٤].

١٢- {ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ}[٥].

١٣- {لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ}[٦].

١٤- {لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ}[٧].

١٥- {كَمْ مِنْ فِئَة قَلِيلَة غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ}[٨].

١٦- {تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى}[٩].

هذه كانت نظرة سريعة في جملة من اساليب الذكر الحكيم في

---

(١) البقرة: ٢١٦.

(٢) المدثر: ٣٨.

(٣) الرحمن: ٦٠.

(٤) المؤمنون: ٥٣.

(٥) الحج: ٧٣.

(٦) الصافات: ٦١.

(٧) المائدة: ١٠٠.

(٨) البقرة: ٢٤٩.

(٩) الحشر: ١٤.

اسلوب ايراد المثل وانواعه التي استقرئها علماء التفسير للقران الكريم، وذكر علماء البلاغة جملة من الاساليب البلاغية التي اعتمدها القران الكريم في بيان الشريعة السمحاء وهي كثيرة منها: المطابقة والمزاوجة بين معنيين في الشرط والجزاء والاعتراض، والالتفات، والاقتباس والتلميح، والتورية، والمبالغة، وحسن التعليل وغيرها.

(٢)ـ القسم في الذكر الحكيم

وهو أن يريد المتكلم الحلف على شيء فيحلف بما يكون فيه فخر له أو تعظيم لشأنه أو تنويه لقدره أو ذم لغيره أو جاريا مجرى الغزل الرقيق أو خارجا مخرج الموعظة والزهد كقوله: (وَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ)[١]. أقسم سبحانه وتعالى بقسم فوجب الفخر لتضمنه التمدح بأعظم قدرة وأجل عظمة.

وقوله تعالى: (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)[٢].

فقد أقسم سبحانه وتعالى بحياة نبيه صلى الله عليه وآله تعظيما لشأنه وتنويها بقدره. وأجمع أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وآله.

وأصل لفظ (لَعَمْرُكَ) بضم العين، ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال. ومعناه وبقائك يا محمد(صلى الله عليه وآله)، وقيل

---

(١) الذاريات: ٢٣.

(٢) الحجر: ٧٢.

وحياتك. وهذا نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف. وما أقسم الله بحياة أحد غير محمد صلى الله عليه وآله؛ لأنه أكرم البرية عنده.

و(السكرة) هي غياب الوعي والتخبط والاضطراب العقلي الذي يخرج الانسان عن تحكمه بقواه وجوارحه كما ينبغي، وهذه تحصل عادة بتناول مادة تثير الاضطراب في الوعي، وفقد الاحساس. والمراد بها هنا هو الجهل والضلال والغفلة، التي تحدث لمن يختلّ إدراكهم بفعل عقيدة فاسدة، أو عادة شاذة. والمراد من (يَعْمَهُونَ) يضطربون باختيارهم.

(٣)- الحقيقة والمجاز في الذكر الحكيم

ومن الاساليب البلاغية التي جاءت في الذكر الحكيم استعمالات الحقيقة والمجاز في تبليغ كلام الله سبحانه، وجاء في كلمات البلاغيين في تعريف الحقيقة بانها استعمال اللفظ فيما وضع له، كالأسد إذا أريد به الحيوان المفترس. وامل المجاز، فهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي. والعلاقة المشار اليها هنا هي المناسبة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، وقد تكون المشابهة بين المعنيين وقد تكون غيرها فإذا كانت العلاقة المشابهة فالمجاز استعارة وإلا فهو مجاز مرسل. واستقرأ كلام العرب وجد انهم لا يذهبون الى المجاز الا مع القرينة، والقرينة: هي المانع من إرادة المعنى الحقيقي.

وانكر بعض من ليس له علم وقوع المجاز بمعناه البلاغي في

الذكر الحكيم، لغاية في نفسه، والمضحك انه انكر وجوده في لغة العرب، واجمع اسوياء اهل العلم على أن المجاز واقع في القرآن والسنة ولغة العرب، وهذا الذي عليه الجمهور.

أنواع المجازات الواردة في الذكر الحكيم:

فائدة: التركيز في تخير العلاقات بين المعنى الحقيقي، والمعنى المجازي، ما هو إلا بيان عميق وبالغ لخصوصيات الأوصاف، والأغراض، ودقة التصوير . وعموما ينقسم المجاز إلى:

مجاز مفرد(لفظي)، ومجاز عقلي، ومجاز مركب.

وينقسم المجاز المفرد إلى: مجاز مرسل واستعارة.

(١)ـ **المجاز المرسل (اللغوي)**: عرفه الجرجاني في اسرار البلاغة هو: كل (كلمة) أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول[١]، أو كما عرفه السكاكي في مفتاح العلوم: هو تعدي الكلمة عن مفهومها الأصلي بمعونة القرينة إلى غيره لملاحظة بينهما، ونوع تعلق[٢]. وذلك التعلق في المجاز المرسل، أو الملاحظة بين الثاني والأول هو علاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على ذلك التجوز . فالمجاز المرسل هو الكلمة المستعملة قصدا في غير معناها الأصلي لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة

---

(١) أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني، ص: ٣٥١ .

(٢) مفتاح العلوم، ص: ٣٦٥ .

المعنى الوضعي وله علاقات كثيرة منها:

الكلية: هي كون الشيء متضمنا للمقصود ولغيره وذلك فيما إذا ذكر لفظ الكل وأريد منه الجزء نحو: (يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ)[١]. أي يضعون انامليهم في آذانهم.

الجزئية: هي كون المذكور ضمن شيء آخر وذلك فيما إذا ذكر لفظ الجزء وأريد منه الكل كقوله تعالى: (فتحرير رقبة مؤمنة).

السببية: وهي كون الشيء المنقول عنه سببا ومؤثرا في غيره وذلك فيما إذا ذكر لفظ السبب وأريد منه المسبب نحو: (مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ)[٢]، أي القبول والعمل به لأنه مسبب عن السمع.

المسببية: هي أن يكون المنقول عنه سببا وأثرا لشيء آخر وذلك فيما إذا ذكر لفظ المسبب وأريد منه السبب نحو: (وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ج)[٣]، أي مطرا يسبب الرزق.

(٢)ـ **المجاز العقلي**: وهو إسناد (الفعل) أو ما في معناه من اسم

---

(١) البقرة: ١٩.

(٢) هود: ٢٠.

(٣) غافر: ١٣.

فاعل أو اسم مفعول أو مصدر إلى غير ما هو له في الظاهر من المتكلم لعلاقة الملابسة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هو له نحو:

- قوله تعالى: (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا)[١]، نسبت الزيادة وهي فعل الله إلى الآيات لكونها سببا لها.

- قوله تعالى: (يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ)[٢]، و قوله تعالى حكاية عن فرعون: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ)[٣]، فقد نسب الذبح وهو فعل الأعوان إلى فرعون، والبناء وهو فعل البنائين وغيرهم من العمال إلى هامان لكونهما آمرين به.

- قوله تعالى: (يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا)[٤]، نسب الفعل إلى الظرف لوقوعه فيه، مكع انه سبحانه هو الذي يجعل فيه الولدان شيبا لهول المطلع.

- قوله تعالى: (فَهُوَ فِيعِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ)[٥]، أي عيشة مرضية.

---

(١) الانفال: ٢.

(٢) القصص: ٤.

(٣) غافر: ٣٦ .

(٤) المزمل: ١٧.

(٥) القارعة: ٢١.

(٤)ـ اسلوب الاستعارة البلاغية في الذكر الحكيم

فائدة: من مجاز المفرد (اللغوي) الاستعارة، وهي: تشبيه بليغ بحذف أحد طرفي التشبيه، فعلاقته المشابهة، وهي ليست إلا تشبيها مختصرا لكنها أبلغ منه كقولك: (رأيت أسدا في المدرسة)، فأصل الاستعارة (رأيت رجلا شجاعا في المدرسة) فحذفت المشبه (رجل) والأداة (الكاف) ووجه التشبيه (الشجاعة) وألحقته بقرينة (المدرسة) لتدل على أنك تريد بالأسد شجاعا. وهي من الاساليب البلاغية التي تكرر ذكرها في الذكر الحكيم، وهي قسمان:

(أ)ـ **تصريحية**: وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به، كقوله تعالى: (الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)[1]، فيقصد بالظلمات الضلال لتشابههما في عدم اهتداء صاحبهما، وبالنور الإيمان لتشابههما في اهتداء صاحبيهما، وكقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا)[2]. و(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) أي الدين الحق لتشابههما في أن كلا يوصل إلى المطلوب.

---

(١) ابراهيم: ١.

(٢) النساء: ١٧٤.

(ب)ـ **مكنية**: وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه.

كقوله تعالى: (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّاً)[١]، طوى ذكر المشبه به وهو النار ودل عليه بلازمه وهو الاشتعال.

وقوله تعالى: (وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَان فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)[٢]، شبه في الذكر الحكيم ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر فأوقع عليه الإذاقة.

وقوله تعالى: (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَة اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا)[٣]، شبه ميلان الجدار للسقوط بانحراف الحي فأثبت له الإرادة التي هي من خواص العقلاء.

(٣)ـ **الاستعارة التمثيلية (المجاز المركب)**: وهي: تركيب لغير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي. أو هي: أن يكون وجه الشبه فيها منتزعا من متعدد. كقولك للرَّجل يتردَّد في

---

(١) مريم: ٤.

(٢) النحل: ١١٢.

(٣) الكهف: ٧٧.

الشّيءِ بين فعلهِ وتركه: (أراكَ تقدّم رِجلاً وتؤخّرُ أُخرى)، فالأصل في هذا: (أراك في تردُّدكَ كمنْ يقدم رجلاً ويؤخّر أخرى) - وهو هنا تشبيه لا مجاز لتصريحك بأداة التشبيه - ثم اختُصر الكلام وجُعل كأنه يقدّم الرّجْلَ ويؤخّرها على الحقيقة كما كان الأصلُ في قولك: (رأيتُ أسداً): (رأيت رجلاً كالأسد) ثم جُعل كأنّه الأسد على الحقيقة. وكذلك تقولُ للرجل يعملُ غيرَ مُعْمل: (أراك تنفخُ في غير فحم).

ومثاله في الذكر الحكيم قوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) شبه استظهار العبد بالله ووثوقه بحمايته والنجاة من المكارة باستمساك الواقع في مهواة بحبل وثيق مدلى من مكان مرتفع يأمن انقطاعه.

وقوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ) شبه حال الملتزم بمشقة غيره بحال من يحمل متاع غيره.

وقوله تعالى حاكيا عن إبليس:(ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) مثلت هيئة التوسل إلى الإغواء بكل وسيلة بهيئة الباحث الحريص على أخذ العدو إذ يأتيه من كل جهة حتى يصادف الجهة التي يتمكن فيها من أخذه فهو يأتيه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله حتى تخور قوة مدافعته.

(٥)- الكناية في الذكر الحكيم

والكناية هي أن تتكلم بشيء وتريد غيره، يقال: كنى عن الأمر بغيره، يُكني كناية، إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه مأخوذة من الستر والتغطية، يقال: كنيتُ الشيء إذا سترته، وسميت بهذا الاسم، لأنها تستر معنى، وتُظهر غيره[١].

ومن هذا المعنى اللغوي يتضح معناها في اصطلاح أهل البلاغة والبيان، وقد عرفها عبد القاهر الجرجاني بقوله: ((الكناية: أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به، ويجعله دليلاً عليه[٢].

ولأسلوب الكناية أثره الخاص الذي يميزه عن غيره من أساليب البيان، وتكمن بلاغة الكناية في كونها تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها، وتذكر القضية، وفي طياتها برهانها الشاهد عليها، فهي تمتاز بالإقناع والإمتاع، ومتى ما جاء المعنى مصحوباً بدليله كان أشد أثراً وتأثيراً، وأقوى إقناعا[٣] .

فهي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى لعدم

---

(١) ينظر: لسان العرب: مادة كني .

(٢) دلائل الإعجاز: ٦٦ .

(٣) ينظر: الكناية والتعريض، لأبي منصور الثعالبي .

وجود قرينة مانعة من إرادته، ومن شواهد الكناية في الآيات المتحدثة عن الذكر الحكيم، قوله تعالى: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ }[1] .

وقد ذكر الزمخشري وجها بلاغيا في تفسير هذه الاية المباركة، من انها بدأت بأسلوب الشرط بـ(إذا) وفي هذا دلالة على ارتباط جواب هذا الشرط بفعله، فكلما سمعوا شيئاً من القرآن، رأينا المنكر في وجوههم من هذه القراءة، يدل على هذا المعنى ويؤكده مجيء لفظة (يُتلى) فعلاً مضارعاً دلالة على تجدد هذه التلاوة. كما أن في مجيء الفعل (تتلى) فعلاً مضارعاً مزيد تشفيع عليهم، وتسفيه لهم بأن هذا موقفهم دائماً وأبداً، وفي تقديم الجار والمجرور (عليهم) إشارة إلى إنهم هم المقصودون من هذه التلاوة، فما تليت هذه الآيات إلا لهم، ومن أجلهم، لعلهم يصغون إليها، ثم بيَّن الله سبحانه أن هذا القرآن الذين كفروا به أنه (آياتنا بينات) وثمة دلالة وإيحاء من اختيار لفظة (آياتنا) فلم يقل مثلاً: القرآن وإن كانت تؤدي المعنى، ألا أن في لفظة (آياتنا) إشارة إلى وضوح القرآن، وشدة بيانه، فهو كالعلامة التي يهتدي بها السائرون، ثم أن هذه الآيات بينات بكل ما تحويه هذه الصفة من دلالات وإيحاءات، وإن في هذا الوصف (بينات) تفظيعاً لإنكارهم إياه،

---

(١) الحج: ٧٢.

لعدم تضمنه ما يدعو إلى الإنكار والإعراض عنه، أي إنهم ما كفروا به، واعرضوا عنه بسبب غموضه، أو خفاء أمره، بل كفروا به لسبب عائد إلى ذواتهم، ولأمر راجع إليهم، وقد بينها أتم بيان ما جاء في هذا النظم من إظهار في مقام الإضمار في قوله تعالى: (تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) وذلك أن مقتضى الظاهر أن يقال: تعرف في وجوههم، ولكن جاء الإظهار ليبين باعث الإنكار، كما أن في هذا الإظهار شهادة عليهم بالكفر، ووصمهم به[١] .

وهذا كله كناية عن شدة غيظهم وغضبهم على من يتلو عليهم القرآن، وفرط إنكارهم لهذا الحق المتلو عليهم، حتى ظهرت آثاره على وجوههم، فيكون في هذا التعبير كناية عن امتلاء قلوبهم بالغيظ والإنكار، وإنهم بلغوا بذلك أمراً عظيماً حتى تجاوز الحقد والغيظ قلوبهم، كما في هذا التعبير كناية عن شدة بغظهم للآيات، وعظيم كرههم لها، ولأصل هذه الكناية عدل بهذا النظم القرآني عن قوله (أنكروه، أو ينكرونه)، مع أنه أشد اختصاراً في العبارة، فقد أوثر هذا الأسلوب لما تضمن من هذه الكناية التي تكشف موقف هؤلاء الكفرة من القرآن.

فالكناية شكل من أشكال التعبير بالتلميح، وقد يجمع فيه بين الحقيقة والمجاز، فهي كل لفظ دل على معنى يجوز حمله على جانبي

---

(١) ينظر: الكشاف: ٢٢/٣، والتصوير البياني: ١٠٦ .

الحقيقة والمجاز، ويكون المقصود المعنى المجازي ولا يمتنع أن يفهم المعنى الحقيقي.

فيتحصل: ان الكناية إذا تتعلق بالمعاني وليست بالألفاظ، وقد اشتهر انه لا يكنى باللفظ عن اللفظ، وإنما يكنى بالمعنى عن المعنى.

ومن عادة القران الكريم التعبير بالكناية عن معان بألفاظ تميل إلى الإشارة والتلميح ليس لسوء ألفاظها، وإنما اختيار الأسلوب الأفضل والتعبير الألطف، ومن هنا تنبع جماليات التعبير بالكناية؛ إذ لابد أن يكون في كل نوع من التعبير البياني جانبا من الجمال يكمن حينا ويتجلى أحيانا حسب السياق والنوع البياني، وقد عرفت ايضا ان التصوير بأسلوب الكناية يحس السامع معه جمالا ويجد للتعبير ما لايجده للتعبير الصريح؛ وذلك لان الكناية تعرض المعنى مصورا بصورة محسوسة فيزداد تعريفا ووضوحا. والكناية في الذكر الحكيم فوق طاقة المخلوقين من الادميين، لما فيها من روعة التعبير، وجمال التصوير، وألوان الأدب والتهذيب، ما لا يستقل به بيان، ولا يدركه إلا من تذوق حلاوة القرآن.

ومنها الكناية عن الجماع بالملامسة والمباشرة والإفضاء والرفث والدخول والسر في قوله تعالى: (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ

الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ)[١]. والغشيان في قوله: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ)[٢].

(٦)ـ اساليب علم البديع في الذكر الحكيم

واما اساليب الذكر الحكيم في علم البديع فكثيرة، فقد ذكر الخطيب القزويني في الإيضاح في علوم البلاغة جملة منها وذكر بعض الشواهد القرانية عليها نوردها هنا لتمام الفائدة. وعرف علم البديع بانه علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة.

وهذه الوجوه ضربان ضرب يرجع إلى المعنى وضرب يرجع إلى اللفظ أما المعنوي فمنه المطابقة وتسمى الطباق والتضاد أيضا وهي الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة ويكون ذلك إما بلفظين من نوع واحد اسمين كقوله تعالى: (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ)[٣].

أو فعلين كقوله تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ

---

(١) البقرة: ٢٣٥.

(٢) الاعراف: ١٨٩.

(٣) الكهف: ١٨.

وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[١].

أو حرفين كقوله تعالى: (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)[٢].

وإما بلفظين من نوعين كقوله تعالى: (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ)[٣]، أي ضالا فهديناه.

الطباق: قد يكون ظاهرا كما ذكرنا وقد يكون خفيا نوع خفاء كقوله تعالى: (مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا)[٤]، طابق بين أغرقوا وأدخلوا نارا. والطباق ينقسم إلى طباق الإيجاب كما تقدم، وإلى طباق السلب وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي أو أمر ونهي كقوله تعالى: (وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)[٥].

وقوله تعالى: (فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ)[٦].

---

(١) المؤمنون: ١١٦.

(٢) البقرة: ٢٨٦.

(٣) الانعام: ١٢٢.

(٤) نوح: ٢٥.

(٥) الروم: ٦.

(٦) المائدة: ٤٤.

قيل ومنه قوله تعالى: (لا يَعْصُونَ اللّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)[١]، أي لا يعصون الله في الحال ويفعلون ما يؤمرون في المستقبل وفيه نظر لأن العصيان يضاد فعل المأمور به فكيف يكون الجمع بين نفيه وفعل المأمور به تضادا .

ومن الناس من سمى نحو ما ذكرناه تدبيجا وفسره بأن يذكر في معنى من المدح أو غيره ألوان بقصد الكناية أو التورية.

ويلحق بالطباق شيئان أحدهما نحو قوله تعالى: (أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ)[٢]، فإن الرحمة مسببة عن اللين الذي هو ضد الشدة . وعليه قوله تعالى (وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[٣]، فإن ابتغاء الفضل يستلزم الحركة المضادة للسكون والعدول عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل لأن الحركة ضربان حركة لمصلحة وحركة لمفسدة والمراد الأولى لا الثانية.

المقابلة: ودخل في المطابقة ما يخص باسم المقابلة وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلهما أو يقابلها

---

(١) التحريم: ٦.

(٢) الفتح: ٢٩.

(٣) القصص: ٧٣.

على الترتيب والمراد بالتوافق خلاف التقابل وقد تتركب المقابلة من طباق وملحق به مثال مقابلة اثنين باثنين قوله تعالى: (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاء بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)[1] .

ومثال مقابلة أربعة بأربعة قوله تعالى: (فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَي ۞ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۞فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَي ۞)[2]، فإن المراد باستغنى أنه زهد فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتق أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة فلم يتق.

وقال السكاكي المقابلة أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضديهما ثم إذا شرطت هنا شرطا شرطت هناك ضده كقوله تعالى: (فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى) الآيتين لما جعل التيسير مشتركا بين الإعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده وهو التعسير مشتركا بين أضداد تلك وهي المنع والاستغناء والتكذيب

مراعاة النظير: ومنه مراعاة النظير وتسمى التناسب والائتلاف والتوفيق أيضا وهي أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد كقوله

---

(١) التوبة: ٨٢.

(٢) الليل: ٥ - ١٠.

تعالى: (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ)[١].

تشابه الاطراف: ومن مراعاة النظير ما يسميه بعضهم تشابه الأطراف وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى كقوله تعالى: (لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)[٢]، فإن اللطف يناسب ما لا يدرك بالبصر والخبرة تناسب من يدرك شيئا فإن من يدرك شيئا يكون خبيرا به .

وقوله تعالى: (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)[٣]، قال الغني الحميد لينبه على أن ماله ليس لحاجة بل هو غني عنه جواد به فإذا جاد به حمده المنعم عليه.

ومن خفي هذا الضرب قوله تعالى: (إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[٤]، فإن قوله (وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ) يوهم أن الفاضلة الغفور الرحيم، ولكن إذا أنعم النظر علم أنه يجب أن تكون ما عليه التلاوة لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه فهو العزيز لأن العزيز في صفات الله هو الغالب من

---

(١) الرحمن: ٥.

(٢) الانعام: ١٠٣.

(٣) الحج: ٦٤.

(٤) المائدة: ١١٨.

قولهم عزه يعزه عزا إذا غلبه ومنه المثل من عزيز أي من غلب سلب ووجب أن يوصف بالحكيم أيضا لأن الحكيم من يضع الشيء في محله والله تعالى كذلك إلا أنه قد يخفي وجه الحكمة في بعض أفعاله فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة فكان في الوصف بالحكيم احتراس حسن أي وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد في ذلك والحكمة فيما فعلته ومما يلحق بالتناسب نحو قوله تعالى: (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۞ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۞)[1]، ويسمى إيهام التناسب، وأما ما يسميه بعض الناس التفويف هو أن يؤتى في الكلام بمعان متلائمة في جمل مستوية المقادير أو متقاربتها.

الإرصاد: ومنه الإرصاد ويسمى التسهيم أيضا وهو أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عرف الروي كقوله تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)[2].

وقوله تعالى: (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)[3].

الاستطراد: ومنه الاستطراد وهو الانتقال من معنى إلى معنى

---

(١) الرحمن: ٥ - ٦.

(٢) العنكبوت: ٤٠.

(٣) يونس: ١٩.

آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني كقوله تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلّهُمْ يَذّكّرُونَ)[١]، قال الزمخشري هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر السوءات وخصف الورق عليها إظهارا للمنة فيما خلق الله من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة وإشعارا بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى هذا أصله وقد يكون الثاني هو المقصود فيذكر الأول قبله ليتوصل إليه .

العكس والتبديل: ومنه العكس والتبديل وهو أن يقدم في الكلام جزء ثم يؤخر ويقع على وجوه منها أن يقع بين أحد طرفي جملة وما أضيف إليها كقول بعضهم عادات السادات سادات العادات ومنها أن يقع بين متعلقي فعلين في جملتين كقوله تعالى: (يُخْرِجُ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ)[٢] .

ومنها أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين كقوله تعالى: (هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ)[٣].

---

(١) الاعراف: ٢٦.

(٢) الروم: ١٩.

(٣) البقرة: ١٨٧.

وقوله تعالى: (لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ)[١].

وقوله تعالى: (مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ)[٢].

التورية: ومنه التورية وتسمى الإيهام أيضا وهي أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد به البعيد منهما وهي ضربان مجردة ومرشحة أما المجردة فهي التي لا تجامع شيئا مما يلائم المورى به أعني المعنى القريب كقوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)[٣].

وأما المرشحة فهي التي قرن بها ما يلائم المورى به إما قبلها كقوله تعالى: (وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْد وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)[٤].

وقال السكاكي أكثر متشابهات القرآن من التورية .

الجمع: ومنه الجمع وهو أن يجمع بين شيئين أو أشياء في حكم واحد كقوله تعالى: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً)[٥].

الجمع مع التفريق: ومنه الجمع مع التفريق وهو أن يدخل شيئان

---

(١) الممتحنة: ١٠.

(٢) الانعام: ٥٢.

(٣) طه: ٥.

(٤) الذاريات: ٤٧.

(٥) الكهف: ٤٦.

في معنى واحد ويفرق بين جهتي الإدخال كقوله تعالى: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً)[1].

الجمع مع التفريق والتقسيم: ومنه الجمع مع التفريق والتقسيم كقوله تعالى (يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝)[2]، أما الجمع ففي قوله تعالى: (يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ)، فإن قوله نفس متعدد معنى لأن النكرة في سياق النفي نعم .

وأما التفريق ففي قوله تعالى: (فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ) .

وأما التقسيم ففي قوله تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا) إلى آخر الآية الثانية .

والثاني استيفاء أقسام الشيء بالذكر كقوله تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا

---

(١) الاسراء: ١٢.

(٢) هود: ١٠٥ - ١٠٨.

الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)[١] .

وقوله تعالى: (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ۞أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًاإِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ)[٢] .

المذهب الكلامي: ومنه المذهب الكلامي وهو أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريق أهل الكلام كقوله تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)[٣].

وقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[٤]، **أي والإعادة أهون عليه من البدء والأهون من البدء أدخل في الإمكان من البدء فالإعادة أدخل في الإمكان من البدء وهو المطلوب.**

وقوله تعالى (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ)[٥]، **أي القمر آفل وربي ليس بآفل فالقمر ليس بربي**

---

(١) فاطر: ٣٢.

(٢) الشورى: ٤٩ - ٥٠.

(٣) الانبياء: ٢٢.

(٤) الروم: ٢٧.

(٥) الانعام: ٧٦.

وقوله تعالى (قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ)[١]، أي أنتم تعذبون والبنون لا يعذبون فلستم ببنين له .

اسلوب اللف والنشر في الذكر الحكيم

ومن الاساليب البلاغية البديعية المتبعة في الذكر الحكيم هو اسلوب اللف والنشر، وهو أن يذكر شيئان أو أشياء إما تفصيلا بالنص على كل واحد أو إجمالا بأن يؤتى بلفظ يشتمل على متعدد ثم يذكر أشياء على عدد ذلك كل واحد يرجع إلى واحد من المتقدم ويفوض إلى عقل السامع رد كل واحد إلى ما يليق به.

فالإجمالي: كقوله تعالى: (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى)[٢]؛ أي: وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا اليهود وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا النصارى، وإنما سوغ الإجمال في اللف ثبوت العناد بين اليهود والنصارى فلا يمكن أن يقول أحد الفريقين بدخول الفريق الآخر الجنة فوثق بالعقل في أنه يرد كل قول إلى فريقه لأمن اللبس وقائل ذلك يهود المدينة ونصارى نجران.

وقد يكون الإجمال في النشر لا في اللف بأن يؤتى بمتعدد ثم بلفظ يشتمل على متعدد يصلح لهما كقوله تعالى: (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ

---

(١) المائدة: ١٨.

(٢) البقرة: ١١١.

الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)[١]. فأن الخيط الأسود أريد به الفجر الكاذب لا الليل.

والتفصيلي قسمان: أحدهما أن يكون على ترتيب اللف كقوله تعالى: (جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ)[٢]. فالسكون راجع إلى الليل والابتغاء راجع إلى النهار.

وقوله تعالى: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا)[٣]. فاللوم راجع إلى البخل و(محسورا) راجع إلى الإسراف؛ لأن معناه منقطعا لا شيء عندك.

والثاني: أن يكون على عكس ترتيبه كقوله تعالى: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ)[٤].

وذكر الزمخشري له قسما آخر كقوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ)[٥]. قال: هذا من باب اللف وتقديره: ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار إلا أنه فصل بين

---

(١) البقرة: ١٨٧.

(٢) القصص: ٧٣.

(٣) الإسراء: ٢٩.

(٤) آل عمران: ١٠٦.

(٥) الروم: ٢٣.

(مَنَامُكُمْ) و(وَابْتِغَاؤُكُمْ) بالليل والنهار؛ لأنهما زمانان، والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع إقامة اللف على الاتحاد.

المشاكلة والمزاوجة والمبالغة في الذكر الحكيم

المشاكلة: ومن الاساليب البلاغية البديعية في الذكر الحكيم المشاكلة وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا .

اما تحقيقا، كقوله تعالى: (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ)[١]. (وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)[٢]، فإن إطلاق النفس والمكر في جانب الباري تعالى لمشاكلة ما معه.

وكذا قوله تعالى: (جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا)[٣]؛ لأن الجزاء حق لا يوصف بأنه سيئة .

وقوله تعالى: (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ)[٤]. وقوله تعالى: (وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَـذَا

---

(١) المائدة: ١١٦.

(٢) آل عمران: ٥٤.

(٣) البقرة: ١٩٤.

(٤) البقرة: ١٩٤.

وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ)[١].

وقوله تعالى: (فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[٢].

وقوله تعالى: (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ)[٣].

وأما الثاني فكقوله تعالى: (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ)[٤]، **وهو مصدر مؤكد منتصب عن ما تقدم في قوله تعالى:** (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا..)الاية. فقوله تعالى: (آمَنَّا بِاللَّهِ)، **المعنى تطهير الله، لأن الإيمان يطهر النفوس، والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم، فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ) وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا أو يقول المسلمون صبغنا الله بالإيمان صبغة ولم يصبغ صبغتكم وجيء بلفظ الصبغة للمشاكلة وإن لم يكن قد تقدم لفظ الصبغ لأن قرينة الحال التي هي سبب النزول من غمس النصارى أولادهم في الماء الأصفر دلت على ذلك كما تقول لمن يغرس الأشجار أغرس كما**

---

(١) الجاثية: ٣٤.

(٢) التوبة: ٧٩.

(٣) البقرة: ١٤- ١٥.

(٤) البقرة: ١٣٨.

يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام .

المزاوجة: واسلوب المزاوجة معناه أن يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء أو ما جرى مجراهما كقوله تعالى: (آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ)[١].

المبالغة: وهو من اساليب البلاغة بأن يذكر المتكلم وصفا فيزيد فيه حتى يكون أبلغ في المعنى الذي قصده والمبالغة ضربان:

(أ)ـ **مبالغة بالوصف**: بأن يخرج إلى حد الاستحالة، كقوله تعالى: (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ)[٢].

وقوله تعالى: (وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ)[٣].

(ب)ـ **مبالغة بالصيغة**: صيغ المبالغة (فعلان) كالرحمن و(فعيل) كالرحيم و(فعال) كالتواب والغفار والقهار و(فعول) كغفور وشكور وودود و(فعل) كحذر وأشر وفرح و(فعال) بالتخفيف كعجاب وبالتشديد ككبار و(فعل) كلبد وكبر و(فعلى) كالعليا والحسنى وشورى والسوءى.

المطابقة: واستعمال المطابقة في الذمر الحكيم له دواع بلاغية يتم فيها المعنى المقصود، ومعنى المطابقة هو الجمع بين متضادين في الكلام الواحد، ويسمى الطباق. والطباق على قسمين:

---

(١) الأعراف: ١٧٥ .

(٢) النور: ٣٥.

(٣) الأعراف: ٤٠.

(أ)ـ **حقيقي**، وهو ينقسم الى: الفظي والمعنوي. وايجاب وسلب.

ومن امثلته: قوله تعالى: (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا)[١].

وقوله تعالى: (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا)[٢].

وقوله تعالى: (كَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ)[٣].

وقوله تعالى: (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ)[٤].

(ب)ـ **مجازي**، ويسمى التكافؤ، وهو إما لفظي أو معنوي، واما طباق إيجاب أو سلب. ومن امثلته: قوله تعالى: (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ)[٥]. أي: ضالا فهديناه.

ومن أمثلة طباق السلب، قوله تعالى: (تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي ولَا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ)[٦]. وقوله تعالى: (فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ)[٧].

ومن أمثلة المعنوي، قوله تعالى: (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ قَالُوا رَبُّنَا

---

(١) التوبة: ٨٢.

(٢) النجم: ٤٣ ٤٤.

(٣) الحديد: ٢٣.

(٤) الكهف: ١٨.

(٥) الأنعام: ١٢٢.

(٦) المائدة: ١٦٦.

(٧) المائدة: ٤٤.

يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ)[١]. اي: ربنا يعلم إنا لصادقون.

وقوله تعالى: (جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً)[٢]. فلما كان البناء رفعا للمبني قوبل بالفراش الذي هو على خلاف البناء.

وطباق خفي كقوله تعالى: (مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا)[٣]. انما الاغراق صفة تلازم الماء، فكان جمعا اي طباقا بين متضادين وهما في الاية الماء والنار. وقيل، انها أخفى مطابقة في القرآن.

وقيل من ملح الطباق قوله تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ)[٤]. فالقصاص في السياق المراد به القتل فصار سببا للحياة.

ترصيع الكلام: ومن الاساليب التي وجدت في القران هو التحسين البلاغي المعبر عنه بالبديع، ومن انواعه الترصيع، او ترصيع الكلام وهو اقتران الشيء بما يجتمع معه في قدر مشترك كقوله تعالى: (إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى)[٥].

قيل ان الجوع مع العري بابه أن يكون مع الظمأ. وبالضحى مع الظمأ وبابه أن يكون مع العري لكن الجوع والعري اشتركا في الخلو؛ فالجوع

---

(١) يس: ١٥- ١٦.

(٢) البقرة: ٢٢.

(٣) نوح: ٢٥.

(٤) البقرة: ١٧٩.

(٥) طه: ١١٨- ١١٩.

خلو الباطن من الطعام والعري خلو الظاهر من اللباس. والظمأ والضحى اشتركا في الاحتراق فالظمأ احتراق الباطن من العطش والضحى احتراق الظاهر من حر الشمس.

المقابلة: ومن الاساليب البلاغية هي المقابلة في الكلام، وهي أن يذكر لفظان فأكثر ثم أضدادهما على الترتيب. والفرق بين الطباق والمقابلة: أن الطباق لا يكون إلا من ضدين فقط والمقابلة لا تكون إلا بما زاد من الأربعة إلى العشرة. وأن الطباق لا يكون إلا بأضداد والمقابلة بالأضداد بغيرها. كقوله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَي ۞ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَي ۞ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّي ۞)[1].

قال السكاكي: ومن خواص المقابلة أنه إذا شرط في الأول أمر شرط في الثاني ضده كقوله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى). قابل بين الإعطاء والبخل والاتقاء والاستغناء والتصديق والتكذيب واليسرى والعسرى ولما جعل التيسير في الأول مشتركا بين الإعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده- وهو التعسير- مشتركا بين أضدادها.

والمقابلة قد تكون لواحد بواحد وهو قليل في القران منه قوله

---

(١) الليل: ٥ - ١١.

تعالى: (لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ)[١].

او تحصل لاثنين باثنين، كقوله تعالى: (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا)[٢].

او تحصل المقابلة لثلاثة بثلاثة، كقوله تعالى: (يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ)[٣].

وكقوله تعالى: (وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ)[٤].

او تحصل لاربعة باربعة: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)[٥].

او تحصل المقابلة لخمسة بخمسة كقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ)[٦].

قابل بين (بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)، وبين (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ) و (وَأَمَّا الَّذِينَ

---

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) التوبة: ٨٢.

(٣) الأعراف: ١٥٧.

(٤) البقرة: ١٥٢.

(٥) الليل: ٥-٦.

(٦) البقرة: ٢٦.

كَفَرُواْ) وبين (يُضِلُّ) وبين (وَيَهْدِى).

وقد يحصل التقابل لستة بسة كقول الحق تبارك وتعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)[1].

فقد قابل سبحانه: الجنات والأنهار والخلد والأزواج والتطهير والرضوان بإزاء: النساء والبنين والذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث. وغير ذلك كثير.

ووجد في الذكر الحكيم للمقابلة ثلاثة أنواع: نظيري ونقيضي وخلافي.

مثال المتناظر: مقابلة السنة بالنوم كقوله تعالى: (لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ)[2]. فإنهما جميعا من باب الرقاد المقابل باليقظة .

ومثال المتناقض: كالتناقض الحاصل في مقابلة اليقضة بالرقود

---

(١) آل عمران: ١٤- ١٥.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

كقوله تعالى: (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ)[١].

ومثال الخلف: كمخالفة الشر بالرشد في قوله تعالى: (وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا)[٢].

المواربة: من الاساليب البلاغية هي المواربة وتاتي في اللغة بمعنى المخاتلة والمداهنة والتكلّم بكلام يحتمل معنيين، أن يقول المتكلم قولا يتضمن ما ينكر عليه فإذا حصل الإنكار استحضر بحذقه وجها من الوجوه يتخلص به إما بتحريف كلمة أو تصحيفها أو زيادة أو نقص. ومنه قوله تعالى حكاية عن أكبر أولاد يعقوب: (ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ)[٣]. فإنه قرئ: إن ابنك (سُرِّقَ) ولم يسرق فأتى بالكلام على الصحة بإبدال ضمة من فتحة وتشديد الراء وكسرتها. وكثيرة هي الاساليب البلاغية التي جاءت في الذكر الحكيم، والاساس فيها هو ايصال البيان على اكمل وجه من وجوه العربية التي نزل بها، وكان آنذاك الكلام الشريف يميز عن غيره بهذه الاساليب التي فهمها العرب وعجزوا عنها وعجزوا عن الرد عليها او الاتيان بواحدة

---

(١) الكهف: ١٨.

(٢) الجن: ١٠.

(٣) يوسف: ٨١.

منها، وكان السر يكمن انها انزلت من لدن العليم الخبير قال سبحانه: (حم ۞ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۞ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞)[1].

تنوع اللغات العربية في تنزيل الذكر الحكيم

من المعروف ان لغات قبائل العرب وان كان جمعها العربية الا انها تختلف في جملة من الموارد بين قبيلة واخرى، فالكلمة الواحدة قد تكون متعددة الإستعمال باختلاف حروفها، فمثلا: إبراهيم: يقال فيه أيضا: ابراهام، وإبرهم، وهكذا. فأحرف الهجاء العربية تبنى منها الكلمة، وتتعدد اللغات العربية في استعمال الكلمة الواحدة بالإختلاف في الحروف. ففي لغة قبيلة قد ينطق الحرف تاما على أصله، وفي اخرى قد ينطق ممزوجا بحرف آخر، أو بتقليل نطقه، أو بتغيير حركاته، أو غير ذلك، وهذا يجعل اللفظ الواحد متعدد اللغات، بحسب اللهجات العربية. والذكر الحكيم قد نزل عربيا متضمنا لكل تلك اللهجات السائدة في الجزيرة العربية والمستعملة آنذك، ولعله كان تشريفا لكل القبائل، على غرار رفع الحجر الاسود ووضعه في محله من الكعبة المشرفة، بمشاركة كل القبائل التي كانت تقطن تلك المنطقة بناءا على ارشاد النبي الاعظم صلى الله عليه وآله بوضعه على ردائه الشريف وتناول كل قبيلة بطرف منه ردءا لما كان قد ينشب بينهم لاجل ذلك. ونزول القران متضمنا لجميع لغات العرب من يُضَمُ الى تلك الاساليب

---

(١) الزخرف: ١ - ٣.

البلاغية وهو من شأنه ترك الاثر البليغ في قلوب القوم جميعا، وتحسيسا لهم بعظم شانهم ويكون كاشفا عن الاهتمام بهم. فالذكر الحكيم نزل عربيا على اساس ضمه لكل لغات العرب، على معنى أن بعض القرآن نزل بلغة قريش وبعضه بلغة كنانة وبعضه بلغة اسد وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة تميم وبعضه بلغة قيس عيلان وبعضه بلغة أهل اليمن وبعضه بلغة طيء.. وهكذا.

وقد ذكر المفسرون كثير من تلك الشواهد القرانية، ونذكر جملة من تلك اللغات التي وردت ضمن السور المباركة.

سورة البقرة: في قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ)، **السفيه: الجاهل بلغة كنانة.**

قوله تعالى: (وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا)[1]، **(رغدا) يعني الخصب بلغة طيء.**

وقوله تعالى: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَي اللّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ)[2]، **(الصَّاعِقَةُ) الموتة بلغة عمان.**

---

(١) البقرة: ٣٥.

(٢) البقرة: ٢٦٤.

وقوله تعالى: (فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء)[١] (رِجْزاً) **يعني العذاب بلغة طيء.**

وقوله تعالى: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ)[٢]، (خَاسِئِينَ) **يعني صاغرين بلغة كنانة.**

وقوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[٣] (الطُّورَ) **يعني الجبل، وافقت لغة العرب في هذا الحرف لغة السريانية التي انزلت التوراة بها.**

وقوله تعالى: (قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا)[٤]، (لَا شِيَةَ) **اي: لا وضح بلغ أزد شنوءة.**

وقوله تعالى: (بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ)[٥]، (بِئْسَمَا اشْتَرَوْا) **يعني باعوا بلغة هزيل.**

(بَغْيًا)، **حسدا بلغة تميم.**

---

(١) البقرة: ٥٩.

(٢) البقرة: ٦٥.

(٣) البقرة: ٦٣.

(٤) البقرة: ٧١.

(٥) البقرة: ٩٠.

(فَبَاءُوا بِغَضَب) يعني استوجبوا بلغة جرهم.

(وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ)، يعني أباطيلهم بلغة قريش.

(وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) (إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ)، يعني خسر بلغة طيء.

(قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) يعني تلقاء، والتلقاء النحو بلغة كنانة.

(كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً). (يَنْعِقُ) يعني يصيح بلغة طيء.

(ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) في ضلال بعيد بلغة جرهم.

(كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) المال بلغة جرهم.

وفي سورة النور (فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) أي لهم مالا.

(فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ رَّحِيمٌ). (جَنَفًا) يعني تعمدا للجنف بلغة قريش.

(فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ). (فَلا رَفَثَ) يعني فلا جماع بلغة مذحج.

(وَلَوْ شَاءَ اللّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (لَأَعْنَتَكُمْ)، الإثم بلغة هذيل وايضا (ما عنتم) بآل عمران، و (العنت منكم) بالنساء، (وما عنتم) بالتوبة، و (لعنتم) بالحجرات: والعنت الإثم بلغة هذيل.

(وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) حققوا بلغة هذيل.

(وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ). (تَعْضُلُوهُنَّ)، تحبسوهن بلغة أزد شنوءة.

(فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا) نقيا بلغة هذيل.

سورة آل عمران: قوله تعالى: (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ) يعني كأشباه بلغة جرهم.

وقوله تعالى: (فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ). (وَسَيِّدًا وَحَصُورًا) السيد الحكيم بلغة حمير. والحصور الذي لا حاجة له في النساء بلغة كنانة.

وقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (لَا خَلَاقَ)، لا نصيب بلغة كنانة.

وقوله تعالى: (وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ) يعني علماء وافقت لغة السريانية.

وقوله تعالى: (قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى قَالُواْ أَقْرَرْنَا). (إِصْرِى)، عهدي وافقت لغة النبطية.

وقوله تعالى: (لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ) (آنَاءَ اللَّيْلِ)، ساعات بلغة هزيل، وكذلك في سورة طه: (فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْوَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى) .

وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ) وقوله تعالى: (لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا)، يعني غيا بلغة عمان.

وقوله تعالى: (إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ). (أَن تَفْشَلَا) تجبنا بلغة حمير.

وقوله تعالى: (بَلَى ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَاف مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ). (مِّن فَوْرِهِمْ) **وجوههم بلغة هزيل وقيس عيلان وكنانة.**

وقوله تعالى: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ). (وَلَا تَهِنُوا) **لا تضعفوا بلغة قريش وكنانة، وكذلك في سورة محمد صلى الله عليه وآله (فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وانتم الأعلون).**

وقوله تعالى: (إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ). (قَرْحٌ) **بالفتح لغة الحجاز وبالضم لغة تميم.**

وقوله تعالى: (وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ). (رِبِّيُّونَ) **رجال بلغة حضرموت.**

سورة النساء: قوله تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ). (أَلاَّ تَعُولُواْ) **تميلوا بلغة جرهم.**

قوله تعالى: (وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا). (نِحْلَةً) **فريضة بلغة قيس عيلان.**

(كفل) الكفل النصيب وافقت لغة النبطية.

(مقيتا) يعني مقتدرا بلغة مذحج.

(حصرت) يعني ضاقت بلغة أهل اليمامة.

(السلم) الصلح بلغة قريش.

(مراغما) منفسحا بلغة هذيل.

(أن يفتنكم الذين كفروا) يضللكم بلغة هوازن.

(تغلوا) لا تزيدوا.

وقوله تعالى: (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ۚ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ). (الْكَلَالَةِ) الذي لا ولد ولا والد بلغة قريش.

وقوله تعالى: (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ). (أَن تَضِلُّوا) يعني لا تضلوا بلغة بني حنيفة.

سورة المائدة: قوله تعالى: (أوفوا بالعقود) يعني بالعهود بلغة بني حنيفة.

(مخمصة) مجاعة بلغة قريش.

(من حرج) يعني من ضيق بلغة قيس غيلان.

(وجعلكم ملوكا) يعني أحرارا بلغة هذيل وكنانة.

(فافرق بيننا) فاقض بلغة مدين.

(فلا تأس) تحزن بلغة قريش.

(فإن عثر) يعني اطلع بلغة قريش.

سورة الأنعام: (مدرارا) متتابعا بلغة هذيل.(مبلسون) آيسون بلغة كنانة.

(يصدفون) يعرضون بلغة قريش.

(قبلا) عيانا بالضم لغة تميم وبالكسر لغة كنانة.

(ضيقا حرجا) يعني شاكا بلغة قريش.

(الإملاق) الجوع بلغة لخم.

سورة الأعراف: (طفقا) عمدا بلغة غسان.

(سفاهة) جنون بلغة حمير.

(يتطهرون) يعني يتنزهون بلغة قريش.

(كأن لم يغنوا فيها) يتمتعوا بلغة جرهم.

(آسى) أحزن بلغة قريش.

(هدنا إليك) تبنا وافقت لغة العبرانية.

(بعذاب بئيس) شديد بلغة غسان.

(حفي عنها) عالم بها .

(وما مسني السوء) يعني الجنون بلغة هذيل.

(اجتبيتها) أتيتها بلغة ثقيف.

سورة الأنفال: (فرقانا) مخرجا بلغة هذيل.

(ليثبتوك) يعني لحبسوك بلغة قريش.

(أساطير الأولين) كلام الأولين بلغة جرهم.

(مكاء وتصدية) المكاء: الصفير، والتصدية التصفير بلغة قريش.

(فيركمه) فيجمعه بلغة قريش.

(نكص) رجع بلغة سليم.

(فشرد بهم) فنكل بهم بلغة جرهم.

(حرض) حض بلغة هذيل.

سورة التوبة: قوله تعالى: (غير معجزي الله) كل معجز في القرآن معناه سابق بلغة كنانة.

(ولا ذمة) يعني قرابة بلغة قريش.

(وليجة) بطانة بلغة هذيل.

(وإن خفتم عيلة) يعني فاقة بلغة هذيل.

(تنفروا) وكذا (انفروا) اغزوا بلغة هذيل.

(السائحون) الصائمون بلغة هذيل، وكذا (سائحات) أي صائمات.

سورة يونس: قوله تعالى: (فزيلنا بينهم) فميزنا بلغة حمير.

وقوله تعالى: (وما يعزب عن ربك) وما يغيب بلغة كنانة.

وقوله تعالى: (لا يكن أمركم عليكم غمة) شبهة بلغة هذيل.

سورة هود: (أراذلنا) سفلتنا بلغة جرهم.

(فلا تبتئس) تحزن بلغة كندة.

(وغيض الماء) نقص بلغة الحبشة.

(قد كنت فينا مرجوا) حقيرا بلغة حمير.

(بعجل حنيذ) يعني مشوي بلغة قريش.

(أواه منيب) يعني به الدعاء إلى الله - عز وجل - بلغة توافق لنبطية.

(سيء بهم) يعني كرههم بلغة غسان.

(يوم عصيب) يعني شديد بلغة جرهم.

(حجارة من سجيل) يعني من طين وافقت لغة الفرس.

(الحليم الرشيد) ضد الأحمق السفيه بلغة مدين.

(وحصيد) يعني منحدر من الأرض بلغة العمالقة، وما سوى الأرض بلغة هذيل.

(وما زادوهم غير تتبيب) يعني تخسير بلغة قريش.

(ولا تركنوا) ولا تميلوا بلغة كنانة.

سورة يوسف: (إنا إذا لخاسرون) لمضيعون بلغة عيلان.

(أعصرا خمرا) عنبا بلغة عمان.

(وادكر بعد أمة) بعد نسيان، بلغة تميم وقيس غيلان.

(تفندون) تستهزئون، لغة قيس غيلان.

سورة إبراهيم: (دار البوار) يعني دار الهلاك لغة عمان.

(أفئدة من الناس) يعني ركبانا من الناس لغة قريش.

(مقنعي رءوسهم) ناكسي رءوسهم لغة قريش.

سورة الحجر: (من حمأ مسنون) الحمأ الطين المسنون المنتن لغة حمير.

(للمتوسمين) للمتفرسين لغة قريش.

سورة النحل: (تسيمون) ترعون لغة خثعم.

(ظل وجهه) صار بلغة هذيل.

(بنين وحفدة) الحفدة الأختان لغة سعد العشيرة.

(وهو كل على مولاه) عيال لغة قريش.

(سرابيل تقيكم الحر) القمص لغة تميم، و (سرابيل تقيكم بأسكم) يعني الدروع بلغة كنانة.

(قانتا) إماما يقتدون به لغة قريش.

سورة الإسراء: (ولتعلن علوا كبيرا) يعني لتقهرن لغة جذام.

(فجاسوا خلال الديار) فتخللوا الأزقة لغة جذام.

(وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه) أي عمله لغة أنمار.

(دمرنا) أهلكنا لغة حضرموت.

(المبذرين) المسرفين لغة هذيل.

(فتقعد ملوما محسورا) المحسور المنقطع لغة جرهم.

(فسينغضون) يحركون لغة حمير.

(مسطورا) مكتوبا لغة حمير.

(لأحتنكن) لأستأصلن لغة الأشعريين.

(إمام) كتاب بلغة حمير.

(دلوك الشمس) زوالها لغة قريش.

(شاكلته) يعني ناحيته لغة هذيل.

سورة الكهف:

(باخع نفسك) أي قاتل نفسك لغة قريش.

(الرقيم) الكتاب لغة الروم.

(شططا) كذبا لغة خثعم.

(فجوة) ناحية لغة كنانة.

(بالوصيد) بالفناء لغة مذحج.

(رجما بالغيب) يعني ظنا لغة هذيل.

(ملتحدا) ملجأ لغة هذيل.

(الإستبرق) الديباج لغة توافق لغة الفرس.

(حسبانا من السماء) يعني بردا لغة حمير.

(موئلا) ملجأ لغة كنانة.

(لا أبرح) لا أزال لغة كنانة.

(حقبا) دهرا لغة مذحج.

(إمرا) عجبا لغة قريش.

(نكرا) منكرا لغة قريش.

(وراءهم) أمامهم لغة النبطية.

(الصدفين) الجبلين لغة تميم.

(فمن كان يرجو لقاء ربه) يعني يخاف لغة هذيل.

سورة مريم:

(من الكبر عتيا) نحولا لغة حمير.

(تحتك سريا) يعني جدولا أي نهرا لغة توافق لغة السريانية.

(حفيا) عالما لغة قريش مثل قوله في الأعراف.

(أيهم أشد على الرحمن عتيا) يعني أعظم أمرا لغة قريش.

(ضدا) عدوا وخصما لغة كنانة.

(إلى جهنم وردا) حفاة مشاة عطاشا لغة قريش.

(ركزا) صوتا خفيا لغة قريش.

سورة طه: (مأرب) حاجات لغة حمير.

(اليم) البحر بلغة توافق القبط.

(تارة أخرى) مرة أخرى لغة الأشعريين.

(فلا يخاف ظلما ولا هضما) يعني نقصا لغة هذيل.

سورة الأنبياء: (كتابا فيه ذكركم) يعني شرفكم، لغة قريش.

(لو أردنا أن نتخذ لهوا) اللهو المرأة لغة اليمن.

(فجاجا) طرقا لغة كندة.

(من كل حدب ينسلون) حدب جانب ينسلون يخرجون لغة جرهم.

(حصب جهنم) يعني حطب جهنم لغة قريش.

(لا يسمعون حسيسها) لا يسمعون جلبتها بلغة قريش.

سورة الحج: (وترى الأرض هامدة) يعني مغبرة لغة هذيل.

(أمنيته) فكرته لغة قريش.

سورة المؤمنون: (طور سيناء) الطور الجبل لغة توافق السريانية.

(استكانوا) أي استذلوا لغة قريش.

(مبلسون) آيسون لغة كنانة.

(اخسئوا) اخزوا بلغة عذرة.

سورة النور: قوله تعالى: (لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْد اللّه هُمُ الْكَاذِبُونَ). (لَوْلَا جَاءُوا) هلا جاؤا لغة قريش.

وقوله تعالى: (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ). (وَلَا يَأْتَلِ)، لا يحلف لغة قريش.

وقوله تعالى: (اللّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاة فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَة الزُّجَاجَةُ). (كَمِشْكَاة)، يعني الكوة لغة توافق الحبشة.

وقوله تعالى: (فَتَرَي الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) المطر لغة جرهم.

خِلَالِهِ) السحاب لغة جرهم.

سورة الفرقان: قوله تعالى: (قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا) يعني هلكا لغة عمان.

وقوله تعالى: (لا بُشْرَي يَوْمَئِذ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا) حراما محرما لغة قريش.

وقوله تعالى: (وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا × وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا). (الرَّسِّ) **البئر لغة أزد شنوءة.** (تَبَّرْنَا) **أهلكنا بلغة سبأ.**

وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) **بلاء لغة حمير.**

سورة الشعراء: قوله تعالى: (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) **قتلت بالنبطية.**

وقوله تعالى: (إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ) **عصابة لغة جرهم.**

وقوله تعالى: (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ) **بكل طريق لغة جرهم.**

سورة النمل: وقوله تعالى: (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ). (رَبِّ أَوْزِعْنِي)، **ألهمني لغة قريش.**

وقوله تعالى: (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً) (الصَّرْحَ)، **البيت لغة حمير.**

سورة القصص: قوله تعالى: (اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ) **الجناح اليد، والرهب الكم بلغة بني حنيفة.**

سورة لقمان: قوله تعالى: (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) اسرع بلغة هذيل.

وقوله تعالى: (وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)، أقبحها بلغة حمير.

سورة السجدة: قوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ ۖ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ) (فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ)، في شك بلغة قريش.

سورة الأحزاب: قوله تعالى: (وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا). (مِن صَيَاصِيهِمْ)، يعني من حصونهم بلغة قيس عيلان.

وقوله تعالى: (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا) يعني الزنا بلغة حمير.

سورة سبأ: قوله تعالى: (أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ) يعني المسمار في الحلقة بلغة كنانة.

وقوله تعالى: (لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ). (وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ)، النحاس بلغة جرهم.

وقوله تعالى: (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ

الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي العَذَابِ المُهِينِ) . (مِنسَأَتَهُ)، عصاته بلغة حضر موت وأنمار وخثعم.

وقوله تعالى: (قَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ) يعني التناول بلغة قريش.

سورة فاطر: (تؤفكون) تكذبون بلغة قريش.

سورة يس: قوله تعالى (يس) يعني يا إنسان بلغة الحبشة.

(الأجداث) القبور بلغة هذيل.

(وامتازوا) أعتزلوا بلغة قريش.

سورة الصافات: قوله تعالى: (قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ) (مَدْحُوراً)، طردا بلغة كنانة.

وقوله تعالى: (وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ) دائم بلغة قريش.

وقوله تعالى: (إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) (شِهَابٌ ثَاقِبٌ)، مضيء بلغة هزيل.

وقوله تعالى: (أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ. أَوَآبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ) (مِتْنَا)، بلكسر لغة الحجاز، ومُتنا بالضم لغة تميم.

وقوله تعالى: (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ) يعني مزجا بلغة جرهم.

وقوله تعالى: (أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) يعني رباً بلغة حمير، وقيل بلغة أزد شنوءة.

وقوله تعالى: (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْف أَوْ يَزِيدُونَ) يعني (بل) يزيدون بلغة كندة.

وقوله تعالى: (أَلا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ) كذبهم بلغة قريش.

سورة ص: قوله تعالى: (كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْن فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاص) وليس حين فرار بلغة توافق النبطية.

وقوله تعالى: (وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ) المطيع بلغة كنانة وهذيل وقيس غيلان.

وقوله تعالى: (فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ). (حَيْثُ أَصَابَ)، حيث أراد بلغة عمان.

وقوله تعالى: (قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) ملعون بلغة قريش عيلان.

وقوله تعالى: (وَقَالُوا ما لَنا لا نَرى رِجالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرارِ ۞ أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصارُ) (سِخْرِيًّا)، بمعنى الهزء، وهي بالكسر لغة قريش وبالضم لغة تميم، وقرأت بالقراءتين.

سورة الزمر: قوله تعالى: (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ). (اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ)، أي مالت ونفرت بلغة الأشعريين.

وقوله تعالى: (وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون) (حَاقَ)، يعني وجب بلغة قريش.

سورة محمد (صلى الله عليه وآله): قوله تعالى: (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ). (وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ)، أي ينقصكم بلغة حمير.

سورة ق: قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّام وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوب). (وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوب) أي من إعياء بلغة حضر موت.

وقوله تعالى: (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّار فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ) (عَلَيْهِم بِجَبَّار)، بمسلط بلغة جرهم.

سورة الذاريات: قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (الْإِفْكِ)في جميع القرآن الكذب بلغة قريش.

وقوله تعالى: (قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَة سَاهُونَ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ

يَوْمُ الدِّينِ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ). (الْخَرَّاصُونَ)، الكذابون بلغة كنانة وقيس غيلان.

وقوله تعالى: (كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) ما ينامون بلغة هذيل.

(فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) يعني برهطه بلغة كنانة.

وقوله تعالى: (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ) البحر بلغة توافق النبطية.

وقوله تعالى: (فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ). (ذَنُوباً) أي نصيبا من العذاب بلغة هذيل.

سورة الطور: قوله تعالى: (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) يعني الممتلئ بلغة عامر بن صعصعة. وقوله تعالى: (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) جمعت بلغة خثعم.

وقوله تعالى: (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) يعني تنشق السماء شقابلغة قريش. وقوله تعالى: (يوم يدعون) يدفعون بلغة قريش، وكذلك (يدع اليتيم). وقوله تعالى: (وما ألتناهم من عملهم منم شيء) يعني نقصناهم.

سورة النجم: قوله تعالى: (ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ) ذو قوة بلغة قريش.

سورة القمر: قوله تعالى: (وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ) يعني دائم بلغة قريش. وقوله تعالى: (وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ) الدسر المسامير الواحد دسر بلغة هذيل.

وقوله تعالى: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) يعني متفكر بلغة قريش. وقوله تعالى: (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ) يعني في جنون بلغة عمان.

سورة الرحمن: قوله تعالى: (وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ) الخلق بلغة جرهم.

وقوله تعالى: (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) صغار اللؤلؤ بلغة أهل اليمن.

سورة الواقعة: قوله تعالى: (وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا). اي: فتتت بلغة كندة.

وقوله تعالى: (فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ) محاسبين بلغة حمير، مبعوثين بلغة كنانة.

سورة الحديد: قوله تعالى: (يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ) (بِسُور)

الحائط. وقوله تعالى: (۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ). (فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ) **يعني الأمل بلغة هذيل.**

سورة المجادلة: قوله تعالى: (نَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ) (كُبِتُوا) **لعنوا بلغة مذحج.**

وقوله تعالى: (لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)، (وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ) **قواهم بلغة قريش.**

سورة الحشر: قوله تعالى: (مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ) (لِّينَة) **يعني النخل بلغة الأوس.**

وقوله تعالى: (وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) **يعني غشا بلغة قريش.**

وقوله تعالى: (وَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ

الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ)، (الْمُؤْمِنُ): أي أمن خلقه من أن يظلمهم، (الْمُهَيْمِنُ) يعني الشاهد بلغة قيس غيلان.

سورة الصف: قوله تعالى: (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) أي بغضا بلغة قريش.

وقوله تعالى: (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) مالوا بلغة قريش.

سورة الجمعة: قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (أَسْفَارًا) اى: كتبا بلغة كنانة.

سورة المنافقون: قوله تعالى: (فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ) يعني لعنهم الله بلغة قريش.

وقوله تعالى: (لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا) يذهبوا بلغة الخزرج.

سورة التغابن: قوله تعالى: (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) كل زعم في كتاب الله باطل بلغة حمير.

سورة التحريم: قوله تعالى: (إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ

تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) مالت بلغة خثعم.

سورة الملك: قوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَي فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَي مِنْ فُطُورٍ) (تَفَاوُتٍ)، يعني من عيب بلغة هذيل.

وقوله تعالى: (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ)، (تَمُورُ) يعني تنشق الارض بلغة قريش.

وقوله تعالى: (تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ) (تَكَادُ تَمَيَّزُ) يعني تمزق بلغة قريش.

سورة القلم: قوله تعالى: (سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ) الأنف بلغة مذحج.

سورة الحاقة: قوله تعالى: (سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَي الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ) أجذاع الواحد عجز بكسر العين بلغة حمير. و (الْحَاقَّةُ) مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَنَّ فِيهَا يَتَحَقَّقُ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ.

وقوله تعالى: (فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً) شديدة بلغة حمير.

وقوله تعالى: (وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ

ثَمَانِيَةٌ) (رَجْائِهَا)، نواحيها بلغة هذيل.

وقوله تعالى: (وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِين) الحار الذي قد انتهى غليانه شدة بلغة أزد شنوءة.

سورة المعارج: قوله تعالى: (يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ) عكر الزيت بلغة البربر.

وقوله تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا) ضجورا بلغة خثعم.

وقوله تعالى: (فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ) مسرعين بلغة قريش.

وقوله تعالى: (إلى نصب يوفضون) إلى علم يسرعون بلغة قريش.

سورة نوح: قوله تعالى: (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ) يعني تغطوا بلغة جرهم.

وقوله تعالى: (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) ألوانا بلغة هذيل.

سورة الجن: قوله تعالى: (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) يعني عيا بلغة قريش.

قوله تعالى: (وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْساً وَلَا رَهَقاً) يعني ظلما بلغة قريش.

سورة المزمل: (أخذاً وبيلاً) يعني شديدا بلغة حمير.

سورة المدثر: قوله تعالى: (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) حراقة بلغة أزد شنوءة.

وقوله تعالى: (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) من أسماء الأسد بلغة قريش.

سورة القيامة: قوله تعالى: (كَلَّا لَا وَزَرَ) يعني لا حيل ولا ملجأ بلغة أهل اليمن.

وقوله تعالى: (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) يعني الشدة بالشدة بلغة قريش.

سورة المرسلات: قوله تعالى: (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) جمعت بلغة كنانة.

سورة النبأ: (المعصرات) السحاب الواحد معصرة بلغة قريش.

(ثجاجا) يعني رشاشا بلغة الأشعريين.

(كأسا دهاقا) يعني ملآى بلغة هذيل.

سورة النازعات: (واجفة) خائفة بلغة همدان.

(أغطش ليلها) أظلم بلغة أنمار وهمدان.

سورة عبس: (بأيدي سفرة) كتبة بلغة كنانة. (حدائق) بساتين بلغة قريش. (الغلب) الملتفة بلغة قيس غيلان.

سورة التكوير: (سجرت) جمعت) بلغة خثعم. (عسعس) أدبر بلغة قريش. (ضنين) بخيل بلغة قريش. (ظنين) متهم بلغة هذيل.

سورة المطففين: (كتاب مرقوم) مختوم بلغة حمير.

سورة البروج: (فتنوا المؤمنين والمؤمنات) أحرقوا بلغة قريش.

سورة الطارق: (النجم الثاقب) يعني المضيء بلغة كنانة.

سورة الغاشية: (آنية) بمعنى حارة بلغة مدين.

(الضريع) الشرق بلغة قريش، وهو نبت له شوك يكون بالبادية.

(ونمارق مصفوفة) يعني الوسائد الواحدة نمرق بلغة قريش.

(وزرابي مبثوثة) الطنافس بلغة هذيل.

سورة الفجر: (لقد خلقنا الإنسان في كبد) أي في شدة بلغة قريش.

سورة البلد: (مسغبة) مجاعة بلغة هذيل.

سورة الليل: (تردى) مات بلغة قريش.

سورة البينة: (لم يكن الذين كفروا) يعني لم يزل بلغة قريش.

سورة العاديات: (لكنود) يعني لكفور للنعم بلغة كنانة.

الفصل الثالث

الإعجاز التشريعي في القرآن

الفصل الثالث

معنى الإعجاز في اللغة: العَجْز - بضَمِّ الجيم -: مؤخر الشَّيء، وجَمعُه: أعجاز، والعجز الضَّعف، وأعجزه الشيء: فاته، وعَجَّزته تعجيزا: ثبَّطته، ونسبته إلى العجز[١].

والعجز: أصلُه التَّأخُّر عن الشيء، وحُصُوله عند عَجُز الأمر، أيْ: مُؤخره، وسار في التعارف اسماً للقُصُور عن فعل الشَّيء، وهو ضد القدرة[٢].

أعجزتُه وعاجزتُه، جعلته عاجزًا، وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ}[٣]؛ وقرئ (مُعَجِّزين)[٤]، فمعاجزين - قيل معناه -: ظالمين ومُقدرين أنَّهم يُعاجزوننا؛ لأنَّهم حسبوا أن لا بَعْثَ، ولا نشور، فيكون ثوابٌ وعقابٌ؛ وهذا في المعنى كقوله تعالى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}[٥].

---

(١) مختار الصحاح (ع . ج . ز)، (ص:٤١٣).

(٢) المفردات، للراغب، كتاب العين، (ص:٣٢٢).

(٣) الحج: ٥.

(٤) هذه قراءة ابن كثير وأبو عمرو.

(٥) العنكبوت: ٤.

معنى التشريع في اللغة

الشَّرع في اللغة: مصدر شَرَعَ بالتخفيف، والتَّشريع مصدر شرَّع بالتشديد، والشَّريعة في أصْل الاستعمال اللُّغوي: مَورد الماء الذي يقصد للشُّرب، ثُم استعملها العربُ في الطريقة المستقيمة، وذلك من حيثُ إنَّ الماء سبيلُ الحياة والسلامة، ومثل ذلك أيضًا الطريقة المستقيمة، التي تهدي النُّفوس فتحييها.

قال الراغب: الشَّرع: نَهجُ الطَّريق الواضح، يُقال: شرعت له طريقًا، والشَّرعُ مصدر، ثُم جُعِل اسمًا للطَّريقِ النَّهْجِ، فقيل له: شَرَعَ، وشَرْع وشريعة، واستعير ذلك للطَّريقة الإلهيَّة [١].

معنى الإعجاز التشريعي في الذكر الحكيم

هو إثباتُ عَجْز البشر جميعًا عن الإتيان بمثل ما جاء به القُرآن من تشريعاتٍ وأحكام، تَتَعلَّق بالفرد والأُسْرة والمجتمع في كافَّة المجالات.

المُرادُ من الإعجاز التَّشريعي في القرآن، وليس المُرادُ من الإعجاز التَّشريعي هو مُجرد إثبات الإعجاز، وإنَّما المُراد منه لازمه، وهو إثْبات صدْق النَّبي صلَّى الله عليه وآله وبيان كون القُرآن من عند الله عَزَّ وجل: {لَا يأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ

---

(١) كتاب الشين، للراغب، (ص: ٢٥٨).

حَمِيدٍ}[١].

من أجل صيانة المُجتمع وسلامته، يُقرِّر التشريع القرآني الحفاظَ على كليَّات خمس يتوقف عليها بقاء النوع وسلامته وسعادته وهي:

١- النفس

٢- العقل

٣- العرض

٤- الملكية

٥- النظام العام

ومن أجل الحفاظ على هذه الكلِّيَّات، التي تتَّفق كلُّ المجتمعات على صيانتها والحفاظ عليها، حذَّر القرآن الكريم من الاعتداء عليها، وَوَضَع ما يُعرف في الفقه الإسلامي باحكام الجنايات أو الحدود.

(١)ـ **الحفاظ على النفس**: لقد كرَّم القرآن بني آدم، وبيَّن أنه خليفة الله في الأرض، وحرَّم قتل الإنسان لنفسه؛ لأنَّها ليست ملكًا له، إنَّما هي ملك لله وحدَه؛ فقال: {وَلاَ تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}[٢].

كما شَرع القِصاص وجعله ظرفًا للحياة في قوله تعالى: {وَلَكُمْ فِي

---

(١) فصلت: ٤٢.

(٢) النساء: ٢٩.

الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[١]، وقال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}[٢].

فالتَّعدي على النَّفس الإنسانيَّة في التشريع الإسلامي من أخطر الجرائم؛ لأنَّ الإسلام أعلى من شأن الإنسان؛ فقال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ}[٣]، ومن ثَمَّ فقد شدد في العُقُوبة على من يعتدي على حياة غيره بغير حق.

ولا شَكَّ أنَّ رحمة الله عظيمة بفرضه القِصاص؛ لأنَّ من يهمُّ بقتل غيره وهو يعلم أنَّ في ذلك هلاكَه سوف يتردَّد، أو لا يُقْدم على هذه الجريمة الشنعاء؛ خوفًا على حياته.

وقد بيَّن القرآن الكريم أن القصاص أيضاً مما شرعه الله سبحانه وتعالى وأنزله في التَّوراة؛ فقال الله سبحانه: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ

---

(١) البقرة: ١٧٩.

(٢) النساء: ٩٢.

(٣) الإسراء: ٧٠.

بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزلَ اللَّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[١].

(٢)ـ **الحفاظ على العقل**: ومن أجل الحفاظ على العقل الذي هو مَناطُ التَّكليف في الإسلام، وأكبر نعمة أنْعَمَ الله بها على الإنسان حرَّم شُرْب الخمر؛ لقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢].

وقد كان تحريمُ الخمر بتدرج ونوازل كثيرة؛ فإنَّهم كانوا مُولعين بشُربها، وأول ما نزل في شأنها: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[٣]، أيْ: في تجارتهم؛ فلمَّا نزلت هذه الآية تَركها بعضُ النَّاس، وقالوا: نأخذ منفعتها ونترك إثْمها، فنَزَلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى﴾[٤]، فتركها بعضُ الناس، وقالوا: لا حاجة لنا فيما يشغلنا عن الصلاة، وشَربَها بعضُ الناس في غير أوقات الصلاة حتَّى نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ

---

(١) المائدة: ٤٥.

(٢) النساء: ٩٠.

(٣) البقرة: ٢١٩.

(٤) النساء: ٤٣.

وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ} ؛ فصارت حرامًا عليهم حتَّى صار يقول بعضهم: ما حرَّم الله شيئًا أشدَّ من الخمر.

(٣)ـ **الحفاظ على العرض**: ومن أجل الحفاظ على العرض، شَرَع القرآن الكريم حدَّ الزِّنا في قوله تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ}[١]، هذا الحكم في الزاني والزانية البكرين، أن يجلد كلٌّ منهما مائة جلدة بخلاف الزَّاني المحصن، أو الزَّانية المُحصنة، فقد دلَّت السُّنة الصحيحة على أنَّ الحدَّ لكل منهما هو الرجم.

ومن أجل الحفاظ على العرض أيضًا شرع القرآن الكريم حدَّ القذف في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}[٢].

وفي الوقت نفسه أمر القرآن الكريم بغَضِّ البصر، ونَهى عن إبداء ما لا يجوز إبداؤه من الزينة في قوله سبحانه: {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ × وَقُل

---

(١) النور: ٢.

(٢) النور: ٤.

لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [١].

(٤)ـ **الحفاظ على الملكية**: ومن أجل الحفاظ على الملكية شرع القرآن الكريم حدَّ السرقة في قوله سبحانه: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [٢]؛ ذلك أنَّ السَّرقة نزعة شريرة ربَّما تحمل صاحبها، أو تَجرُّه إلى ارتكاب جرائم شنعاء في سبيل الاستيلاء على مال الغير، بدافع من خبث الطبع، أو فساد المنشأ، وسوء التَّربية. من أجل هذا كانت هذه العُقُوبة الرَّادعة لكلِّ من تُسول له نَفسُه العدوان على مال الغير.

(٥)ـ **الحفاظ على النظام العام**: ومن أجل الحفاظ على النِّظام العام، وضَمَان أمْن المُجتمع واستقراره، شَرَعَ القرآن الكريم حدَّ الحرابة

---

(١) النور: ٣١.

(٢) المائدة: ٣٨.

في قوله سبحانه: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلاف أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[١]؛ والمُحاربُون لله ورسولِه، هم الذين بارزوه بالعداوة، وأفسدوا في الأرض بالكُفر والقتل، وأخْذِ الأموال، وإخافة السبيل.

والمشْهُور أنَّ هذه الآية الكريمة في أحكام قُطَّاع الطَّريق، الذين يعرضون للنَّاس في القرى والبَوادي، فيغصبونهم أموالهم، ويقتلونهم، ويُخيفونَهم، فيمتنع النَّاس من سُلُوك الطَّريق التي هم بها، فتنقطع بذلك؛ فأخبر الله أن جزاءهم ونكالهم عند إقامة الحدِّ عليهم أنْ يُفعلَ بهم واحدٌ من هذه الأمور.

واختلفَ المُفسِّرون: هل ذلك على التَّخيير، وأنَّ كلَّ قاطع طريق يعاقبه الحاكم الشرعي بحسب جرائمه، فكلُّ جريمة لها قسط يُقابلُها؛ كما تدل عليه الآية بحكمتها وموافقتها لحكمة الله تعالى، وأنَّهم إن قتَلوا وأَخَذوا مالاً تَحتَّم قتلهم وصلبهم، حتَّى يشتهروا ويختزوا ويرتدع غيرهم. وإن قتلوا ولم يأخذوا مالاً تَحتَّم قتلُهم فقط، وإن أخذوا مالاً ولم يقتلوا تَحتَّم أن تقطع أيديهم وأرجلُهم من خلاف: اليد اليمنى، والرجل اليسرى. وإن أخافوا النَّاس ولم يَقتلوا ولا أخذوا المال، نُفُوا من

---

(١) المائدة: ٣٣.

الأرض، فلا يُتركُون يأوُون في بلد حتَّى تظهر توبَتُهم. (ذَلِكَ) هو النَكال، {لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا} ؛ أيْ: فضيحة وعار ،{وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} ؛ فدلَّ هذا على أنَّ قطع الطَّريق من أعظم الذُنوب، موجبٌ لفضيحة الدُّنيا وعذاب الآخرة، وأنَّ فاعله مُحارِب لله ولرسوله.

وإذا كان هذا شأن عظم هذه الجريمة، علُم أنَّ تطهيرَ الأرض من المُفسدين، وتأمين السُبل والطُّرق عن القَتل، وأخذ الأموال، وإخافة النَّاس مِنْ أعظم الواجبات واعلى درجات الحسنات وأجَلِّ الطاعات، وأنه إصلاحٌ في الأرض، كما أنَّ ضده إفسادٌ في الأرض.

موافقة الذكر الحكيم الفطرة

يُخاطب القُرآن الكريم الإنسان بجانبيه: جانب الرُوح، وجانب المادة، ويُعطي لكلِّ جانب منهما ما يُناسبُه ويُرضيه، والتشريع القرآني يُوافقُ الفِطرة الإنسانيَّة التي فطر الله النَّاس عليها ؛ قال تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}[١]، وقوله تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا}[٢]. فلا يُكلِّف التشريع القرآني الإنسانَ ما هو فوق طاقته، ولا يُحمِّله ما لا يتحمله، ومن هنا

---

(١) الروم: ٣٠.

(٢) القصص: ٧٧.

جاء قوله تعالى: {لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ}[١]، وقوله سبحانه: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ}[٢].

وفي التَّشريع القُرآني الرُّخص التي رخَّص فيها الشَّارع لرفع الحرج أو عند الاضطرار، فعَلَى سبيل المثال لا الحصر، فرض الله الصيام، ورخص في الفطر للمريض والمسافر؛ لقوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[٣]. وذكر الفقهاء في مسائلهم العملية ان الرخصة في المرض او السفر ليس بمعنى الجواز، اي جواز الافطار او جواز الصيام فيهما، وانما بمعنى العزيمة على ترك الصيام في حالتي المرض او السفر، وهو ما ثبت في صحيح الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وفي روايات اهل البيت عليهم السلام.

ومن ذلك أيضاً أنه سبحانه وتعالى ذَكَر المحرمات من الميتة

---

(١) البقرة: ٢٨٦.

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) البقرة: ١٨٥.

والدَّم ولحم الخنزير وغير ذلك، ثم بيَّن سبحانه أنه لا إثم على المضطر؛ فقال تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَة غَيْرَ مُتَجَانِف لِّإِثْم فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[١].

وهكذا فالتشريع القرآني مُوافق للفطرة التي فَطَر الله الناس عليها مما يجعلُهم مُنقادين إليه، طائعين غير مَجبورين عن قناعة وثقة.

الإيجاز في آيات الأحكام من الذكر الحكيم

ذكر علماء البيان في الكثير من المصنفات البلاغية للذكر الحكيم، ومن تلك الاساليب الاسلوب الحكيم في الايجاز الذي يؤدي الى الاستيعاب التام والشمول العام لجميع ما يعتني به مراد المولى الحكيم، ومن ذلك آياتُ الأحكام التي هي غاية في الإيجاز البليغ، مع شُمُولها كلَّ جوانب الأحكام التي تتناولها؛ فهي مُوجزة وشاملة، والجمعُ بين الشُّمول والإيجاز بهذه الطريقة العالية المضامين لايمكن ان تكون

---

(١) المائدة: ٣.

الا باعجاز بلاغي منقطع النظير. والذكر الحكيم كله كذلك، لكنا نسلط الاضواء على جملة من آيات الاحكام منها الايات الثلاثة من سورة النساء التي جَمَعَ فيها قواعدَ علم الميراث، الذي شرحه الفُقهاء في مصنفاتهم التفسيرية والفقهية من خلال صَفَحات عديدة، قال تعالى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ} [١].

---

(١) النساء: ١١، ١٢.

وفي الآية الأخيرة من سورة النساء، قوله تعالى: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[١].

فتحصل: إنَّه من الأدلَّة الدَّامغة، والبراهين القاطعة على الإعجاز التَّشريعي في القرآن اشتمالُ القُرآن المجيد نفسه على المَقاصد الأساسيَّة، والقواعد الكُلِّية للشريعة الإلهيَّة، التي تَنظّم كلَّ شؤون الحياة، وفي الوقت نفسه تُحقّقُ العَدْل التَّام بين الجميع، بقطع النظر عن الانتماءات الدينية أو العرقية أو غيرها، وهذا بالقطع لا يدخلُ تَحت استطاعة أحد من البشر كائنًا من كان.

ومن تربية الفرد ينتقل الإسلام إلى بناء الأُسْرة؛ لأنَّها نواة المجتمع، فشَرَع القُرآن الزَّواج؛ استجابة للغريزة الفطريَّة، وإبقاءً على النَّوع الإنساني في تناسُل مشروع، ليقوم رباط العلقة الزوجية على المودَّة والرحمة؛ قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

---

(١) النساء: ١٧٦.

يَتَفَكَّرُونَ﴾[١]؛ و(مَوَدَّةً) وهي المحبة، و(وَرَحْمَةً) هي الرأفة، فإنَّ الرَّجُل يُمسك المرأة، إمَّا لمحبة لها، أو لرحمة بها، بأنْ يكون لها منه ولد، أو لحاجة إليه في الإنفاق، أو للأُلْفة بينهما، وغير ذلك.

وأوجب أنْ تكونَ عِشرة الرجال لهن بالمعروف؛ فقال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٢]، وهو النصفة في المبيت، والنَّفقة، وحسن المنطق في القول، والتعامل الحسن، وما الى ذلك مما وصف من اخلاق المؤمنين الذين يراعون الله تبارك وتعالى في كل افعالهم وخلجاتهم مع ازواجهم. ولكل من الرجال والنساء حقوق على السواء يقرِّرها الله تبارك وتعالى في تشريعه الخالد في القرآن المجيد؛ فقال سُبحانه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٣].

ورخَّص الشارع المقدس تعدد الزيجات للرجل الواحد بالحد المسموح المتعارف عليه، لكنه قيد بشروط كان الواجب مراعاتها فاشترط العدل، وحذَّر أشد التحذير من الظُّلم أو الجور، بل أَمَرَ بالاكتفاء بواحدة عند الخوف من عدم العدل؛ فالتعددُ في المجتمعات الإسلاميَّة تعدد مُقيَّد بشروط، وهو في إطار سياج من الخُلُق والفضيلة، والتعدد في المجتمعات غير المسلمة تعدد غير مقيد بقيود، بل هو

---

(١) الروم: ٢١.

(٢) النساء: ٧٩.

(٣) البقرة: ٢٢٨.

بعيد عن الأخلاق والفضيلة، وبعيد عن إطار الحياة الزَّوجيَّة.

وفي القرآن الكريم يقومُ الحكم على أُسُس العدل التام، والمساواة، والشورى، وكلِّ ما من شأنه أن يحفظَ سلامة المجتمع، ويُحافظ على أمنه واستقراره؛ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّـهِ وَلَـوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُـوا فَـإِنَّ اللّـهَ كَـانَ بِمَـا تَعْمَلُـونَ خَبِيرًا}[١]، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّـهَ عَلِـيمٌ خَـبِيرٌ}[٢]، وقوله تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ}[٣]، وقولـه تعـالى: {وَأَمْـرُهُمْ شُـورَى}[٤]، وقوله تعالى: {وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ}[٥].

---

(١) النساء: ١٣٥.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) آل عمران: ١٥٩.

(٤) الشورى: ٣٨.

(٥) النساء: ٥٨.

الفصل الرابع

أقسام التفسير ومناهجه

الفصل الرابع

تعريف علم التفسير

علم التفسير هو أحد العلوم الشرعية الأساسية المتعلقة بالقرآن الكريم من حيث أنه يهدف إلى تحصيل القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة من كلام الحق سبحانه إضافة إلى تذكير المخلوق بحق الخالق، وتنبيه العابد للاستعداد إلى يوم المعاد، وتحذير الإنسان من مكائد الهوى والشيطان وغير ذلك، مما يحصله المؤمن نتيجة معرفته بتفسير كلام الله وإطلاعه على أسراره وخفاياه. فهو علم يبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد من حيث دلالتُه على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية.

التفسير في اللغة، إنما هو الإيضاح والتبيين، وقد جاءت كلمة التفسير في هذا المعنى في الآية الكريمة: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[1] أي بياناً وتفصيلاً. ومادام موضوع علم التفسير كلام الله سبحانه وتعالى الذي هو منبع كل حكمة ومعدن كل فضيلة، فإن غايته التوصل إلى فهم معاني كلام الله سبحانه واستباط أحكامه ومعرفة مراده ليصار بذلك إلى السعادة الدنيوية والأخروية.

منشأ علم التفسير، أول من أظهر تفسير القرآن وبين للناس معانيه

---

(١) الفرقان: ٣٣.

رسول الله صلى الله عليه وآله وكان هو أعلم الناس بمعاني كتاب الله وإدراك أسراره ومعرفة مقاصده. بل هو الذي وجه إليه الله كلامه حيث قال تعالى: { لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ }[1]. فكان النبي صلى الله عليه وآله يبين المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ، وسبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولاً عنه. ولما لكلام الله من قدسية، ولما يتوقف على تفسيره من نتائج هامة وأحكام تتعلق بأحوال الخلق، لم يكن علم التفسير بالعلم الذي يقوم دون اعتماد على دعائم أو استناد إلى علوم ومبادئ.

ومن هنا بيّن العلماء أن التفسير يتوقف في معرفته على عدد من العلوم هي: علم اللغة والنحو والصرف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع والقراءات وأصول الدين وأصول الفقه وأسباب النزول والقصص والناسخ والمنسوخ والفقه والأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم، إضافة إلى الموهبة التي يورثه الله تعالى لمن يعمل بما يعلم من إخلاص النية وصحة الاعتقاد ولزوم سنن الدين..

وبدون تلك العلوم أو بعضها يخشى على من يتعرض للتفسير أن يَضل ويُضل.

أنواع التفسير

قد تنوعت وتعددت كثيراً كتب التفسير حتى إنها لتكاد لا تقع تحت حصر، وذلك دليل على اهتمام وانشغال الأمة الإسلامية بكتاب

---

(١) النحل: ٤٤.

ربها وبذلها لجهود كثيرة وحثيثة لشرحه من جوانب عديدة.

ولقد حصر بعض العلماء كتب التفسير المعروفة في مجموعات بحسب تقسيمات علمية على النحو التالي:

(أ)- التفسير بالمأثور: أي تفسير القرآن الكريم بالقرآن نفسه أو بالسنة النبوية أو بما نقل عن ائمة اهل البيت عليهم السلام. ومن هذا القبيل :

(١)- تفسير الإمام العسكري

(٢)- تفسير القمي

(٣)- تفسير العياشي

(٤)- تفسير فرات الكوفي

(٥)- حقائق التأويل الشريف الرضي

(٦)- تفسير التبيان للشيخ الطوسي

(٧)- فقه القرآن - قطب الدين الراوندي

(٨)- تفسير مجمع البيان الطبرسي

(٩)- تفسير جوامع الجامع - الطبرسي

(١١)- تفسير بحار الأنوار

(١٢)- تفسير الصافي، للفيض الكاشاني

(١٣)- تفسير الأصفى، للفيض الكاشاني

(١٤)- كنز الدقائق وبحر الغرائب، محمد بن محمد رضا المشهدي.

(١٥)- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى السبزواري

(١٦)- التفسير الكاشف، الشيخ محمد جواد مغنية.

(١٧)- التفسير المقارن، الشيخ محمد باقر الناصري.

(١٨)- البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني.

(١٩)- تفسير شبر، السيد عبد الله شبر.

(٢٠)- مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر، مير سيد علي الحائري الطهراني.

(٢١)- تفسير القرآن الكريم، صدر المتألهين.

(٢٢)- تفسير نور الثقلين، للحويزي(معاصر).

(٢٣)- تفسير كنز الدقائق - الميرزا محمد المشهدي (معاصر).

(٢٤)- تفسير غريب القرآن - فخر الدين الطريحي (معاصر).

(٢٥)- الدرر الملتقطة في تفسير الآيات القرآنية الخواجوئي (معاصر).

(٢٦)- تفسير القرآن الكريم - السيد مصطفى الخميني (معاصر).

(٢٧)- تفسير الميزان، للسيد الطباطبائي (معاصر).

(٢٨)- تفسير البيان - للسيد الخوئي (معاصر).

(٢٩)- تفسير الأمثل مكارم الشيرازي (معاصر).

وكثير غير ذلك..

(٢)- **التفسير بالرأي**: وهو تفسير القرآن باجتهاد المفسر معتمداً على أسباب النزول ودلالة كلمات الآيات والناسخ والمنسوخ وغير ذلك من أدوات التفسير. ولا شك أن التفسير بالرأي إن لم يتقيد بشروط المفسر وضوابط التفسير كان مزلقاً خطراً وباباً مفتوحاً للتعصب، بل للخروج بكلام الله عن مراده. ويكون من المنهي عنه في احاديث الرسول الاعظم وروايات اهل البيت عليهم الصلاة والسلام، ومنه ما يتدال اليوم من كتب بيد العامة، وجلها يشرح الكلمة معناها، ومنها التي يغلب

عليها بيان القواعد النحوية والاعرابية، ومنها ما يختص بالامور اللغوية الاخرى، وكثير من رواتها اهل مصالح وهوى وراي فاسد ودعى، فياتي الذي ياتي بعدهم بالتقليد الاعمى يجري منهجه، وخصيمهم القران ومن انزله، ومن ارسل به وفهمه.

اقسام القران ستة

ذكر الشيخ الطوسي رحمه الله في مقدمة كتابه التبيان في تفسير القران من أن جميع أقسام القرآن لا يخلو من ستة: محكم، ومتشابه، وناسخ، ومنسوخ، وخاص، وعام.

ثم بيّن الشيخ رحمه الله هذه الاصطلاحات فقال:

(١)ـ **المحكم** ما أنبأ لفظه عن معناه من غير اعتبار أمر ينضم إليه سواء كان اللفظ لغوياً أو عرفياً، ولا يحتاج إلى ضروب من التأويل، كقوله تعالى: {ولا يُكلفُ اللهُ نفساً إلاّ وسعَهَا} وقوله تعالى: {قلْ هوَ اللّهْ أحدٌ}.

(٢)ـ **المتشابه** ما كان المراد به لا يعرف بظاهرة بل يحتاج إلى دليل، فهو يحتمل أكثر من أمر ومعنى، وإنما سمي متشابهاً لاشتباه المراد منه بما ليس بمراد كقوله تعالى: {يحسرتَى على مَا فرَّطتُ في جنبِ اللّهِ}.

وقوله تعالى: {وَالسَّموتُ مطويّتُ بيَمينهِ} وأمثال ذلك مما لا يحمل على ظاهره.

(٣)ـ **الناسخ** ، هو الحكم الثابت بالنص الشرعي يزوال أمر الحكم

المنسوخ.

(٤)ـ **المنسوخ**، هو الحكم المرفوع بعد نزوله، ويمثل لهما معاً بآيتي النجوى، فقد نزل حكم الصدقة عند مناجاة النبي (صلى الله عليه وآله) وعمل بذلك الإمام علي (عليه السلام) كما هو ثابت في التواتر، ورفع هذا الحكم، فالآية الأولى منسوخة بالآية الثانية قال تعالى: {أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }[١]. فقد ذهب أكثر العلماء إلى نسخها بقوله تعالى: { ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوةَ وَءَاتُوا الزَّكَوةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }[٢].

(٥)ـ **العام**، فهو كل لفظ يستغرق أفراده من غير حصر وأدواته كثيرة، وأبرزها (كل) كما في قوله تعالى: {كلُّ من عليها فانٍ}. ومن ألفاظ العموم: الذي، التي، وتثنيتهما وجمعهما، وأي، ما، من، شرطاً وأستفهاماً موصولاً، والجمع المضاف، واسم الجنس المضاف، والمعرف بآل، والنكرة في سياق النفي والنهي.

(٦)ـ **الخاص**، فما خصص فيه العام، إذ ما من عام إلا قد خص،

---

(١) المجادلة: ١٢.

(٢) المجادلة: ١٣.

ومخصصه إما متصل وإما منفصل.

اقسام الخاص:

ثم ذكر الشيخ رحمه الله للخاص اقسام:

(١)ـ **المتصل خمسة:**

(أ)ـ **الاستثناء** كقوله { كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ }[١] .

(ب)ـ **الوصف**، كقوله تعالى: { وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ }[٢].

(ج)ـ **الشرط**، كقوله تعالى: { عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ }[٣] .

(د)ـ **الغاية**، كقوله تعالى: {وكُلوا واشربواْ حتّى يتبينَ لكمْ الخيطُ الأبيضُ} .

(هـ)ـ **بدل البعض من الكل**، كقوله: { وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً }[٤].

(٢)ـ **المخصص المنفصل**: كالآية الأخرى تخصص في محل آخر، أو

---

(١) القصص: ٨٨.

(٢) النساء: ٢٣.

(٣) البقرة: ١٨٠.

(٤) آل عمران: ٩٧.

كتخصيص الكتاب بالسنة. والحق أن هذه الأقسام ترجع إلى القرآن، ولا ترجع إلى التفسير، ففي القرآن محكم ومتشابه، وليس في التفسير محكم ومتشابه، وفي القرآن ناسخ ومنسوخ، وليس في التفسير ناسخ ومنسوخ. فان الآيات في الكتاب العزيز لا تخرج عن كونها احد هذه الاشكال:

أحدها: ما أختص به الله تعالى بالعلم، فلا يجوز لأحد تكليف القول فيه، ولا تعاطي معرفته، كقوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ }[١].

وثانيها: ما كان مطابقاً لمعناه، فكل من عرف اللغة التي خوطب بها عرف معناه، مثل قوله تعالى: { وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ }[٢].

وثالثها: ما هو مجمل لا ينبئ ظاهره عن المراد به مفصلاً، مثل قوله تعالى: { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ }[٣].

ومثل قوله تعالى: { وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ

---

(١) لقمان: ٣٤.

(٢) الأنعام:١٥١.

(٣) البقرة:٤٣.

سَبِيلاً }[١].

وقوله تعالى: { وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ }[٢].

وقوله تعالى: { وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ }[٣].

فإن تفصيل أعداد الصلاة، وعد ركعاتها، وتفصيل مناسك الحج وشروحه، ومقادير النصاب في الزكاة، لا يمكن استخراجه إلا ببيان النبي (صلى الله عليه وآله) ووحي من جهة الله تعالى، فتكلف القول في ذلك خطأ ممنوع منه، يمكن أن تكون الأخبار متناولة له.

ورابعها: ما كان اللفظ مشتركاً بين معنيين فما زاد عنهما ويمكن أن يكون كل واحد منهما مراداً، فإنه لا ينبغي أن يقدم أحد فيقول أن مراد الله فيه بعض ما يحتمل إلا بقول معصوم، ومتى كان اللفظ مشتركاً بين شيئين أو ما زاد عليهما، ودل الدليل أنه لا يجوز أن يريد إلا وجهاً واحداً، أجاز أن يقال أنه هو المراد[٤].

مناهج التفسير والمفسرين

المنهج في اللُّغة: هو الطريق الموصل إلى غاية من الغايات، سواء أكان هذا الطريق مكاناً أم وسيلة لتحقيق فكرة معيّنة أو هدف

---

(١) آل عمران:٩٧.

(٢) الأنعام: ١٤١.

(٣) المعراج: ٢٤.

(٤) تفسير التبيان للشيخ الطوسي: ١: ٩ ومابعدها.

معيّن، وسواء أكانت هذه الغاية مفيدة أم ضارة صواباً أم خطأ.

وقد وردت كلمة (المنهج) في القرآن الكريم، قال تعالى (لِكُلّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)[١]. فالمقصود بـ (مناهج المفسّرين)، الطُرق التي يتبعها المفسِّرون في تفسير كتاب الله تعالى.

وقد ظهر منذ القرن الثاني الهجري عدة مناهج في التفسير ونقصد من ذلك ما ظهر من كتب لما يعرف بالتابعين، واغلبها يعتمد الرأي والحكاية عن الضعفاء وليس لها سند متصل الا ما ندر ويكون قد اخذ ذلك عن اهل البيت عليهم السلام او من بعض العدول الذين لم تسيرهم الاهواء، وذلك أنَّ منهم الذي يعتمد على الرواية، ومنهم مَنْ يعتمد على الفهم الشَخصيّ والمجال الذي تخصَّص فيه.

ومنهم من وقع في حبائل الاهواء والمصالح.. هذا حال التفاسير التي تناولت التفسير والتي نهجت منهاجا بعيدا عن منهج اهل البيت عليهم السلام المسند عن رسول الله صلى الله عليه وآله. ومن هنا برزت عدّة مسمّيات لهذه المناهج، منها: التَّفسير بالمأثور، التَّفسير الموضوعيّ، التَّفسير الصوفيّ الإشاريّ، التَّفسير الصوفيّ النَّظريّ، التفسير العلميّ، وغير ذلك.

وكل هذه الطُرق تدخل تحت كلمة (مناهج)، وسيأتي تفصيلها مصحوبة بالأمثلة، والتَّوضيح، والبيان. إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) المائدة: ٤٨.

معنى التفسير

التَّفسير في اللُّغة: مأخوذ من الفَسْر، بمعنى: الإبانة، والكشف، وإظهار المعنى، يقال: فسر الشيء يفسر ـ بالكسر والضم ـ فسراً إذا أبانه وكشف غطاءه، ومنه قوله تعالى: (وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)[١].

وفي عُرف الشَّرع: هو علم يُعرف به كتاب الله المنْزَل على نبيّه محمد صلى الله عليه وآله، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمِه.

معنى التأويل

التَّأويل في اللُّغة: مأخوذ من الأوْل، وهو الرّجوع إلى الأصل، يقال: آل إليه أولاً ومآلاً بمعنى رجع. قال الجوهري مادة (أ و ل): التأويل: تفسير ما يؤول إليه الشئ، و قد أولته و تأولته بمعنى[٢]. وقال ابن فارس، و آل يؤول أي رجع. قال يعقوب: يقال، أول الحكم إلى أهله، أي أرجعه و رده إليهم[٣]. وقيل: حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه، مع احتمال له، بدليل يعضده.

ومن هذا الباب تأويل الكلام، وهو عاقبته وما يؤول إليه، وذلك

---

(١) الفرقان: ٣٣.

(٢) الصحاح: ٤: ١٦٢٧.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ١٥٩.

قوله تعالى: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ)[١]. يقول: ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشورهم.

ولفظ التأويل صار بسبب تعدد الاصطلاحات له ثلاثة معان:

أحدها: أن يراد بالتأويل حقيقة ما يؤول إليه الكلام و إن وافق ظاهره، و هذا هو المعنى الذي يراد بلفظ التأويل في الكتاب و السنة. كقوله تعالى: (وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَاب فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْم هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْم يُؤْمِنُونَ ۞ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ..۞)[٢].

والثاني: يراد بلفظ التأويل: التفسير، وهو اصطلاح كثير من المفسرين. ومنه إن (الراسخين في العلم) يعلمون تأويل المتشابه، فإنه أراد بذلك تفسيره و بيان معانيه، وهذا مما يعلمه الراسخون.

والثالث: أن يراد بلفظ (التأويل) صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه ظاهره إلى ما يخالف ذلك لدليل منفصل يوجب ذلك. وهذا التأويل لا يكون إلاَّ مخالفًا لما يدل عليه اللفظ و يبينه. ومنه قوله تعالى: (وما يعلم تأويله إلاَّ الله) [٣]، يراد به هذا المعنى، ثم صاروا في هذا التأويل على طريقين.

---

(١) الأعراف: ٥٣.

(٢) الاعراف: ٥٢ - ٥٣.

(٣) آل عمران: ٧.

وقد اختلف العلماء في بيان الفرق بين التَّفسير والتَّأويل، وفي تحديد النّسبة بينهما اختلافاً نتجت عنه أقوال كثيرة لا طائل من ذكرها، والذي يظهر هو ان التَّفسير معناه الكشف والبيان، والكشف عن مراد الله لا نجزم به إلاَّ إذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أو ما بينه اهل البيت عليهم السلام.

أمَّا التَّأويل فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللَّفظ بالدّليل والتَّرجيح على الاجتهاد ويتوصّل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب واستعمالها بحسب السّياق، ومعرفة الأساليب العربيّة، واستنباط المعاني من كلّ ذلك. ومنه قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)[1].

وظاهر الحصر في قوله تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) كون العلم بالتأويل مقصورا عليه سبحانه، وأما قوله (وَالرَّاسِخُونَ) في العلم فظاهر الكلام أن الواو للاستئناف بمعنى كونه طرفا للترديد الذي يدل عليه قوله في صدر الآية: (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ).

---

(١) آل عمران: ٧.

ولا ينافيه أيضا كون المستثنى (الراسخين في العلم) بعينهم إذ لا منافاة بين أن تدل هذه الآية على شأن من شؤون الراسخين في العلم وهو الوقوف عند الشبهة والايمان والتسليم في مقابل الزائغين قلبا وبين أن تدل آيات اخر على أنهم أو بعضا منهم عالمون بحقيقة القرآن وتأويل آياته[١].

وهذا بحسب الظاهر من لفظ القرآن، وأما الروايات الواردة عن المعصومين فهي تشير بشكل صريح أنهم هم الراسخون وإن الواو في قوله تعالى: (وَالرَّاسِخُونَ) لابد أن تكون عاطفة ومن تلك الروايات:

١- في تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (نحن الراسخون في العلم فنحن نعلم تأويله).

٢- في تفسير القمي عن أبي عبيدة عن أبي جعفر: قال سألته عن قول الله: (الم × غُلِبَتِ الرُّومُ × فِي أَدنَى الأَرضِ وَهُم مِن بَعدِ غَلَبِهِم سَيَغلِبُونَ)[٢].

قال يا أبا عبيدة أن لهذا تأويلاً لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم من الأئمة (عليهم السلام).

٣- وفي مجمع البيان للطبرسي، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (كان رسول الله أفضل الراسخون في العلم، قد جمع ما أنزل الله عليه من التأويل والتنزيل وما كان الله ينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله، وهو

---

(١) انظر تفسير الميزان للسيد الطباطبائي - ج ٣ - ص ٢٧ - ٢٨.

(٢) الروم: ١-٣.

وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله).

٤- في تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) يقول: ان القرآن محكم ومتشابه، فأما المحكم فنؤمن به ونعمل به وندين به، وأما المتشابه فنؤمن به ولا نعمل به، هو قول الله تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ) والراسخون في العلم هم آل محمّد[1]. إلى غير ذلك من الروايات الصحاح التي تؤكد أن أهل البيت (عليهم السلام) هم الراسخون في العلم.

ومعنى الرسوخ لغة هو الثبات، ومنه قولك: رسخ في ذهني رسوخاً، أي ثبت الشيء في الذهن. والراسخون في العلم أي الثابتون فيه والعارفون بواطنه. والراسخون في العلم المشار إليهم في الآية الكريمة هم الراسخون في علم تأويل القرآن، لأن سياق الآية يفهم منه أن الراسخين في العلم الذين يعرفون تأويل القرآن وبواطنه وغوامض متشابهاته.

---

(١) تفسير العياشي ١: ١٦٣.

أهل البيت وعلوم الذكر الحكيم

كان أهلُ البيت عليهم السّلام السبّاقين إلى التحدث في علوم القرآن الكريم من تفسيره وتبيان مقاصده، وتعليم مفاهيمه للناس وبيان ما يرتبط به من شؤون، مثل أسباب النزول ومواقع النزول وما شابه ذلك.

وإليك ما كتبه ابن النديم في الفهرست حول الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السّلام في مجال الاهتمام بالقرآن جمعاً وتدويناً:

ترتيب سور القرآن في مُصحَف أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

● قال ابن المنادي (٢٥٦-٣٣٦هـ): حدَّثني الحسنُ بن العباس قال: أُخبرتُ عن عبد الرحمان بن أبي حماد عن الحكم بن ظهير السَّدوسي، عن عبد خير عن عليّ عليه السّلام أنَّه رأى من النّاس طِيرَةً[1] عند وفاة النَبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم، فأقسم أنه لا يضعُ على ظَهره رداءه حتّى يجمع القرآن، فهو أوَّل مصحَف جمع فيه القرآن مِن قلبه وكان المصحف عند أهل جعفر ورأيت أنا في زماننا عند أبي يعلى حمزة الحسني مصحفا قد سقط منه أوراق بخط علي بن أبي طالب يتوارثه بنو حسن على مر الزمان وهذا ترتيب السور من ذلك المصحف.

---

(١) الطيرة: الخفة والطيش.

ويعقب ابن النديم: المراد من عبارته الترتيب المعروف الآن[١].

وهكذا كان أوّل اهتمامات الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، عقب وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله والتحاقه بالرفيق الأعلى هو جمع القرآن المنزَّل من أوله إلى آخره.

● وقال السيوطي في «الإتقان»: قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: وَقَدْ وَرَدَ عَنْ عَلِيٍّ (عليه السلام) أَنَّهُ جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى تَرْتِيبِ النُّزُولِ عَقِبَ مَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ (واله) وَسَلَّمَ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ[٢].

● وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود قال: إن القرآن أُنزِلَ على سبعة أحرف، ما منها حرف إلاّ ولَه ظَهر وبطن، وإنّ عليَّ بن أبي طالب عنده من الظاهر والباطن.

وإليك أيضاً نصّ ما كتبه ابن النديم عن الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السّلام في فهرسته:

● «تسمية الكتب المصنّفة في تفسير القرآن قال: كتابُ الباقر محمّد بن عليّ بن الحسين عليهم السّلام»[٣].

● وكتب كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي عن نشاط الإمام جعفر الصادق عليه السّلام القرآني يقول: «جعفر بن محمّد من علماء أهل البيت وساداتهم، ذو علوم جمّة.. وتلاوةٍ كثيرةٍ، يَتَتَبَّعُ معاني القرآن

---

(١) الفهرست لابن النديم: ١: ٤٦.

(٢) الاتقان في علوم القران للسيوطي: ١: ٢٤٨.

(٣) الفهرست لابن النديم: ١: ٥٨.

ويستخرج من بحره جواهره، ويستنتج عجائبه».

● وأنشد مالك بن اعين الجهنيّ في شأن الإمام محمد بن عليّ الباقر عليه السّلام يقول:

إذا طلَبَ الناسُ علم القُران❖❖❖كانت قريشٌ عليه عيالا
وإن فاه فيه ابنُ بنتِ النبي❖❖❖تلقّت يداهُ فُروعاً طِوالا
نجومٌ تهلّلُ للمُدلجين❖❖❖ فَتَهدي بأنوائهن الرجالا

وجاء في «إرشاد» الشيخ المفيد رحمه الله، أنّ المأمون العباسي لمّا أراد أن يزوّج ابنته أمَّ الفضل أبا جعفر الإمام محمد بن عليّ (الجواد) عليهما السّلام بلغ ذلك العباسيين فشقّ عليهم، واعترضوا على المأمون، وجرى بينهم وبينه جدال ونقاش. ومما قالوه هو: يا أمير المؤمنين، أتُزوّج ابنتك وقرة عينك صبيّاً لم يتفقّه في دين الله، ولا يعرف حلاله من حرامه، ولا فرضه من سنته ؟!... فأمهِلْه ليتأدب ويقرأ القرآن ويتفقه في الدين ويعرف الحلال من الحرام، ثمّ اصنع ما تراه بعد ذلك.

فقال لهم المأمون: ويْحكُم! إني أعرَفُ بهذا الفتى منكم، وإنه لأفقهُ منكم وأعلم بالله ورسولهِ وسنّته وأحكامه، وأقرأُ لكتاب الله منكم وأعلم بمحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وظاهره وباطنه، وخاصّه وعامّه، وتنزيله وتأويله منكم.. إلى آخر كلامه.

● وقال أبو نؤاس وهو يمدح الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السّلام عاكساً نظرة الناس إليه وإلى من تقدَّمه من أئمّة أهل البيت

(عليهم السّلام):

مُطَهَّـــــرون نَقيّاتٌ ثيـابُهُمْ ❖❖❖ تجري الصلاة عليهم أينما ذُكِرُوا
مـن لم يكُنْ عَلَوياً حينم تَنسبُهُ❖❖❖ فما لــه في قديم الدهر مفتَخَرْ
فالله لما بَرى خَلْقاً فأتقنـــه❖❖❖ صفّاكمُ واصطفـاكم أيّها البشــرْ
وأنتـــمُ المَلأُ الأعْلى وعِندكُمُ ❖❖❖ علْمُ الكتـاب وما جاءت به السُّورْ

• وروى الحميري عن محمد بن سعيد مولى لوْلد جعفر بن محمد قال: قدم عمر بن الفرج المرخجي المدينةَ حاجّاً بعد مْضيّ أبي جعفر (أي وفاة الإمام الجواد عليه السّلام) فاحضر جماعة من أهل المدينة والمخالفين المعاندين لأهل بيت رسول الله فقال لهم: إبغْوا لي رجلاً من أهل الأدَب والقرآن والعلم لا يوالي أهلَ هذا البيت، لأضمَّهْ إلى هذا الغلام، واُوكله بتعليمه، وأتقدم إليه بأن يمنع منه الرافضةَ الذين يقصدونه، يمسُّونه. فأسمَوا له رجلاً من أهل الأدب يْكنّى أبا عبدالله ويعرف بالجنيدي، متقدماً عند أهل المدينة في الأدب والفهم، ظاهر الغضب والعداوة..

فأحضره عمر بن الفرج وأسنى له الجاري من مال السلطان وتقدَّم إليه بما أراد، وعرّفه أن السلطان أمَرَهُ باختيار مثله، وتوكيله بهذا الغلام.

قال: فكان الجنيدي يلزم أبا الحسن في القصر بـ «صريا» فإذا كان الليل أغلق الباب وأقفله، وأخذ المفاتيح إليه. فمكث على هذا مدةً وانقطعت الشيعةُ عنه وعن الاستماع إليه منه والقراءة عليه.

ثمَ اني لقيته في يوم جمعة فسلّمت عليه، وقلت له: ما قال هذا الغلام الهاشميّ الذي تؤدّبُهُ ؟ فقال منكراً علَّي: تقولُ هذا الغلام، ولا تقول الشيخَ الهاشمي؟! أُنشدكُ اللهَ هل تعلمُ في المدينة أعلم منّي؟! قلت: لا. قال: فاني والله أذكر له الحزبَ من الأدَب أظنُّ أني قد بالغتُ فيه فيملي عليَّ بما فيه أستفيده منه، ويظنّ الناس أنّي أُعلّمُهُ، وأنا والله أتعلَّم منه. قال: فتجاوزتُ عن كلامه هذا، كأنّي ما سمعتهُ منه، ثمّ لقيتُه بعد ذلك فسلّمتُ عليه وسألتُه عن خبره وحاله، ثمّ قلت: ما حال الفتى الهاشميّ؟ فقال لي: دَع هذا القولَ عنك، هذا والله خير أهل الأرض وأفضلُ من خُلق، إنّه لربما هَمّ بالدخول (أي الدخول إلى حجرته للاستراحة) فأقول له: تَنَظَّرْ حتّى تقرأ عُشْرَكَ، فيقول لي: أي السُّور تحبُّ أن أقرأها ؟ فأذكر له من السور الطوال لم يبلغ إليه، فَيَهُزُّها بقراءة لم أسمع أصحَّ منها من أحدٍ قط، وحزمٍ أطيب من مزامير داود النبيّ الذي بقراءته يضرب المثل.

قال: ثم قال: هذا ماتَ أبوهُ بالعراق وهو صغير بالمدينة، ونشأ بين هذه الجواري السود فمن اين عَلِمَ هذا؟!

قال: ثمّ ما مرّت به الأيّامُ والليالي حتّى لقيتُه فوجدتُه قد قال بإمامته وعرف الحق.

علوم الكتاب المنزل (التفسير)

جرياً على سُنَّة الله تعالى فى إرسال الرسل، نزل القرآن بلغة العرب وعلى أساليبهم فى كلامه: {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُول إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ}، فألفاظ القرآن عربية إلا ألفاظاً قليلةً اختلفت فيها أنظار العلماء، فمن قائل: إنها عُرِّبت وأُخِذت من لغات أخرى، ولكن العرب هضمتها وأجرت عليها قوانينها فصارت عربية بالاستعمال.

ومن قائل: إنها عربية بحتة، غاية الأمر أنها مما تواردت عليه اللغات، وعلى كِلا القولين فهذه الألفاظ لا تُخرج القرآن عن كونه عربياً.

استعمل القرآن فى أسلوبه الحقيقة والمجاز، والتصريح والكناية، والإيجاز والأطناب، وعلى نمط العرب فى كلامهم. غير أن القرآن يعلو على غيره من الكلام العربي، بمعانيه الرائعة التى افتنَّ بها فى غير مذاهبهم، ونزع منها إلى غير فنونهم، تحقيقاً لإعجازه، ولكونه من لدن حكيم عليم.

نزل القرآن الكريم على قوم أُمِّيين، ليس لهم إلا ألسنتهم وقلوبهم، وكانت لهم فنون من القول يذهبون فيها مذاهبهم ويتواردون عليها، وكانت هذه الفنون لا تكاد تتجاوز ضروباً من الوصف، وأنواعاً من الحكَم، وطائفة من الأخبار والأنساب، وقليلاً مما يجرى هذا المجرى،

وكان كلامهم مشتملاً على الحقيقة والمجاز، والتصريح والكناية. والإيجاز والإطناب.

وكان طبيعياً أن يفهم النبى صلى الله عليه وآله جملة وتفصيلاً، إذ تكفل الله تعالى له بالحفظ والبيان: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ × فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ×ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ}، كما كان طبيعياً أن يفهم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله القرآن فى جملته، أى بالنسبة لظاهره وأحكامه، أما فهمه تفصيلاً، ومعرفة دقائق باطنه، بحيث لا يغيب عنهم شاردة ولا واردة، فهذا غير ميسور لهم بمجرد معرفتهم للغة القرآن، بل لا بد لهم من البحث والنظر والرجوع إلى النبى صلى الله عليه وآله، ولى اهل البيت عليهم السلام من بعده حيث اشركهم رسول الله صلى الله عليه وآله مع القران في قوله اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود بين السماء والارض وعترتي اهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابدا[1]، فكانوا عليهم السلام الترجمان الحقيقي بعد رسول الله

---

(١) انظر: صحيح مسلم ٧ | ١٢٢. مسند أحمد ٥ | ١٨١. صحيح الترمذي ٥ | ٦٢١. الدر المنثور ٢ | ٦٠. المستدرك على الصحيحين ٣ | ١١٠. المستدرك على الصحيحين ٣ | ٥٣٣. المعجم الكبير ٥ | ١٨٦ـ ١٨٧. الصواعق المحرقة: ٨٩ . ٩٠. وذكر ابن حجر الهيتمي المكي في كتابه الذي أسماه بالصّواعق المحرقة: ثم اعلم أنّ لحديث التمسّك بذلك طرقاً كثيرةً وردت عن نيف وعشرين صحابياً، ومرّ له طرق مبسوطةٌ في حادي عشر الشّبه، وفي بعض تلك الطّرق أنه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة، وفي أخرى: أنه قاله بالمدينة ←

صلى الله عليه وآله لوحي السماء.

فيما يشكل عليهم فهمه، وذلك لأن القرآن فيه المجمل، والمشكل، والمتشابه، وغير ذلك مما لا بد في معرفته من أمور أُخرى يُرجعَ إليها.

حيث ان نزول القرآن بلغة العرب لا يقتضي أن العرب كلهم كانوا يفهمونه في مفرداته وتراكيبه، وأقرب دليل على هذا ما نشاهده اليوم من الكتب المؤلَفة على اختلاف لغاتها، وعجز كثير من أبناء هذه اللغات عن فهم كثير مما جاء فيها بلغتهم، إذ الفهم لا يتوقف على معرفة اللغة وحدها، بل لا بد لمن يفتش عن المعاني ويبحث عنها من أن تكون له موهبة عقلية خاصة، تتناسب مع درجة الكتاب وقوة تأليفه.

وقد عرف القول في تفسير القرآن منذ عهد نزول القرآن ذاته، فالقرآن يفسر بعضه بعضا. لقوله تعالى: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[1].

ومن ثم عرف عن المعصومين عليهم السلام تفسير القران

→

في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفي أُخرى: أنه قال ذلك بغدير خم، وفي آخر أنه قال لمّا قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف كما مر. ولا تنافي، إذْ لا مانع من أنّه كرّر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها، اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة.

(١) النحل: ٤٤.

بالقران وتفسيره بالسنة المآخوذة عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله من خلال رواياتهم، والعلماء بعد ذلك ذكروا في تصانيفهم ألوانا شتى من تفسير القرآن للقرآن ومن تفسير السنة للقرآن.

ثم سار العلماء من اتباع اهل البيت عليهم السلام على هذا المنوال من البيان لكل ما يحتاج إلى بيان من القرآن، وما كانت هذه الاساليب حكرا على الاتباع فقط بل تكونت، مدارس التفسير في مكة والمدينة والشام، والعراق، وحتى دونت المصنفات التي لا تكاد تحصى في التفسير، كل على حسب مشرب صاحبه من العناية باللغة والبلاغة أو الفقه والأحكام، أو تحقيق أمور العقيدة ومباحث علم الكلام، أو التصوف وأذواقا المتصوفة وإشاراتهم، ثم من إسهاب إلى إيجاز إلى توسط في التناول، وهكذا صار تفسير القرآن علما قائما برأسه وضعت فيه المئات إن لم تكن الألوف من المجلدات.

والثابت إن أجلّ علم صرفت فيه الهمم، علم الكتاب المنزل، إذ هو كلام الله الذي { لَا يَأْتِيه الْبَاطِل مِنْ بَيْن يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفه } أى: ليس للبطلان إليه سبيل؛ لأنه منزل من رب العالمين؛ ولهذا قال: (تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيم حَمِيد)[1]. أى: حكيم في أقواله وأفعاله . وقوله تعالى: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

---

(١) فصلت: ٢٤.

يُنفِقُونَ)[١].

(وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)[٢].

ونزل في القران ما هو شفاء، والرحمة والبيان، والموعظة الحسنة والتبيان، فلو أنفقت فيه الأعمار ما أدركت كل غوره، ولو بذلت الجهود كلها ما أنضبت من معينه شيئاً يذكر، ومن هنا تعرف معنى العناية بتفسير الكتاب العزيز، ومعرفة بيانه ودراسته، واستدرار كنوزه، والنهل من معينه العذب، ومن هنا تنوعت طرائقهم في عرض علوم القران، واختلفت مشاريعهم في إيضاح مكنوناته، وكان القدح المعلى لعلم التفسير من ذلك كله. وقد عرفت مما تقدم اجمالا ان علم التفسير علم يخص تفسير القرآن.

وقد عرفت عرفت التفسير اصطلاحا: الذي هو كشف معاني القرآن وبيان المراد منه، وهو أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره، وبحسب المعنى الظاهر وغيره، والمقصود منه، التفسير بهذا المعنى يشمل جميع ضروب البيان لمفردات القرآن وتراكيبه سواء تعلق البيان بشرح لغة، أو باستنباط حكم أو بتحقيق مناسبة، أو سبب نزول، أو بدفع إشكال ورد على النص، أو بينه وبين نص آخر أم بغير ذلك من

---

(١) البقرة: ٢ - ٣.

(٢) الاسراء: ٨٣.

كل ما يحتاج إليه بيان النص الكريم.

ومن هنا جاءت افانين تناول هذه المعرفة الفريدة من نوعها وواكب العلماء استنباطاتهم من خلال اربعة اساليب وجدت لديهم بالاستقراء، وشهادة فحولهم رحمهم الله تعالى، وهي ما ياتي تعداده وتفصيله بالبحث التالي ان شاء الله تعالى.

الصحابة والتفسير

ولو أننا رجعنا إلى عهد الصحابة لوجدنا أنهم لم يكونوا فى درجة واحدة بالنسبة لفهم معاني القرآن، بل تفاوتت مراتبهم، وأشكل على بعضهم ما ظهر لبعض آخر منهم، وهذا يرجع إلى تفاوتهم فى القوة العقلية، وتفاوتهم فى معرفة ما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات، وأكثر من هذا، أنهم كانوا لا يتساوون فى معرفة المعاني التى وُضعت لها المفردات، فمن مفردات القرآن ما خفى معناه على بعض الصحابة، ولا ضَيْر فى هذا، فإن اللغة لا يحيط بها إلا معصوم عليهم السلام وانى لهم ذلك!!، ولم يدَّع أحد أن كل فرد من أُمَّة يعرف جميع ألفاظ لغتها.

ومما يشهد لهذا الذى ذهبنا إليه، ما أخرجه أبو عبيدة فى الفضائل عن أنس: أن عمر قرأ على المنبر: {وَفَاكِهَةً وَأَبّاً} .. فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبّ؟. وما روى من أن عمر كان على المنبر فقرأ: {أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّف} .. ثم سأل عن معنى التخوف، فقال له

رجل من هذيل: التخوُّف عندنا التنقص.

وما أخرجه أبو عبيدة من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: كنت لا أدرى ما {فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ} حتى أتانى أعرابيان يتخاصمان فى بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، والآخر يقول: أنا ابتدأتها. ولا شك أن كثيراً منهم كانوا يكتفون بالمعنى الإجمالى للآية، فيكفيهم أن يعلموا من قوله تعالى: {وَفَاكِهَةً وَأَبّاً} أنه تعداد للنعمَ التى أنعم الله بها عليهم، ولا يلزمون أنفسهم بتفهم معنى الآية تفصيلاً ما دام المراد واضحاً جلياً.

الذكر الحكيم اهم مصادر التفسير

من الاسلوب البلاغي الحكيم في القرآن الكريم أنه قد اشتمل على الاساليب التي من شانه ان تناسب المخاطبين على مقتضى احوالهم فقد احتوى الاسلوب القراني على الإيجاز والإطناب، وعلى الإجمال والتبيين، وعلى الإطلاق والتقييد، وعلى العموم والخصوص، وما أُوجزَ في مكان قد يُبْسطَ فى مكان آخر، وما أُجْمِلَ في موضع قد يُبيَّن فى موضع آخر، وما جاء مطلقاً فى ناحية قد يلحقه التقييد فى ناحية أخرى، وما كان عاماً فى آية قد يدخله التخصيص فى آية أُخرى.

ولهذا كان لا بد لمن يعترض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر في القرآن أولاً، فيجمع ما تكرر منه فى موضوع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض، ليستعين بما جاء مسهباً على معرفة ما جاء موجَزاً، وبما جاء مُبيَّناً على فهم ما جاء مُجملاً، وليحمل المُطْلَق على المقيَّد،

والعام على الخاص، وبهذا يكون قد فسرَّ القرآن بالقرآن، وفهم مراد الله بما جاء عن الله، وهذه مرحلة لا يجوز لأحد مهما كان أن يعرض عنها، ويتخطاها إلى مرحلة أخرى، لأن الحكمة الالهية في بيان أيات الكتاب العزيز جرت على ذلك، (وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَعْيَا لِسَانُهُ وَبَيْتٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ)[١].

وعلى هذا، فمن تفسير القرآن بالقرآن: أن يُشرح ما جاء موجَزاً فى القرآن بما جاء فى موضع آخر مُسْهَباً، وذلك كقصة آدم وإبليس، جاءت مختصرة فى بعض المواضع، وجاءت مُسْهَبة مطوَّلة فى موضع آخر، وكقصة موسى وفرعون، جاءت مُوجَزة فى بعض المواضع، وجاءت مُسْهبة مُفصَّلة فى موضع آخر.

ومن تفسير القرآن بالقرآن: أن يُحمل المجمَل على المبيَّن ليُفسَّر به، وأمثلة ذلك كثيرة فى القرآن، فمن ذلك تفسير قوله تعالى: {وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِى يَعِدُكُمْ}[٢]. بأنه العذاب الأدنى المُعجَّل فى الدنيا، لقوله تعالى فى آخر هذه السورة آية [٧٧]: {فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ}..

ومنه تفسير قوله تعالى: {وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ

---

(١) من خطبة له عليه السلام في ذكر القران نهج البلاغة الخطبة: ١٣٣.

(٢) غافر: ٢٨.

مَـيْلاً عَظِيمـاً}[١] بأهل الكتاب لقوله تعالى فى السورة نفسها آية [٤٤]: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَـابِ يَـشْتَرُونَ الـضَّلاَلَةَ وَيُرِيـدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ}..

ومنه قوله تعالى: {فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَـات}[٢] فسَّرها في قوله تعالى من سورة الأعراف: {قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَـا وَتَرْحَمْنَـا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[٣]..

ومنه قوله تعالى فى سورة المائدة: {أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَـا يُتْلَى عَلَيْكُمْ}[٤].. فسرتها آية {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ} الآية [٣] من السورة نفسها.

ومن تفسير القرآن بالسنة: حمل المُطْلَق على المُقيَّد، والعام على الخاص، فمن حمل المُطْلَق على المُقيَّد فى صورة اختلاف الحكمين عند اتحاد السبب، ومثَّلَ له بأية الوضوء والتيمم، فإن الأيدى مُقيَّدة فى الوضوء بالغاية فى قوله تعالى فى سورة المائدة: {فاغْسِلُواْ

---

(١) النساء: ٢٧.

(٢) البقرة: ٣٧.

(٣) الاعراف: ٢٣.

(٤) المائدة: ١.

وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ}[١].. ومطلقة فى التيمم فى قوله تعالى فى الآية نفسها: {فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ}.. وخصص هذا الاطلاق في اليد في آية التيمم بفعل المعصوم عليه السلام وقوله وتقريره، ومن أمثلته أيضاً عند بعض العلماء: آية الظِّهَار مع آية القتل، ففى كفَّارة الظِّهَار يقول الله تعالى فى سورة المجادلة: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ}[٢].. ولعدم وحدة الموضوع اعني الجامع بينهما لا يمكن تقيدها بمثل قوله تعالى في كفَّارة القتل، من سورة النساء: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ}[٣].. بل كان تقييد الرقبة في آية الظهار بدليل من الخارج على ارادة خصوص الرقبة المؤمنة وهو قول المعصوم عليه السلام وتقريره وهكذا.

ومن حمل العام على الخاص، نفي الخُلَّة والشفاعة على جهة العموم فى قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنْفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ}.. وقد استثنى الله المتقين من نفى الخلة فى قوله: {الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ}.. واستثنى ما أذن فيه من الشفاعة بقوله: {وَكَمْ

---

(١) المائدة: ٦.

(٢) المجادلة: ٣.

(٣) النساء: ٩٢.

مِّن مَّلَك فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّـهُ لِمَـن يَشَآءُ وَيَرْضَى} ..

ومثل قوله تعالى: {مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ} .. فإن ما فيها من عموم خصُصً بمثل قوله: {وَمَآ أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَة فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِير} ..

ومن تفسير القرآن بالقرآن: الجمع بين ما يُتوهم أنه مختلف، كخلق آدم من تراب فى بعض الآيات، ومن طين فى غيرها، ومن حمأ مسنون، ومن صلصال، فإن هذا ذكر للأطوار التى مَرَّ بها آدم من مبدأ خلقه إلى نفخ الروح فيه.

هذا هو تفسير القرآن بالقرآن، وهو ما كان يرجع إليه فى تعرف بعض معانى القرآن، وليس هذا عملاً آلياً لا يقوم على شيء من النظر، وإنما هو عمل يقوم على كثير من التدبر والتعقل، إذ ليس حمل المجمل على المبين، أو المطلق على المقيد، أو العام على الخاص، أو إحدى القراءتين على الأخرى بالأمر الهين الذى يدخل تحت مقدور كل إنسان، وإنما هو أمر يعرفه أهل العلم والنظر خاصة.

أقسام علم التفسير

أولا- أن ننظر إلى التفسير من حيث إمكان تحصيله، وهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى أربعة أقسام: لقول ابن عباس: التَّفْسِيرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: وَجْهٌ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنْ كَلامِهَا، وَتَفْسِيرٌ لا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ،

وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ الْعُلَمَاءُ، وَتَفْسِيرٌ لا يَعْلَمُهُ إِلا اللَّهُ.

(١)ـ **وجه تعرفه العرب من كلامها**: يشمل هذا القسم ألفاظ القرآن، وأساليبه في الخطاب، وذلك لأنه نزل بلغتهم وعلى طرائقهم في الكلام. وهذه الألفاظ والأساليب معلومةٌ لديهم غير خافية، وإن كان قد يخفى على أفراد منهم شيء منها، وذلك لغرابتها على مسمعه، أو لعدم اعتياده عليها في لغة قومه، كما خفي على ابن عباس بعض معاني مفرداته: كلفظ فاطر، فقد روي ان ابن عباس يقول: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض؛ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: لصاحبه: أنا فطرتها؛ يقول: أنا ابتدأتها. والأساليب لما كانت على سنَنِهم في الكلام لم يَخْفَ عليهم المراد بها، فيعلمون من قوله تعالى: (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ)[1] أن هذا الخطاب خطاب امتهان وتهكم، وإن كانت ألفاظه مما يستعمل في المدح، وذلك لأن السياق يدل على معنى الامتهان.

وقد ورد عنهم في تفسير قوله تعالى: (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ)[2] أن قولهم له: (إنك لأنت الحليم الرشيد) أنه من باب

---

(١) الدخان:٤٩.

(٢) هود:٨٧.

الاستهزاء، بمعنى يقولون: إنك لست بحليم ولا رشيد. ومعرفة هذه الأساليب وإدراكها لم يكن منهم بجُهدٍ ولا تكلُّفٍ؛ إذ هي من صميم لغتهم التي يتحدثون بها، وإن لم ينصُّوا على كلّ ما فيها من استعمالات. وإنما ظهر لهذه الأساليب الفنُّ المدوَّنُ فيما بعدُ باسم علم البلاغة لما احتاج المتأخرون إلى الوصول إلى تعلُّمِ طرائق العرب وتفننها في أساليب خطابها.

(٢)ـ **وتفسير لا يعذر أحد بجهالته**: وهذا يشمل الأمر بالفرائض، والنهي عنه المحارم، وأصول الأخلاق والعقائد. فقوله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ)[١]، وقوله تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً)[٢]، وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[٣] لا يعذر أحد بجهل مثل هذه الخطابات وهو يقرأ القرآن.

وكذا يدخل فيه ما جاء من أمر بالصدق والأمانة والنهي عن الكذب والخيانة، وعن إتيان الفواحش، وغير هذه من الأوامر والنواهي المتعلقة بالأخلاق.

ويدخل فيه ما يتعلق بالعقائد؛ كقوله تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا

---

(١) البقرة: ٤٣.

(٢) آل عمران: ٩٧.

(٣) البقرة: ١٨٣.

اللَّهُ)[١]، وقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)[٢]، وغيرها من الأوامر والنواهي المتعلقة بالتوحيد. هذه كلها داخلة في الواجب الذي يجب على المسلم تعلمه من التفسير.

(٣)ـ **وتفسير يعلمه العلماء**: ومما يشمله هذا القسم، ما تشابه منه على عامة الناس، سواءً أكان في الأحكام أم في المعاني. وهذا القسم من فروض الكفاية. وهو كثير في القرآن؛ لأن كل من خفي عليه معنى فإنه من المتشابه عنده، فيحتاج إلى أن يبحث أو يسأل عن ما خفي عليه فهم معناه .

(٤)ـ **وتفسير لا يعلمه إلا الله**: وهذا من ادعى علمه فقد كذب: ويشمل هذا حقائق المغيبات، ووقت وقوعها. فالدابة التي تخرج في آخر الزمان لا يعلم كيفها حقيقتها إلا الله، ولا يعلم وقت خروجها إلا الله. وهكذا سائر الغيبيات. وهذا النوع غير واجب على أحد، بل من تجشم تفسيره فقد أثِم وافترى على الله، وادعى علماً لا يعلمه إلا الله سبحانه. وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة، وأوقات آتية، كوقت قيام الساعة، والنفخ في الصور، ونزول عيسى ابن مريم، وظهور الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وما أشبه ذلك: فإن تلك أوقات

---

(١) محمد: ١٩.

(٢) الانبياء: ٢٥.

لا يعلم أحد حدودها، ولا يعرف أحد من تأويلها إلا الخبر بأشراطها، لإستئثار الله بعلم ذلك على خلقه.

وبذلك أنزل ربنا محكم كتابه، فقال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [1]. فانها إبانة أن علم الساعة من الغيب المختص به تعالى لا يعلمه إلا الله، ولا دليل لتعيين وقتها والحدس لوقوعها أصلا فلا تأتي إلا بغتة.

ثانيا- أن ينظر إلى التفسير من جهة استمداده

وجهة استمداده تكون من الطريق المعتاد نقلا كان من القرآن نفسه، أو من السنة، أو من كلام الصحابة، أو التابعين، أو كان رأيا أواجتهادا. أو من غير هذا الطريق بأن يكون بطريق الإلهام والفيض، فالتفسير ينقسم بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام:

(١)- تفسير بالرواية، ويسمى التفسير بالمأثور

وهو تفسير القرآن بالقرآن نفسه، وبالسنة والآثار الواصلة عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله عن ائمة اهل البيت عليهم السلام. وقيل في تعريفه: هو التفسير الذي يعتمد على صحيح المنقول والآثار

---

(١) الأعراف: ١٨٧.

الواردة في الآية فيذكرها، ولا يجتهد المفسر الا بالقدر المعروف بافراغ الوسع في استحصال الروايات الصحيحة سندا ودلالة، فيكون بيان معنى من بدليل، ويتوقف عما لا طائل تحته، ولا فائدة في معرفته ما لم يرد فيه نقل صحيح. وهو أفضل مناهج التفسير وأعلاها، ومراعاته علامة الصواب، وقاعدة لضبط التجديد في فهم القرآن.

وحيثما توافرت الأدلة على صحته وقبوله، فلا يليق بأحد ردّه، ولا يجوز إهماله وإغفاله، ولا يجمل أن نعتبره من الصوارف عن هدي القرآن. بل هو على العكس عامل من أقوى العوامل على الاهتداء بالقرآن. لانه كل ما صح عن المعصوم النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرة من اهل بيته المعصومين عليهم السلام. فيجب الأخذ به، ولا يجوز العدول عنه إذا صح. نعم قد يلاحظ على أخذ على التفسير بالمأثور اختلاط الصحيح بغير الصحيح. وكان ذلك بدخول الأحاديث غير الصحيحة المنسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله سواء أكان ذلك بنية حسنة أو بغرض هدم الدين، وأيضا الروايات المكذوبة على اهل البيت عليهم السلام والموضوعة، فينبغي على المفسر ان ينقل ما صح عنهم عليهم السلام سندا ودلالة.

(٢)ـ تفسير بالدراية، ويسمى التفسير بالرأي

وهو التفسير بالاستنباط والاجتهاد. والرأي في الأصل مصدر، رأى الشيء يراه رأياً ثم غلب استعماله على المرئي نفسه، من باب استعمال المصدر في المفعول، والعرب تفرق بين مصادر فعل الرؤية

بحسب محالها، ولكن المقصود من الرأي هنا ما يراه القلب بعد فِكْرٍ وتأمل وطلب لمعرفة وجه الصواب مما تتعارض فيه الأمارات؛ فلا يقال لمن رأى بقلبه أمراً غائباً عنه مما يحس به إنه رأيه، ولا يقال أيضاً للأمر المعقول الذي لا تختلف فيه العقول ولا تتعارض في الأمارات إنه رأى، وإن احتاج إلى فكر وتأمل كدقائق الحساب ونحوها.

والرأي يقسم إلى قسمين:

أ. الرأي المحمود: المراد بالرأي هنا (الاجتهاد) المبني على أصول صحيحة، وقواعد سليمة متبعة، يجب أن يأخذ بها من أراد الخوض في تفسير الكتاب، أو التصدي لبيان معانيه، وليس المراد به مجرد (الرأي) أو مجرد (الهوى) أو تفسير القرآن بحسب ما يخطر للإنسان من خواطر، أو بحسب ما يشاء، بل هو ما كان مبناه على علم أو غلبة ظن، بحيث إنه يجري على موافقة معهود العرب في لسانها وأساليبها في الخطاب، مع مراعاة الكتاب والسنة وما أثر عن اهل البيت عليهم السلام. بالإضافة إلى تمكن المفسر من العلوم المختلفة مثل البلاغة والقواعد وغيرها من علوم اللغة، وأصول الفقه، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ وغيرها من علوم القرآن. فالمفسر هنا من يبذل جهده ووسعه في فهم النص القرآني، وأصول الشريعة في الفهم والاستنباط، مع الاطلاع على المأثور في تفسير الآية. وسلوك هذا السبيل جائز لا حرج فيه لمن اجتمعت عنده أدواته، وساق بعضهم أدلة تقرر هذا

الحكم يضيق عنها المقام هنا. وهو ايضا من التدبر في كلام الله تبارك وتعالى، واستنباط الاحكام الشرعية من المحكمات. وهو يدخل تحت قوله تعالى: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوب أَقْفَالُهَا)[1].

ب. الرأي المذموم: وهو التفسير بالجهل والهوى. فهو إما أن يكون المفسر جاهلا بعلوم القرآن واللغة المذكورة آنفا، أو أن يفسر القرآن بهدف تحقيق أغراض مذهبه أو هواه وأن يجزم أن المراد من كلام الله هو كذا. وهذا النوع حرام لا يجوز الإقدام عليه. والأدلة والآثار عنهم عليهم السلام في تحريمه وذمه كثيرة جداً. فالمتكلم في هذا النوع متقحم متكلف ما لا علم له به، لم يراع في تفسير القرآن قوانين اللغة ولا نصوص الشريعة وأصول الاستنباط، قد جعل هواه رائده ومذهبه قائده. وهو بلا شك قول على الله تعالى بغير علم، وقد قال تعالى: (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون). وهو يدخل تحت قوله صلى الله عليه وآله: (من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار). فهو الاجتهاد في فهم معاني القرآن الكريم.

(٣)ـ تفسير بالفيض والإشارة، ويسمى التفسير الإشارى

المتصوفة يرون أن للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا، ووضع أيضا المتصوفة نظرية المقامات التي ترقى فيها النفس بالتدريج حتى

---

(١) سورة محمد(صلى الله عليه وآله): ٢٤.

تتصل بمصدر المعرفة، الملأ الأعلى. وتفسير الصوفية للقرآن يعتمد على تأويل القرآن في تفسير يخالف المعنى الظاهري، وأن هذه المعاني ليست من العلم الكسبي وإنما من العلم اللدني الذي هو أثر الاستقامة والتقوى. وأن بعض المؤلفين يشيرون إلى التفسير الصوفي أنه تفسير إشاري والبعض يعتقد أن هناك فرق بين الاثنين. هو أن يرى المفسر معنى آخر، غير المعنى الظاهر وتحتمله الآية الكريمة، ولكنه لا يظهر لكل إنسان وإنما يظهر لمن فتح الله قلبه وأنار بصيرته، فالنصوص على ظواهرها، ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك، يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو وهذا هو من كمال الإيمان، ومحض العرفان. ويشترط فيه عدم التنافي مع المعنى الظاهر في النظم الكريم، وعدم ادعاء أنه المراد الوحيد دون الظاهر.

نماذج من تفسير الصوفية

وقد وقع في كتب الصوفية الكثير من التفاسير لآية القرآن بغير ظاهرها منها: ما أورده السيوطي في الاتقان[1]، عن أحد الصوفية أنه فسر قوله تعالى في الآية (٢٥٥) من سورة البقرة {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه} فقال: معناه: (من ذل) من الذل (ذي) إشارة النفس، (يشف) من الشفاء (ع) من الوعي).

---

(١) أورده السيوطي في كتابه الإتقان (١٨٤.٢).

وقول ابن عطاء الله السكندري: (سمعت شيخنا- يقصد المرسي أبو العباس - يقول في قوله عز وجل: {ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها} أي: ما نذهب من ولي لله إلا ونأتِ بخير منه أو مثله[١].

وقول ابن عربي في كتابه الفصوص: ﴿يرسل السماء عليكم مدراراً﴾ وهي المعارف العقلية في العاني والنظر الاعتباري!!﴿ويمددكم بأموال﴾: أي بما يميل بكم إليه، فإذا مال بكم إليه رأيتم صورتكم فيه، فمن تخيل منكم أنه رآه فما عرف! ومن عرف منكم أنه رأى نفسه فهو العارف!! فلهذا انقسم الناس إلى غير عالم وعالم!!![٢].

وقوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وقضى ربك أن لاتعبدوا إلا إياه﴾ أي حكم، فالعالم يعلم من عَبد، وفي أي صورة ظهر حتى عُبد، وأن التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة، وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية، فما عُبد غير الله في كل معبود[٣].

وقوله في تفسير قوله تعالى: ﴿إنك إن تذرهم﴾ أي: تتركهم، ﴿يضلوا عبادك﴾: إلى الخير!! فيخرجوهم من العبودية إلى ما فيهم من أسرار الربوبية فينظرون أنفسهم أرباباً بعد ما كانوا أنفسم عبيداً،

---

(١) لطائف المنن صفحة: ٦٣.

(٢) الفصوص الحكم ابن عربي: ٤٩.

(٣) الفصوص الحكم ابن عربي: ٥١.

فهم العبيد الأرباب[١].

وقوله في تفسير قوله تعالى: ﴿رب اغفر لي﴾: استرني، واستر من أجلي، فيجهل مقامي وقدري، كما جهل قدرك في قولك ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾.﴿ولوالدي﴾: من كنت نتيجة عنهما، وهما العقل والطبيعة!! ﴿ولمن دخل بيتي﴾ أي: قلبي، ﴿مؤمناً﴾ أي مصدقاً لما يكون فيه من الإخبارات الإلهية، وهو ما حدثت به أنفسها!!﴿وللمؤمنين﴾: من العقول!!﴿وللمؤمنات﴾: من النفوس!!.

وقوله في تفسير قوله تعالى: ومن أسمائه الحسنى: العلي، على من وما ثم إلا هو؟!!فهو العلي لذاته.أو عن ماذا، وما هو إلا هو؟!!!فعلوه لنفسه، وهو من حيث الوجود عين الموجودات، فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها، وليست إلا هو.

وقوله في تفسير قوله تعالى: (فهو الأول والآخر والظاهر والباطن) فهو عين ما ظهر، وهو عين ما بطن في حال ظهوره، ومن ثم من يبطن عنه، فهو ظاهر لنفسه، باطن عنه، وهو المسمى أبا سعيد الخراز، وغيرهما من أسماء المحدثات!![٢].

وقوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وخلق منها زوجها﴾: فما نكح سوى نفسه، فمنه الصاحبة والولد، والأمر واحد في العدد!!![٣].

---

(١) الفصوص الحكم ابن عربي: ٦١.

(٢) نفس المصدر.

(٣) فصوص الحكم ابن عربي: ٦٨.

وقوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾: فكل ماشٍ فعلى صراط الرب المستقيم، فهم غير مغضوب عليهم، ولا ضالون، فكما الضلال عارض كذلك الغضب الإلهي عارض، والمآل إلى الرحمة التي وسعت كل شيء!![١].

وقال: ألا ترى عاداً قوم هود كيف قالوا: ﴿ هذا عارضٌ ممطرنا﴾ فظنوا خيراً بالله فأضرب لهم الحق عن هذا القول، فأخبرهم بما هو أتم وأعلى في القرب، فإنه إذا أمطرهم فذلك حظ الأرض وسقي الحبّ، فما يصلون إلى نتيجة ذلك المطر إلا بعد، فقال لهم: ﴿ بل هو ما استعجلتم به ريحٌ فيها عذاب أليم﴾، فجعل الريح إشارة إلى ما فيها من الراحة، فإن بهذه الريح أراحهم من الهياكل المظلمة والسال الوعرة والسدف المدلهمة!!وفي هذا الريح عذابٌ، أي: أمرٌ يستعذبونه إذا ذاقوه إلا أن يوجعهم لفرقة المألوف!![٢].

وقال: فقل في الكون ما شئت، إن شئت قلت: هو الخلق، وإن شئت قلت: هو الحق، وإن شئت قلت هو الحق الخلق، وإن قلت: لا حق من كل وجه، ولا خلق من كل وجه، وإن قلت بالحيرة في ذلك، فقد بانت المطالب بتعينك المراتب، ولولا التحديد ما أخبرت الرسل بتحول الحق في الصور، ولا وصفته بخلع الصور عن نفسه:

---

(١) نفس المصدر: ٨٤.

(٢) نفس المصدر: ٨٩.

فلا تنظر العين إلا إليه ولا يقع الحكم إلا عليه[١].

وقال: وأما أهل النار فمآلتهم إلى النعيم، ولكن في النار، إذ لابد لصورة النار- بعد انتهاء مدة العقاب - أن تكون برداً على من فيها!! وهذا نعيمهم، فنعيم أهل النار نعيم خليل الله حين ألقي في النار! فإنه عليه السلام تعذب برؤيتها وبما تعوّد في علمه وتقرر من أنها صورة تؤلم من جاورها من الحيوان، وما علم مراد الله ومنها في حقه، فبعد وجود هذه الآلام وجد برداً وسلاما، مع شهود الصورة اللونية في حقه، وهي نار في عيون الناس، فالشيء الواحد يتنوع في عيون الناظرين، هكذا هو التجلي الإلهي![٢].

وقال: وكان موسى عليه السلام أعلم بالأمر من هارون، لأنه علم ما عبده أصحاب العجل، لعلمه بأن الله قضى ألا نعبد إلا إياه، وما حكم الله بشيء إلا وقع، فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء![٣].

وقال عند قوله تعالى: ﴿قرة عينٍ لي ولك﴾، وكان قرة لفرعون بالإيمان الذي أعطاه الله عند الغرق، فقبضه طاهراً مطهراً، ليس فيه شيء من الخبث، لأنه قبضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئاً من الآثام،

---

(١) نفس المصدر: ٩٤.

(٢) نفس المصدر: ١٠٢.

(٣) نفس المصدر: ١١٢.

والإسلام يجَبُ ما قبله، وجعله آيةً على عنايته سبحانه وتعالى بمن شاء، حتى لا ييأس أحدٌ من رحمته، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون!![1].

وقال ابن عربي في مقدمة كتابه فصوص الحكم: أما بعد، فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم في مبشرة أريتها في العشر الآخر من محرم سنة سبعٍ وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق، وبيده كتابٌ فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم خذه، واخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا، كما أُمرنا فحققت الأمنية، وأخلصت النية، وجرد القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حده لي رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم من غير زيادة ولا نقصان.

ثالثاً أن ينظر إلى التفسير من جهة كونه شرحا لمجرد معنى اللفظ في اللغة وهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى قسمين: تحليلي، واجمالي.

رابعاً أن ينظر إلى التفسير من جهة خصوص تناوله لموضوع ما من موضوعات القرآن الكريم عاما كان كالعقيدة والأحكام أو خاصا كالصلاة والوحدانية ونحوها. وهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى: تفسير عام، تفسير موضوعي.

---

(١) نفس المصدر: ١١٨.

التفسير التحليلي

التحليل في اللغة مأخوذ من الحل بمعنى: الفتح، ونقض المنعقد؛ هذا النوع من انواع فنون التفسير (التحليلي) غالبا ما يكون فيه الاسلوب ان يتولى فيه المفسرون:

(١)- بيان معنى الألفاظ في الآية

(٢)- بيان بلاغة التركيب والنظم

(٣)- بيان أسباب النزول

(٤)- بيان اختلاف المفسرين في الآية

(٥)- بيان حكم الآية وأحكامها

(٦)- بيان أقوال العلماء في مسألة فقهية أو نحوية أو بلاغية

(٧)- بيان الروابط بين الآيات والمناسبات بين السور

وهذا اللون من التفسير هو أسبق أنواع التفسير وعليه تعتمد بقيتها، ويتفاوت فيه المفسرون إطناباً وإيجازاً، ويتباينون فيه من حيث المنهج، فمنهم من يهتم بالفقهيات، ومنهم من يهتم بالبلاغيات، ومنهم من يطنب في القصص وأخبار التاريخ، ومنهم من يعتني بالآيات الكونية أو الصور الفنية أو المقاطع الوعظية أو بيان الأدلة العقدية. وبذلك يكون هذا اللون من التفسير هو الغالب على تواليف العلماء وأكثر كتب التفسير على هذا النمط.

وهذه الطريقة في التفسير لا يستغني عنها الباحث في التفسير

الإجمالي أو الموضوعي أو المقارن لأن التفسير التحليلي ينصب على معرفة دلالة الكلمة اللغوية والشرعية. والتعرف على الرابط بين الكلمات في الجملة وبين الجمل في الآية وبين الآيات في السورة، ووجوه الاعراب ودورها في الأساليب البيانية وإعجاز القرآن الكريم، وغيرها من الوجوه التي تساعد على إخلاء المعنى وتوضيح المراد، فهو إذن التفسير الذي يعنى بالدقة والعمق في استعمال العلوم التي يحتاج إليها المفسّر وخصوصا اللغوية والبلاغية بحيث يسير المفسر في هذا البيان مع آيات السور آية آية، شارحا مفرداتها، وموجها إعرابها، وموضحا معاني جملها، وما تهدف إليه تراكيبها من أسرار وأحكام، ومبينا أوجه المناسبات بين الآيات والسور، مستعينا في ذلك بالآيات القرآنية الأخرى ذات الصلة، وباحاديث النزول وبروايات المعصومين عليهم السلام، وهذا الوجه فيه هو الوجه الروائي.

مميزات التفسير التحليلي :

١-أنه أقدم أساليب التفسير، يتناول الآيات المتتابعة ولا يتجاوزها المفسر إلى غيرها حتى يعرف معناها .

٢- هذا الأسلوب هو الغالب على المؤلفات في التفسير، ومن أهمها قديماً وحديثاً تفسير الطبري .

٣- يتفاوت المفسرون في هذا اللون من التفسير بين الايجاز والإطناب فمن التفاسير ما جاء في مجلد واحد بما فيه النص القرآني الكريم كله، ومنها ما جاء في أكثر من ثلاثين مجلداً .

٤- يظهر التباين بين المفسرين منهم من التزم في تفسيره بالتفسير بالمأثور ومنهم من التزم بمناهج المذاهب الأخرى، ومنهم من توسع في التاريخ والقصص .

٢-التفسير الإجمالي: وهو الأسلوب الذي يعمد فيه المفسر إلى الآيات القرآنية حسب ترتيب المصحف فيبين معاني الجمل ويتتبع ما ترمي إليه من أهداف ويصوغ ذلك بعبارات سهلة من ألفاظه ليسهل فهمها .

التفسير الإجمالي

وهو بيان الآيات القرآنية بالتعرض لمعانيها إجمالاً على إلتزام تسلسل النص القرآني - سائرا مع الآيات حسب ترتيبها في المصحف الشريف- والتعامل مع بيان غريب الألفاظ والربط بين المعاني في الآيات كوحدات يتناولها المفسر ببيان معانيها إجمالا مما يعني أن المفسر لا يدخل في التفاصيل الدقيقة والمباحث المتخصصة، وإنما يهتم ببيان المعنى العام باختصار. مع إبراز مقاصد السور والايات ومراميها دون أن يؤدي البيان إلى الخروج عن سياق النص القرآني متوخياً في عرضها وضعها في إطار من العبارات التي يصوغها من لفظه ليسهل فهمها وتتضح مقاصدها، على ان يشعر السامع أنه لم يكن بعيدا في تعبيره عن سياق القرآن، ولا مجانبا لمجموع ألفاظه، وحتى يحقق التفسير من جانب آخر، ويكون رابطا نفسه بنظم القرآن من جانب آخر، ويكون في الموضع الذي يجانب فيه لفظ القرآن آتيا

بلفظ أوضح عند السامعين، وأيسر في الفهم عند المخاطبين وقد يضيف ما تدعو الضرورة إليه من سبب نزول أو قصة أو حديث ونحو ذلك. وهذا اللون أشبه ما يكون بالترجمة المعنوية للقرآن الكريم.

ومن هذا يتضح مميزات التفسير الإجمالي :

١-يلتزم المفسر تسلسل النظم القرآني سورة سورة .

٢-يقسم السورة إلى مجموعة من الآيات، يتناول كل مجموعة بتفسير معانيها إجمالاً .

٣-يجعل بعض ألفاظ الآيات رابطاً بين النص وتفسيره .

٤-يستخدم ألفاظ الآيات ليشعر بأنه لم يبعد في تفسيره عن سياق النص القرآني، ويشعر بما انتهى إليه النص.

التفسير الإجمالي أشبه بـ ''الترجمة المعنوية'' أي لا يلتزم المترجم فيها بالألفاظ إنما يقصد بيان المعنى العام وقد يضيف إليه ما تدعو الضرورة إليه كسبب نزول أو قصة ونحو ذلك .

التفسير المقارن

وهو إعمال الموازنة بين آراء المفسرين وإستعراض إستدلالاتهم للنظر فيها وبناء عليه ينتقد ويرد المفسر القول المرجوح مبينا تعليله بإيراد الأدلة عليه ثم الإستدلال للراجح، وبيان وجهه، وتوجيه أدلته، وحشد الأدلة وغير ذلك.

مميزات التفسير المقارن :

١-المقارنة بين نص قرآني ونص قرآني آخر اتفاقاً أو ظاهره

الاختلاف ومن هذا النوع علم تأويل مشكل القرآن .

٢-المقارنة بين نص قرآني وحديث نبوي يتفق مع النص القرآني ويبحث العلماء ذلك في المؤلفات في مشكل القرآن ومشكل الحديث .

٣- قد تكون المقارنة بين نص قرآني وبين نص في التوراة أو نص في الإنجيل لإظهار فضل القرآن، وهيمنته على الكتب السابقة .

٤- قد تكون المقارنة بين أقوال المفسرين، حيث يستطلع آراء المفسرين في الآية الوحدة مهما اختلف مشاربهم، وتعدد مذاهبهم ويناقش الأقوال .

التفسير الموضوعي

وهو أسلوب لا يفسر فيه صاحبه الآيات القرآنية حسب ترتيب المصحف بل يجمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد فيفسرها .

تعريفه: هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر . وقد نشأ هذا النوع من التفسير في عهد النبوة .

وهو نوعان: الأول: الكلام على السورة ككل مع بيان أغراضها: العامة، والخاصة وما فيها، مع بيان ربط الموضوعات بعضها ببعض. حتى تبدو السورة وهي في منتهى الدقة والإحكام.

والنوع الثاني، جمع الآيات القرآنية. ذات الهدف الواحد وترتيبها حسب النزول مع الوقوف على أسباب نزولها. ثم تناولها بالشرح، والبيان، والتعليق، والاستنباط..

ويمكن إجمال مظاهر وجود هذا التفسير في الأمور التالية:

١ـ **تفسير القرآن بالقرآن**: لا ريب أن تفسير القرآن بالقرآن هو لب التفسير الموضوعي وأعلى ثمراته. وقد كان الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله هو الأسبق إلى ذلك كما فسر لأصحابه الظلم في قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ)[١]، بالشرك وذلك من قوله تعالى: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)[٢].

وهكذا في جميع الآيات التي تناولت قضية واحدة، اي يكون جامع مشترك بينها، والجمع بين دلالاتها والتنسيق بينها كان أبرز ألوان التفسير التي كان النبي صلى الله عليه وآله يربي ويعلم أصحابه عليها، وقد تعارف في أصول التفسير أن أول ما يرجع إليه المفسر هو القرآن الكريم، إذ غالبا ما يجد الباحث والمفسر في الكتاب العزيز ان ما أُجمل في مكان قد فصل في موضع آخر، وما أطلق في آية قيد في أخرى، وما ورد عاماً في سورة، جاء ما يخصصه في سورة أخرى، وهذا اللون من التفسير هو أعلى مراتب التفسير وأصدقها إذ لا أحد أعلم بكلام الله من الله. فأن القران فسر بعضه بعضا، وهذا يعتمد على المفسر وامتلاكه الادوات المعرفية التي بها ينتهي الى المراد القراني الصحيح. وكثيرا ما يعتمد على الاحاديث والروايات الصحيحة الصادر

---

(١) الانعام: ٨٢.

(٢) لقمان: ١٣.

عن المعصومين عليهم السلام، لانهم الموئل الحقيقي والمعين الذي لا ينضب ابدا لانه علم لدني من عند العلام العليم سبحانه وتعالى.

٢ـ تفسير آيات الأحكام: اخذ الفقهاء عن ائمة اهل البيت عليهم السلام الاستدلال بالقران الكريم في الفقه واستنباط الاحكام الشرعية الفرعية من الكتاب العزيز ثم قام الفقهاء بجمع آيات الاحكام لكل باب من أبواب الفقه على حدة، وأخذوا في دراستها واستنباط الأحكام منها، والجمع بين ما يظهر التعارض، وذكروا ما نص عليه وما استنبط من القرآن بطريق الإشارة والدلالة الخفية، ونحو ذلك، وكله داخل تحت مسمى التفسير الموضوعي.

٣ـ التفسير بالأشباه والنظائر: وفيه يقوم المفسر بتتبع كلمة قرآنية واحدة في القرآن الكريم وبيان معناها في كل موضع ومعرفة استعمالات القرآن الكريم لها، وهذا الاتجاه نحاه بعض العلماء في تتبع اللفظة القرآنية، ومحاولة معرفة دلالاتها المختلفة، مثال ذلك: كلمة (خير) وردت في القرآن على ثمانية أوجه، وهي: الوصية عند الموت بالمال: كقوله (إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً)[١]، ودلالة (خير) على الإيمان كما جاء في قوله تعالى: (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ)[٢]، ودلالتها على ارادة الإسلام كما في قوله تعالى: (مَنَّاعٍ

---

(١) البقرة: ١٨٠.

(٢) الأنفال: ٢٣.

لِّلْخَيْرِ)[١]، وبمعنى أفضل كما في قوله تعالى: (وأَنتَ خَيْـرُ الرَّاحِمِينَ)[٢]، وبمعنى العافية كما في قوله تعالى: (وإن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إلاَّ هُـــوَ وإن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[٣]، وبمعنى الأجر كما في قوله تعالى: (لَكُـمْ فِيهَـا خَيْـرٌ)[٤]، وارادة من ظاهر كلمة (خير) الطعام كما جاء في قوله تعالى: (فَقَالَ رَبِّ إنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إلَـيَّ مِـنْ خَيْـرٍ فَقِيرٌ)[٥]، وبمعنى الظفر والغنيمة والطعن في القتال كقوله تعالى: (ورَدَّ اللَّهُ الَذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً)[٦]. وهذا كما ترى لون من التفسير الموضوعي، وهو أول وسيلة يلجأ إليها الباحثون في البحث عن موضوعات القرآن حيث يجمعون ألفاظ ذلك الموضوع من سور القرآن ثم يتعرفون على دلالة اللفظ في أماكن وروده.

خصوصية النسق المفهومي القرآني

أن المفاهيم القرآنية هي الكاشفة عن الرؤية العالمية للقرآن، أو الرؤية القرآنية للكون. فالقرآن يختص بنظام مفاهيمي، فريد في

(١) القلم: ٢.

(٢) المؤمنون ١٠٩.

(٣) الأنعام: ١٧.

(٤) الحج: ٣٦.

(٥) القصص: ٢٤.

(٦) الأحزاب: ٢٥.

دلالاته وسياقاته. كما بيّن أن المصطلح القرآني أدق تعبير وأصدقه عن الطفرة الدلالية التي أحدثها القرآن الكريم في لغة العرب.. وإن اعتبار الألفاظ القرآنية مصطلحات لها مفاهيم إنما مرده إلى ما تتميز به من خصوصية دلالية وخصوبة مفهومية بحكم قرآنيتها.

أنزل الله تبارك وتعالى القرآن المجيد على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وآله (تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)[١].

أنزله الله آية دائمة لرسوله ولأمته من بعده، لا يمل من كثرة التكرار ولا يسأم من الترداد، ولا يخلق على وجه الزمن ولا يشيب، يبقى دائما يحافظ على نضارته ولا يغيب شيء من طراوته، ولا يفنى شيء من شبابه عبر العصور وطول الدهور، فهو نور يخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، وهو حبل الله المتين وصراطه المستقيم وهو تزكية وتذكرة، وبشرى ونذارة.. إلى غير ذلك من الأوصاف والأسماء التي لا ينتهي معينها ولا ينضب.

وهو خطاب لا كأي خطاب، إنه خطاب عالمي معجز متحد مطلق، وإن كان قد تنزل بلغة عربية لفظا إلا أنه مطلق في معانيه محيط شامل يستوعب الإنسان والكون.

إلا أن الذي يجب التنبيه عليه أن هذه الصفات والأسماء، لا ينبغي أن تؤخذ على أنها مناقب هدفها الفضيلة فقط، بل هي محددات

---

(١) النحل: ٨٩.

منهجية منتجة، وهي مبادئ عامة ذات صفة معرفية تجعل من القرآن مرجعية عالمية مستوعبة للأنساق الثقافية والحضارية كافة، السابقة واللاحقة بتصديق وهيمنة شاملين، وقدرة على الاستيعاب والتجاوز.

وقد تكفل كلام الله تعالى، القرآن -وهو يتنزل على مدى ثلاث وعشرين سنة- ببناء مجموعة مفاهيم تتصف بالإطلاق والخلود (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً)[١]، وكفل الله تبارك وتعالى بيانه فقال (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)[٢]، وتكلفت السنة وهي تبين للناس ما نزل إليهم بالقول والفعل والإقرار بالبيان الالهي المنزل، حتى تمت كلمات الله عز وجل، ودخل الناس في دين الله افواجا وخرجوا من مفاهيم الجاهلية الى إلى رحاب عالمية الإسلام، والهدى والحق (هُوَ الذِّى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدي وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ).

فالمفاهيم القرآنية هي الكاشفة عن الرؤية العالمية للقرآن، أو الرؤية القرآنية للكون، ومن المهم استيعاب أن القرآن الكريم عندما يستعمل الكلمة العربية، فإنه يخرجها من موقع الكلمة البسيطة إلى موقع المفهوم الغني بدلالاته وآفاقه، بحيث ينفتح على جملة من المعاني ما كانت ترد على الذهن قبل استعمال القرآن الكريم لها،

---

(١) النساء: ٨١.

(٢) القيامة: ١٨ - ١٩.

ووضعها في نظمه وسياقه. فالاستخدام الإلهي للمادة اللغوية ولأي مادة في الكون يختلف نوعيا عن الاستخدام البشري مع وحدة خصائص المادة، فحين يستخدم الله عز وجل اللغة العربية في التنزيل فإنه يستخدمها وفق مستوى إلهي يقوم على الإحكام المطلق، فلا يكون في القرآن مترادفات توظيفا ضمن جناس وطباق، إذ تتحول الكلمة ضمن الاستخدام الإلهي إلى (مصطلح دلالي) متناهي الدقة، انظر الى الاستعمال اللغوي التركيبي في دقة قوله تعالى: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)[١]. فلكل كلمة في القرآن دلالتها المفهومية المميزة، وذلك خلافا للاستخدام البشري البلاغي العفوي لمرادفات اللغة، وامثلة ذلك في كل جملة جملة وردت في القران الكريم، والشواهد من اول كلمة في القران الى آخره، الا اننا نورد مثلا في القران العزيز، فانظر الى استعمال مفردة (مس) لا يورد لفظ (مس) بمعنى (لمس) إطلاقا، ولهذا حين قال سبحان: (لا يمسه إلا المطهرون) فقد قصد (النفس) الطاهرة وليس (البدن)، فالبدن (يلمس) ولا يمس.. فالقرآن الكريم يختص بنظام مفاهيمي، فريد في دلالاته وسياقاته، فكلماته ومفاهيمه ليست هي نفسها تلك الكلمات والمفاهيم التي كانت مستخدمة قبل الإسلام فهو قد أعاد استخدام تلك المفاهيم وأضفى عليها قيما جديدة من خلال سياقها القرآني،

---

(١) الواقعة: ٧٨-٧٩.

وبإدراك هذا التحول في الاستخدام اللغوي يمكن الكشف عن الرؤية الكونية للقرآن.

لكن الذي ينبغي الإشارة إليه والتركيز عليه لما له من أبعاد منهجية ودلالات معرفية في هذا الجانب هو أن المفاهيم التي تكفل الوحي كتابا وسنة ببنائها ليست منثورة كيفما اتفق، وإنما هي فصوص في عقد الحكمة الفريد للإسلام، منظومة نظما بديعا رائعا في نسق بلاغي منقطع النظير إذا نظر إليها، وقد انتظمت أفقيا، تجلى نسقها التصوري الشامل الكامل (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)[١]، (مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ)[٢]، (وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً)[٣].

وإذا نظر إليها وقد تتابعت تاريخيا في التنزل، تجلى نسقها المنهاجي التنزيلي المتكامل (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً، وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً)[٤].

وهذه الوحدة البنائية هي التي اصطلح عليها علماء الأمة بمسميات وعناوين مختلفة، فتارة سموها النظم، وتارة أخرى سموها

---

(١) هود: ١.

(٢) الانعام: ٣٩.

(٣) الاسراء: ١٢.

(٤) الفرقان: ٣٢-٣٣.

الترتيب، وأخرى سموها الاتساق أو المعمارية أو البنائية مباشرة، او الالتحام المعنوي العجيب عند اتساق هذه المعاني كما تنتسق الحجرات في البنيان؟ لا، او كما وصف البعض بانها تلتحم فيما بينها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضوعي من أنفسهما، كما يلتقي العظمان عند المفصل، ومن فوقها تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب، كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب.. كما يأخذ الجسم قواما واحدا ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية.

فإن القرآن المجيد في اتساق وحدته البنائية يحقق للبشرية وحدة معرفية تلملم شتات الإنسان المعرفي، وتوحد بين زوايا إدراكه، مما يشبه إكسابه جهاز تنسيق معرفي.

فيطفق على السير سويا على صراط مستقيم (أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَي أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاط مُّسْتَقِيم)[١].

إن الحرص واضح في القرآن الكريم على بناء مفاهيم نورانية انطلاقا من (البنائية القرآنية)، وإن الحرص واضح في السنة النبوية البيان على بيان المراد من ألفاظ القرآن، وما علينا إلا الصعود إلى علياء هذا الكتاب الكريم لنستعيد ارتباطنا المنهجي بهذا المطلق في وحدته المنهجية، ونسقه الكلي واتساقه الشمولي والتكاملي، وتعمل

---

(١) الملك: ٢٢.

على كشف الدلالات المفهومية لألفاظه ومفاهيمه في إطار منهجيته المستمدة من وحدته البنائية (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ، ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)[١]..

فليس من وحي رسالي لأحد بعد خاتم الأنبياء والمرسلين، وليس من كتاب مطلق مهيمن بعد القرآن، وقد أحاط الرسالة بكل شيء تبيانا وتفسيرا، والناس بين ظالم لنفس في تجاوزها ومقتصد في التعامل معها، ومنهم سابق بالخيرات التي دل عليها بإذن الله.

دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب

الاضطراب والتعارض في القرآن أن تتقابل آيتان، بحيث يمنع مدلول إحداهما مدلول الأخرى، مثل أن تكون إحداهما مثبته لشئ والأخرى نافية فيه. واعلم أن آيات القرآن لا تعارض بينها البتة، وأن ما يبدو من تعارض واختلاف، إنما هو تعارض واختلاف في أذهاننا فحسب، أما في حقيقة الأمر فليس هناك تعارض ولا اختلاف؛ إذ كيف والحق تبارك وتعالى في كتابه المجيد يقول: { أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ

---

(١) سورة فاطر: ٣١-٣٢.

كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا}[1] والآية الكريمة تدل بمفهومها، أن القرآن الكريم ما دام من عند الله فلا اختلاف ولا اضطراب ولا تعارض فيه؛ إذ إن مثل هذا الأمر مما يقبح في كلام البشر، فكيف يليق بكلام رب البشر.

نعم لقلة الزاد من فهم كلام رب العباد، وعدم اتهام الشخص نفسه في عدم العلم والاحاطة بكل مقاصد الكتاب قد يَعْرِضْ أحيانًا لقارئ كتاب الله الكريم بعض الآيات التي تدل بظاهرها على تعارض وعدم توافق مع آيات أُخر؛ فيشكل الأمر على القارئ لكتاب الله -وخاصة إذا كان زاده من علم التفسير يسيراً- وربما أورث ذلك شكًا في نفسه، فيقف حائراً في ذلك، ومتسائلاً عن وجه التوفيق بين ما بدا له من تعارض.

وقد اخذت السنة المطهرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله بكشف هذا اللبس والاضطراب الحاصل وحمل اهل البيت عليهم السلام بعد الرسول الاعظم على منابرهم العلمية للتصدي الى كشف هذه الملابسات، وتوضيح ما يمكن ان يكون فيه اشكال من هذه الجهة ولكي لا يكون ماخذا لاهل الاهواء والفتن في اضلال الناس بعد اذ هداهم الله تعالى الى نور الايمان وتذوق حلاوة تلاوة القران.

وفي الوقت الحاضر اي في عصر الغيبة الكبرى للمعصوم فقد اخذ علماء مدرسة اهل البيت على عاتقهم ازالت ما استجد من

---

(١) النساء: ٨٢.

اشكالات سببها ما طرأ على اللغة من تغيير وانحراف عن فهم معاني المفاهيم الحقيقية التي انزلت الفاظ الكتاب العزيز بها. وربما انحصر هذا الامر في ما يوافق التشريع في الكتاب العزيز او ما يعتمد في سن المسائل العقائدية، اما فيما يتعلق بالاخبار عن الماضي او الحاضر او المستقبل ففي هذا لا يمكن أن يقع التعارض بين الآيتين في مدلولهما الخبري، لأنه يلزم منه التكاذب، وهو مستحيل في أخبار الله تعالى، قال الله تعالى: (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً)[1]، وفي قوله تعالى: (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً)[2]، وايضا لا يمكن أن يقع التعارض بين آيتين مدلولهما حكمي؛ لأن الأخيرة منهما ناسخة للأولى قال الله تعالى (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا)[3]، وإذا ثبت النسخ كان حكم الأولى غير قائم ولا معارض للأخيرة.

ومن امثلة ما يوهم التعارض، قوله تعالى في القرآن: (هُدىً لِلْمُتَّقِينَ)[4] وقوله فيه: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ)[5] فجعل هداية القرآن في الآية الأولى خاصة بالمتقين، وفي الثانية عامة

---

(١) النساء: ٨٧.

(٢) النساء: ١٢٢.

(٣) البقرة: ١٠٦.

(٤) البقرة: ٢.

(٥) البقرة: من الآية ١٨٥.

للناس، والجمع بينهما أن الهداية في الأولى هداية التوفيق والانتفاع، والهداية في الثانية هداية التبيان والإرشاد.

ونظير هاتين الآيتين، قوله تعالى في الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله: (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)[١]، وقوله تعالى في رسوله الامين صلى الله عليه وآله: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاط مُسْتَقِيم)[٢] فالأولى هداية التوفيق والثانية هداية التبيين.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ)[٣] وقوله تعالى: (وَمَا مِنْ إِلَه إِلَّا اللَّه)[٤]، وقوله تعالى: (فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ)[٥]، وقوله تعالى: (فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْء لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيب)[٦] ففي الآيتين الأوليين نفي الألوهية عما سوى الله تعالى، وفي الأخريين إثبات الألوهية لغيره .

والجمع بين ذلك أن الألوهية الخاصة بالله عز وجل هي الألوهية

---

(١) القصص: ٥٦.

(٢) الشورى: من الآية ٥٢.

(٣) آل عمران: من الآية ١٨.

(٤) آل عمران: من الآية ٦٢.

(٥) الشعراء: ٢١٣.

(٦) هود: من الآية ١٠١.

الحق، وأن المثبتة لغيره هي الألوهية الباطلة؛ لقوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)[١].

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: (قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ)[٢]، وقوله تعالى: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً)[٣]، ففي الآية الأولى نفي أن يأمر الله تعالى بالفحشاء، وظاهر الثانية أن الله تعالى يأمر بما هو فسق. والجمع بينهما أن الأمر في الآية الأولى هو الأمر الشرعي، والله تعالى لا يأمر شرعا بالفحشاء لقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)[٤]، والأمر في الآية الثانية هو الأمر التكوني، والله تعالى يأمر كونا بما شاء حسب ما تقتضيه حكمته قوله تعالى: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)[٥].

---

(١) الحج: ٦٢.

(٢) الأعراف: من الآية: ٢٨.

(٣) الإسراء: ١٦.

(٤) النحل: ٩٠.

(٥) يس: ٨٢.

منهج التفسير العقلي والاجتهادي للقرآن

يحظى منهج التفسير العقلي الذي عُرِّف بتعاريف كثيرة بمنزلة خاصّة بين مناهج التفسير، وقد اتّخذت المذاهب الكلامية بأزاء هذا المنهج مواقف مختلفة، وقد يطلق عليه في بعض الأحيان منهج التفسير الاجتهادي، وقد يُذكر كأحد أقسام منهج التفسير بالرأي، وقد يُنظر إليه بنظرة مساوية للاتجاه الفلسفي في التفسير.

والمقصود بالاجتهاد هنا هو بذل الجهد الفكري واستخدام قوّة العقل في فهم آيات القرآن ومقاصده، وعلى هذا فاستعمال الاجتهاد هنا أعمّ من الاجتهاد الاصطلاحي في علم الفقه؛ لأنّه يشمل آيات الأحكام وغيرها، أي أنّ التفسير الاجتهادي يكون في قِبال التفسير النقلي؛ ففي التفسير النقلي يتمّ التأكيد على النقل أكثر من غيره، أمّا في التفسير الاجتهادي فيتمّ التأكيد على العقل والنظر.

ويمكن أن نجد نماذج من التفسير العقلي في الأحاديث التفسيريّة لأهل البيت عليهم السلام، ومن الأمثلة على استخدام هذا المنهج في أحاديث أهل البيت عليهم السلام ما رواه عبد الله بن قيس، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سمعته يقول: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[1]، فقلت: له يدان هكذا وأشرت بيدي إلى يديه ؟ فقال: لا،

---

(١) المائدة: ٦٤.

لو كان هكذا كان مخلوقاً.

ففي هذا الحديث استفاد الإمام عليه السلام من العقل في تفسير الآية ونفي اليد المادّية عن الله سبحانه وتعالى؛ لأنّ وجود مثل هذه اليد يستلزم الجسميّة والمخلوقيّة لله، وهو سبحانه منزّه عن هذه الصفات (فالمقصود من اليد هنا هو القدرة الإلهيّة).

وهناك نماذج من التفاسير العقلية وصلتنا عن طريق أحاديث أهل البيت عليهم السلام بخصوص العرش والكرسي.

وقد ذكر امير المؤمنين عليه السلام في بعض خطب نهج البلاغة من مقدّمات عقلية لتفسير آيات القرآن الكريم.

ومن نتاج التفسير العقلي تفسير التبيان للشيخ الطوسي (٣٨٥ ٤٦٠هـ)، ومجمع البيان للطبرسي (ت٥٤٨ :هـ)، وكذلك التفسير الكبير للفخر الرازي عند أهل السنّة، وقد بلغ هذا التطوّر مدىً بعيداً في تفسير الميزان للطباطبائي ،وروح المعاني للآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ).

ومن صور التفسير العقلي فقد انتهج العلماء فيه تبعا للمعصومين عليهم السلام الاستفادة من القرائن العقلية كأداة في التفسير، وذلك لفهم معاني الألفاظ والجمل، ومن جملتها القرآن والحديث، فمثلاً عندما يقال :﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، فالعقل يقول: بأنّه ليس المقصود من اليد هنا هو هذه الجارحة الّتي تحتوي على خمسة أصابع، لأنّ الله تعالى ليس بجسم، وإنّ كلّ جسم فهو محدود وفانٍ، والله ليس محدوداً ولا يفنى، وهو أزلي أبدي، بل المقصود من

ذلك هو قدرة الله تعالى، فإطلاق اليد على القدرة إطلاق مجازي.

فليس المراد من التفسير العقلي الآراء والأذواق الشخصية أو الأفكار الخيالية الّتي لا أساس لها. وذكر بعض أنّ التفسير الاجتهادي يعتمد العقل والنظر أكثر ممّا يعتمد النقل والأثر؛ ليكون المناط في النقد والتمحيص هو دلالة العقل الرشيد والرأي السديد، وأنّ أحد خصائص تفسير التابعين هو الاجتهاد في التفسير والاعتماد على الفهم العقلي فأعملوا النظر في كثير من مسائل الدِّين، كمعاني الصفات، وكأسرار الخليقة، وكأحوال الأنبياء والرسل وما شاكل. فكانوا يعرضونها على شريعة العقل ويحاكمونها وفق حكمه العقل الرشيد، وربّما يؤوّلونها إلى ما يتوافق مع الفطرة الإنسانية.

وهذا الرأي كما هو واضح يجعل التفسير العقلي والاجتهادي بمعنى واحد. وقد جعل بعضهم التفسير العقلي في مقابل التفسير النقلي، وأنّه يعتمد على الفهم العميق والمركّز لمعاني الألفاظ القرآنية الّتي تنتظم في سلكها تلك الألفاظ وفَهْمِ دلالتها، ثمّ سمّى هذا البعض التفسير العقلي بالتفسير بالرأي.

ولكنك عرفت في مبحث التفسير بالرأي المتقدم من أنّ هذا التفسير هو غير التفسير العقلي أو الاجتهادي، وأنّ هناك اختلافات رئيسة بينهما. ففي التفسير بالرأي يُقدم شخص المفسِّر على التفسير؛ على أساس الذوق والنظر الشخصي بدون مراعاة القرائن النقليّة والعقلية، أمّا بالنسبة إلى التفسير العقلي فإنّ المفسِّر يأخذ بنظر

الاعتبار القرائن النقليّة والعقلية في التفسير.

والحاصل أنّه مع تعدّد هذه الآراء من القول بأنّ التفسير الاجتهادي وفقاً للرأي المشهور يُعتبر من أقسام التفسير العقلي، لأنّه يستفاد في هذا النوع من التفسير من قوّة الفكر والعقل في تجميع المسائل والمواضيع. وقد اهتمّ القرآن الكريم كثيراً بدعوة الناس إلى التعقّل والتفكّر في آياته، بل إنّه ذمّ الّذين لا يتدبّرون القرآن. فإذا لم يكن للعقل اعتبار ومنزلة عند الله تعالى، فإنّ هذا الخطاب سيُصبح حينئذٍ عديم الفائدة وبدون معنى، وما نتيجة التدبّر والتفكّر في آيات الله إلّا التفسير العقلي والاجتهادي.

كما ان للعقل مكانة خاصّة في الأحاديث وله موقع متميّز فيها، فقد ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال: يا هشام إنّ لله حُجّتين، حجّة ظاهرة وحجّة باطنة، فأمّا الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمّة، وأمّا الباطنة فالعقول[1].

فإذا كان العقل حجّة باطنة، وجب أن يكون الشيء الّذي يُدركه ويحكم به بصورة قطعيّة، حجّة على الإنسان، وواجب الاتّباع، وإلّا فإنّ الحجيّة تصبح لا معنى لها.

ثم ان طريقة العقلاء وسيرتهم آخذة في التمسك بظواهر الكلام، وكما هو مقرر في مقاره، هو ان كل ظاهر حجة، وللكتاب المجيد ظاهر

---

(١) الكافي: ١: ٦.

يتمسك فيه العقلاء مالم ياتي فيه نهي، والمشرع الاسلامي امضى هذه السيرة العقلائية في التمسك بالظاهر ومنها ظواهر الكتاب الكريم.. واما ماورد صحيحا عن المعصومين عليهم السلام في ان دين الله لا يصاب بالعقول كان المقصود منه النهي عن التفسير بالراي (المذموم)، والتس سبقت الاشارة اليه الذي لايجعل من النقل الماثور عنهم عليهم السلام قاعدة ينطلق منها في اجتهاده في تفسير كلام الله. وانما يخلد الى متابعة مصالحه المرسلة وآرائه الفاسدة وتطويع النص المقدس بشتى انواع المغالطات والوانها.

وممن لهث وراء المنع في التمسك بالعقل الاجتهادي في تفسير الكتاب العزيز - المبني على القواعد الصحيحة التي لا يخرج عنها المفسر عن الماثور- هم الاشاعرة، وهؤلاء معروف عنهم بنائاتهم على أنّ منشأ كلّ تكليف هو حكم الشارع وليس العقل، ولا يُعتمد على إدراكات العقل كالاعتماد على حكم الشارع. ولكن فات هؤلاء أنّ عقل الإنسان كاشف عن الحكم الشرعي، أي أنّ عقل الإنسان لا يُصدر حكماً مخالفاً للحكم الشرعي، وقد اتّضح في أصول الفقه أنّه: كلّ ما حكم به العقل حكم به الشرع. ولكنهم الى جانب ذلك نجد تناقضاتهم العملية في التمسك بكثير من مسائلهم العقدية والفرعية بالمصالح المرسلة والقياس الذي يعتمد في آليلته على العقل، وليس العقل الرشيد المبتني على القواعد الشرعية الصحيحة المتسالم فيها، وانما كثيرا ما تتحكم المصالح في اطلاق احكامهم الجزافية في اكثر الامور خطورة

على التدين، كاثبات الجسمية والحلولية والجهتية وغير ذلك من المسائل العقائدية.

ويتفرع على التفسير العقلي الاجتهادي التفسير الفلسفي والصوفي والتذوق البلاغي لمعاني كلمات القران الكريم ضمن وحدة النص، وايضا للتفسير العقلي الاجتهادي ثمة ارتباط في التفسير بنحو علم المناسبة المرتبط بأسباب النزول، فيحتاج المفسر التوقد العقلي وملكة الاجتهاد في الربط بين علم المناسبة واسباب النزول القران الكريم، وبالبيئة التي نزل بها القرآن، وبطبيعة المخاطبين بالخطاب القرآني، ولابد معه من معرفة دلالة الايات المكية والمدنية، لأن ربط الاحداث ومناسبة الخطاب التي هي من اهم مفاتيح التفسير العقلي الاجتهادي يتطلب الإحاطة بكل ما يتعلق بالخطاب. ولا بد فيه من توفر شروط أهمها امتلاك الادوات المعرفية التي سبق الاشارة اليها في الابحاث المتقدمة وهي على نحو الاجمال:

- **معرفة جيدة بالقرآن**، لأن ذلك هو الأساس في إدراك أوجه الترابط بين الآيات والسور.
- **معرفة بأساليب اللغة العربية**، لأن القرآن نزل بلغة العرب، وراعى ما كان سائدا عندهم من أوجه البيان والتعبير.
- **معرفة السيرة النبوية الصحيحة**، لأنها هي الأساس في تفسير القرآن، وفي فهم ما ورد فيه من أحكام، وما اشتمل عليه من معان وتوجيهات.
- **قدرة ذهنية ذاتية** على التماس أوجه التشابه والترابط والتناسب بين

الآيات، وهذه القدرة تحتاج لاستعداد عقلي ذاتي.

وفسر السيوطي في الإتقان والزركشي في البرهان معنى المناسبة بين الآيات بأن ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط لتعلق الكلم بعضه على بعض على وجه التفسير والتأكيد، وإما ألا يكون ظاهر الارتباط، فعندئذ لا يخلو الأمر من وجود عطف مؤكد لوجود جهة جامعة أو لا يكون هناك عطف، وعندئذ لابد من البحث عن قرائن معنوية تؤكد، وتعلم بوجود رابط بين الآيات، ومن أهم القرائن ما يلي:

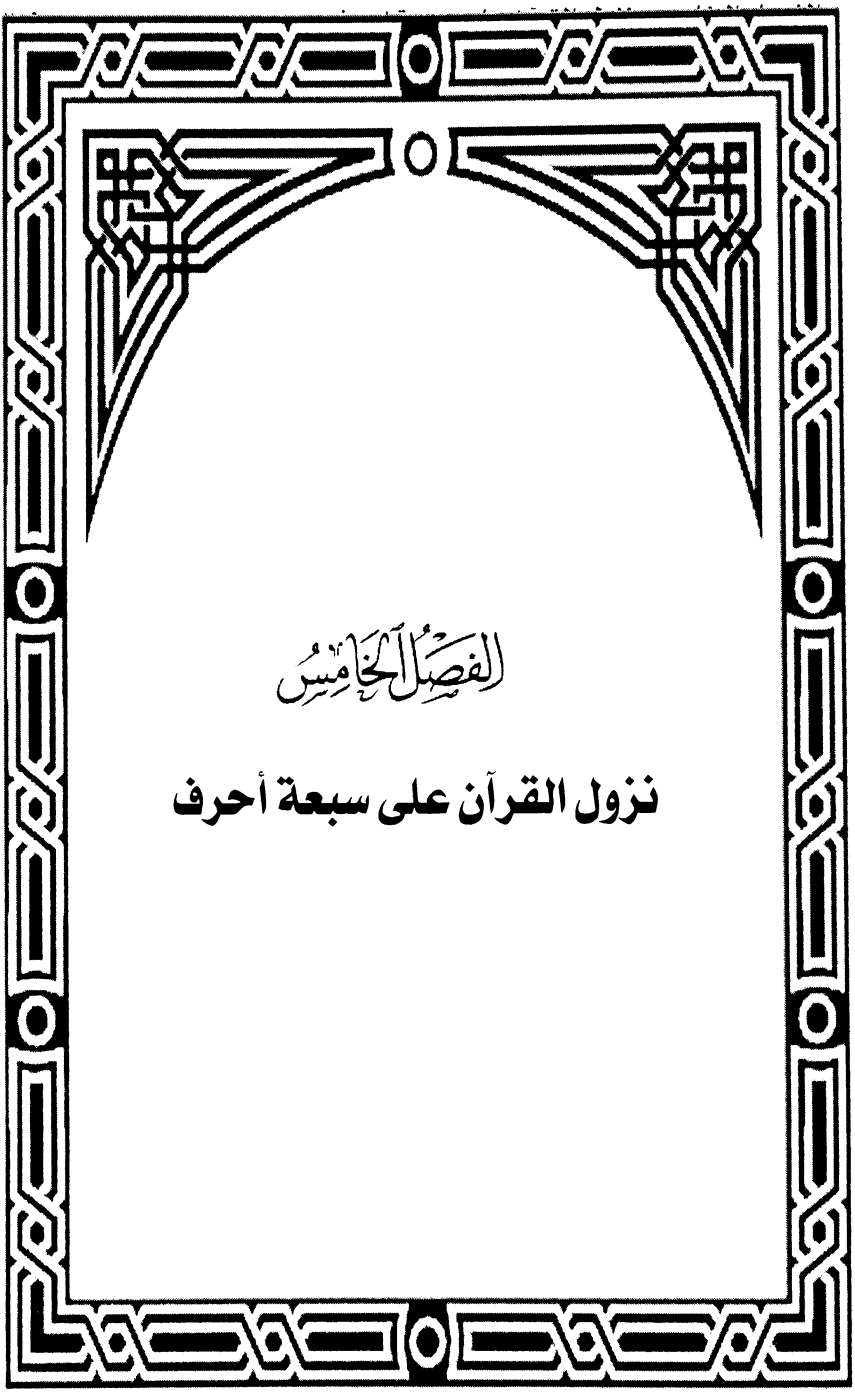
أولا: التنظير: لأن إلحاق النظير بالنظير من شأن العقلاء.

ثانيا: المضادة: وهو اتباع آية الحديث عن المؤمنين بآية تصف حالة الكافرين، لبيان أوجه التضاد، وهو أسلوب واضح في التشويق.

ثالثا: الاستطراد: والحكمة منه الانتقال من ذكر حال إلى بيان حكم أو حكمة مناسبة للمقام، ثم العودة إلى الموضوع الأول، وهذا الاستطراد يؤدي غايته في بيان ما قصد إليه القرآن من الإشارة إلى حكمة أو عبرة أو لفت نظر إلى مقاربة أو إقرار حقيقة أو تذكير بأمر.

وأفاض العلماء في ذكر أمثلة من القرآن الكريم، وبينوا وجه المناسبة في اقتران الآيات والسور، ملتمسين استكشاف أوجه التشابه والتقارب، باحثين عن القرائن التي يمكن أن تفيدهم في معرفة ذلك.

وذكر الرازي من إن (أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط).



الفصل الخامس

نزول القرآن على سبعة أحرف

الفصل الخامس

موضوع الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم؛ من الموضوعات العظيمة والدقيقة التي كثر فيها الخلاف في غير مدرسة اهل البيت عليهم السلام، وتشعَّبت فيها الآراء عند غيرهم؛ فكان لزاما على الطالب العزيز معرفة هذا الاصل الذي هو غامضاً في أذهان الكثيرين من طلبة العلم فضلاً عن غيرهم؛ على الرغم من صحة روايات الحديث الواردة في هذا الموضوع وكثرتها عن اهل البيت في تفسير مفهوم (السبعة احرف) التي نزل عليها القران ومعنى ذلك؛ إلا أنَّ ما تشعب من اراء عند الاخريات من المدارس التي بعدت عن اهل البيت عليهم السلام، فحصل ما حصل من عدم ادراك وقلة فهم بالنسبة الى ما يمتلكه اهل البيت عليهم السلام من علوم الاهية..

فما كان فيه من إجمال وما يحتمله اللفظ من تأويلات جعل فهمها يستعصي على النَّاس حتى بعض العلماء؛ لاذوا بالفرار من الجزم فيه بشيء محدد. حتى تقول البعض على الله وعلى رسوله بغير علم ولا هدى، وقد ذكر ذلك محمد بن سعدان الكوفي النحوي المقرئ (ت: ٢٣١ هـ) إذ يقول: معنى قول النبي أنزل القرآن على سبعة أحرف مشكل لا يدرى معناه[١].

---

(١) المرشد الوجيز إلى مباحث تتعلق بالكتاب العزيز لأبي شامة المقدسي ص٣ . ط: دار صادر، بيروت.

وبعد أنّ ذكر السيوطي (ت: ٩١١ هـ) أطراف هذا الموضوع في كتابه الإتقان وسرد معظم الأقوال، وعلّق على بعضها قال في كتابه شرح سنن النسائي عند شرحه الحديث: إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، والمراد به أكثر من ثلاثين قولاً حكيتها في الإتقان، والمختار عندي أنّه من المتشابه الذي لا يدرى تأويله [١].

فهذا الذي جعل هذا الموضوع محط العناية عند علماء مدرسة اهل البيت في مجال دراساتهم القرآنية؛ لأنّه كان من الضروري كشف ما يستطاع الوصول إليه من معان في مفهوم الأحرف السبعة. وبيان راي اهل البيت عليهم السلام باسلوب مقنع من وسط تاثيرات تلك الخلافات الشديدة على عقول الطلبة الاعزاء وتصوراتهم وتحليلاتهم . فاذا عرفت هذه الغاية من هذا البحث فاعلم:

ان قوله صلى الله عليه وآله (انزل القران على سبعة احرف)، فانه قول من حديث له صلى الله عليه وآله مجتزء، لعل الوقوف على تمامه كما رواه اهل البيت عليهم السلام يوضح امر هذه الحروف، وسياتي بيانه. لكن اعلم ان الحرف يطلق في اللغة ويراد منه عدة معان على وجه الاجمال منها: ذروة الشئ وأعلاه، ومنه حرف الجبل أى قمته، ويطلق أيضا على حرف التهجي، وعلى طرف الشئ، وعلى الوجه، وهو المناسب لموضوعنا.

---

(١) شرح سنن النسائي للحافظ جلال الدين السيوطي٢/١٥٣، ط: دار الفكر،بيروت .

ومما قيل في الأحرف السبعة هي سبع لغات متفرقة في القرآن كله وهي لغات قبائل من العرب على معنى، أن بعض القرآن نزل بلغة قريش وبعضه بلغة كنانة وبعضه بلغة اسد وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة تميم وبعضه بلغة قيس عيلان وبعضه بلغة أهل اليمن، ومن اختار هذا الرأي كان دليله عدم معرفة بعض الصحابة القرشيين لبعض ألفاظ القرآن إلا من بعض العرب كما وقع لابن عباس في كلمة فاطر حيث روى عنه أنه قال: لم أكن أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتى أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها أي ابتدأتها وأجيب عن ذلك بأن عدم معرفة ابن عباس لمعنى هذه الكلمة لا يدل على أن اللفظة غير قرشية لجواز أن يكون قد غاب معناها فقط عن ابن عباس، وليس بلازم أن يحيط المرء بكل معاني لغته أو بألفاظها، بل قيل: اللغة لا يحيط بها إلا المعصوم عليه السلام.

ويضاف إلى ذلك أن التوسعة ورفع الحرج والمشقة المقصود من الأحرف السبعة لا يتفق وهذا الرأي لأنه يترتب عليه أن يكون القرآن الكريم أبعاضا، وأن كل بعض بلغة، ويلزم من ذلك أن كل شخص لا يقرأ من القرآن إلا ما نزل بلغته.

ومما قيل ايضا: ان الأحرف السبعة هي سبعة أوجه، هي الأمر والنهي والوعد والوعيد والجدل والقصص والأمثال، أو هي: الأمر والنهي والحلال والحرام والمحكم والمتشابه والأمثال.

وقيل: بأن التوسعة في نزول القرآن على سبعة أحرف هي خاصة

بالألفاظ وليس بالمعاني، وذلك بأن تقرأ الكلمة على وجهين أو ثلاثة، ولا يمكن أن تكون التوسعة في تحريم حلال ولا في تحليل حرام، ولا في تغيير شيء من المعانى المذكورة.

وقد نقل ابن شهر آشوب في (المناقب) من خطبة أبي عبدالله الحسين الشهيد (عليه السلام) في يوم عاشوراء وصف الامام الحسين عليه السلام لاهل ذلك الزمان من نبذ للقران ومحاولاتهم اليائسة لتحريف القران وفيها: إنّما أنتم من طواغيت الأُمّة، وشُذّاذ الاَحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعصبة الآثام، ومحرّفي الكتاب[1].

فمن الواضح أنّ المراد بالتحريف هنا حمل الآيات على غير معانيها، وتحويلها عن مقاصدها الاَصلية بضروبٍ من التأويلات الباطلة والوجوه الفاسدة دون دليلٍ قاطعٍ، أو حجةٍ واضحةٍ، أو برهان ساطع، ومكاتبة الامام الباقر (عليه السلام) لسعد الخير صريحةٌ في الدلالة على أنّ المراد بالتحريف هنا التأويل الباطل والتلاعب بالمعاني، قال (عليه السلام): وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه، وحرفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرعونه[2]. أي إنّهم حافظوا على ألفاظه وعباراته، لكنّهم أساءوا التأويل في معاني آياته.

يروى بالصحيح الثابت عن أئمة اهل البيت عليهم السلام رواية

---

(١) بحار الانوار ٤٥: ٨.

(٢) الكافي ٨: ٥٣ | ١٦.

جمع القران من امير المؤمنين عليه السلام ورفض عمر وغيره الاخذ به، لعلمهم ان امير المؤمنين عليه السلام سوف لن يسمح له دينه الذي يدين به الله تعالى الا ان يثبت فيه كل ما انزل به الوحي من ربٍّ العزة على الرسول الكريم صلى الله عليه وآله سواء من الايات الكريمة او تفاصيل بيانها وحوادث نزولها كما كان يمليه عليه رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد دلت الاَحاديث أنّ مصحف امير المؤمنين علي (عليه السلام) يمتاز عن المصحف الذي اعتمدوه بأنّه، كان مرتّباً على حسب النزول، وأنّه قدّم فيه المنسوخ على الناسخ، وكتب فيه تأويل بعض الآيات وتفسيرها بالتفصيل على حقيقة تنزيلها، أي كتب فيه التفاسير المنزلة تفسيراً من قبل الله سبحانه، وأنّ فيه المحكم والمتشابه، وأنّ فيه أسماء أهل الحقّ والباطل، وأنّه كان بإملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخطّ علي (عليه السلام)، وأنّ فيه فضائح قوم من المهاجرين والاَنصار، وجميع هذه الاختلافات انما لايريد بيانها قوم اشتروا الضلالة بالهدى. مثلهم في القران (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَيٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ)[1].

وأهمّ ما في هذه الاختلافات هو الزيادة التي كانت في مصحفه (عليه السلام) والتي تخلو منها النسخة التي تمسكوا بها، وارادوا ان تكون بين ايدي الناس لغاية في نفوسهم، وهذه الزيادة من جملة

---

(١) البقرة: ١٧٥.

الاحاديث القدسية والتي هي وحي وليست بقرآن، كما نصّ عليه الشيخ الصدوق في (الاعتقادات)[١].

وقد تكون من جهة التأويل والتفسير وليست من أبعاض القرآن.

قال الشيخ المفيد رحمَهُ الله في أوائل المقالات: ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف أمير المؤمنين (عليه السلام) من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله، وذلك كان مثبتاً منزلاً، وإن لم يكن من جملة كلام الله تعالى الذي هو القرآن المعجز، وقد يسمّى تأويل القرآن قرآناً، قال الله تعالى: (ولاتعْجَل بالقُرآنِ مِن قَبْل أن يُقْضى إليْكَ وَحْيُه وَقُلْ رَبِّ زِدْني عِلماً) [٢] فيسمّى تأويل القرآن قرآناً، وهذا ما ليس فيه بين أهل التفسير اختلاف[٣].

وقال السيد الخوئي رحمه الله: إنّ اشتمال قرآنه (عليه السلام) على زيادات ليست في القرآن الموجود، وإن كان صحيحاً، إلاّ أنّه لا دلالة في ذلك على أنّ هذه الزيادات كانت من القرآن وقد أُسقطت منه بالتحريف، بل الصحيح أنّ تلك الزيادات كانت تفسيراً بعنوان التأويل، وما يؤول إليه الكلام، أو بعنوان التنزيل من الله تعالى شرحاً للمراد[٤].

---

(١) الاعتقادات: ٩٣.

(٢) طه: ١١٤.

(٣) أوائل المقالات: ٥٥.

(٤) البيان في تفسير القرآن: ٢٢٣.

اشكالية الاحرف السبعة بين الابتداع والتحريف

قد اشتهرت الرواية في حديث (الاحرف السبعة) من طريق العامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعدة انحاء. يقول السيوطي في الاتقان وَرَدَ حَدِيثُ: نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، مِنْ رِوَايَةِ جَمْعٍ مِنَ الصَّحَابَةِ: أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَأَنَسٍ وَحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ وَزَيْدِ بْنِ أَرْقَم وَسَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ وسليمان بْنِ صُرَدٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعَمْرِو بْنِ أَبِي سَلَمَةَ وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَهِشَامِ بْنِ حَكِيمٍ وَأَبِي بَكْرَةَ وَأَبِي جَهْمٍ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي أَيُّوبَ.
فَهَؤُلَاءِ أَحَدٌ وَعِشْرُونَ صَحَابِيًّا وَقَدْ نَصَّ أَبُو عُبَيْدٍ عَلَى تَوَاتُرِهِ.

رواية الاحرف السبعة عند العامة

الرواية الاولى: ما روي عن (عمر)، فقد روى النسائي وغيره: عن ابن مخرمة أن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام (وهو من الطلقاء) يقرأ سورة الفرقان، فقرأ فيها حروفاً لم يكن نبي الله (صلى الله عليه وآله) أقرأنيها! قلت من أقرأك هذه السورة؟! قال رسول الله (صلى الله عليه وآله). قلت كذبت، ما هكذا أقرأك رسول الله (صلى الله عليه وآله)! فأخذت بيده أقوده إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقلت: يا رسول الله إنك أقرأتني سورة الفرقان وإني سمعت هذا يقرأ فيها حروفاً لم تكن أقرأتنيها! فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

إقرأ يا هشام فقرأ كما كان يقرأ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) هكذا أنزلت! ثم قال إقرأ يا عمر فقرأت، فقال: هكذا أنزلت!! ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن القرآن أنزل على سبعة أحرف[١].

الرواية الثانية: عن سليمان بن صرد عن أبي بن كعب قال: قرأت آية وقرأ ابن مسعود قراءة خلافها فأتينا النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم فقلت: ألم تقرأني آية كذا وكذا ؟ قال ابن مسعود: ألم تقرأنيها كذا وكذا؟ قال: بلى، قال: كلاكما محسن مجمل. قلت: ما كلانا أحسن ولا أجمل! فضرب في صدري وقال: يا أُبي! أُقرئت القرآن، فقيل لي: على حرف أم على حرفين؟ فقال الملك الذي معي: على حرفين، فقلت على حرفين؟ فقيل لي: على حريفين أم ثلاثة؟ فقال لي الملك: الذي معي على ثلاثة، فقلت: ثلاثة؟ حتى بلغ سبعة أحرف، قال: ليس فيها إلا شاف كاف، قلت: غفور رحيم، عليم حليم، سميع عليم، عزيز حكيم[٢].

الرواية ثالثة: أتاني جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك على حرف . فقلت: أسأل الله معافاته ومغفرته فإن أمتي لا تطيق ذلك .

---

(١) النسائي:٢/١٥ . ورواه البخاري:١ :٦ و:١١ :٦، و:٩ :٣، و:٢١٥ :٨. ومسلم: ٢ :١٢ بروايتين، وأبوداود:١/٣٣١، والترمذي:٤/٢٦٣، والبيهقي:٢ /٣٨٣، وأحمد:١/٢٤و٣٩ و٤٥ و٢٦٤.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص ٣٨٤، مسند أحمد ج ٥ص١٢٤، سنن أبي داود ج١ص٣٣٢ باختلاف يسير، وفي كنز العمال ج٢ ص٥٢ ح٣٠٨٠ وص ٦٠٣ .

ثم أتاني ثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين . فقلت: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك . ثم جاءني الثالثة فقال لي: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف. فقلت أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك . فجاءني الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا[١].

الرواية الرابعة: عن أبي بكرة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم قال أتاني جبرئيل وميكائيل عليهما السلام فقال جبريل عليه السلام اقرأ القرآن على حرف واحد فقال ميكائيل استزده فقال اقرأه على سبعة أحرف كلها شاف كاف ما لم تختم آية رحمة بعذاب أو آية عذاب برحمة [٢].

الرواية الخامسة: ورواية أخرى عن أبي بكرة توضح مقصود السابقة: قال صلى الله عليه وآله وسلم: كل شاف كاف ما لم تختموا آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب نحو قولك تعال، وأقبل، وهلم، واذهب، وأسرع، وأعجل [٣].

المسور بن خرمة: هذا، وان رواة الحديث منهم الوضاع كالمسور بن خرمة الذي كان لا يذكر معاوية الا وصلى عليه، وكان مبغضا لامير

---

(١) كنز العمال ج٢ ص ٥٠ ح ٣٠٧٤ (د ن عن أبي بن كعب) .

(٢) مسند أحمد ج٥ ص ٤١ .

(٣) مسند أحمد ج٥ص٥١ .

المؤمنين عليه السلام ومن مؤيدي عمر في رده لكتابة امير المؤمنين عليه السلام للقران بامر رسول الله صلى الله عليه وآله قبل وفاته، وهو من احد واضعي حديث الخطبة المزعومة لامير المؤمنين عليه السلام لبنت ابي جهل، مع انه كان بهذا الوقت الذي يزعمون ابن خزيمة ابن خمس او ستة سنين مع انه يكذب ويقول انه كان قد (احتلم). حيث كان عمره المشؤم عند موته اثنين وستين سنة وهو هلك في العام الذي هلك فيه يزيد اربعة وستين هجرية والواقعة المزعومة في حدود سبعة او ثمان هجرية!!!

فقد ذكروا ان المسور بن مخرمة - راوي هذه الأسطورة - ولد بعد الهجرة بسنتين، وهو يقول فيها انه سمع حديث النبي (صلى الله عليه وآله) مباشرة، وكان محتلما يومها!

قال ابن حجر في ترجمة المسور: قال عمرو بن علي: ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين، فقدم به المدينة في عقب ذي الحجة سنة ثمان ومات سنة أربع وستين[١].

تهذيب الكمال للمزي: وولد بمكة بعد الهجرة بسنتين، فقدم به المدينة في عقب ذي الحجة سنة ثمان عام الفتح، وهو ابن ست سنين، وكان مروان ولد معه في تلك السنة[٢].

---

(١) تهذيب التهذيب، لابن حجر: ج ١٠، ص ١٣٧.

(٢) تهذيب الكمال، للمزي: ج ٢٧، ص ٥٨١.

سير أعلام النبلاء للذهبي: وعن أم بكر، قالت: ولد المسور بمكة بعد الهجرة بعامين، وبها توفي لهلال ربيع الآخر سنة أربع وستين[١].

الإصابة لابن حجر: قال يحيى بن بكير: وكان مولده بعد الهجرة بسنتين، وقدم المدينة في ذي الحجة بعد الفتح سنة ثمان، وهو غلام أيفع بن ست سنين. إذا فبناء على تقدير ابن حجر تكون القصة قد حدثت في السنة الثامنة او التاسعة، لأنه يزعم انها كانت بعد مولد المسور بنحو ست او سبع سنين، والمسور ولد في السنة الثانية[٢].

ولكنهم اتفقوا على ان المسور انما قدم المدينة المنورة (عقب) ذي الحجة سنة ثمان، وعليه فلا يمكن ان تكون قد حدثت في السنة الثامنة، وعلى هذا فيستحيل أن تقع هذه القصة قبل السنة التاسعة للهجرة.

وقد ذكر ابن خزيمة في مسند احمد ومسلم انه عرض للامام علي بن الحسين عليه السلام عند عودهم من يزيد(لع) بعد مقتل سيد الشهداء عليه السلام وطلب منه سيف رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان يتقلده الامام عليه السلام..

ابو بكرة: قال عنه في سيرة اعلام النبلاء للحافظ الذهبي: ابو بكرة اسمه نفيع بن الحارث وقيل نفيع بن مسروح وأمه سمية فهو أخو

---

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي: ج ٣، ص ٣٩٤.

(٢) الإصابة، لابن حجر: ج ٦، ص ٩٤.

زياد بن أبيه لأمه قال ابن المديني اسمه نفيع بن الحارث وكذا سماه ابن سعد قال ابن عساكر أبو بكرة بن الحارث بن كلدة بن عمرو وقيل كان عبدا للحارث بن كلدة فاستلحقه (وسمية) هي مولاة الحارث، وكان أبو بكرة ينكر أنه ولد الحارث فإن أبى الناس إلا أن ينسبوني فأنا نفيع بن مسروح .

وقصة عمر مشهورة في جلده أبا بكرة ونافعا وشبل بن معبد لشهادتهم على المغيرة بالزنى ثم استتابهم فأبى أبو بكرة أن يتوب وتاب الآخران فكان إذا جاءه من يشهده يقول قد فسقوني.

وينقل الذهبي عن سليمان الأنصاري عن الحسن عن الأحنف قال بايعت عليا رضي الله عنه فرآني أبو بكرة وأنا متقلد السيف فقال ما هذا يا ابن أخي قلت بايعت عليا قال لا تفعل إنهم يقتتلون على الدنيا وإنما أخذوها بغير مشورة.

فيكون راوي هذه الرواية(اعني سبعة احرف) فاسق جلده (عمر) لشهادته الزور ولم يقبلوا منه شهادة حتى هلك!! فكيف تقبل عنه الرواية؟؟ (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) ؟ .

عودٌ على ذي بدء

وأنه صلى الله عليه وآله قال: (نزل القرآن على سبعة أحرف كلها كاف شاف) وقد ادعى بعضهم تواتر أصل هذا الحديث الا انهم اختلفوا في معناه على ما يقرب من أربعين قولا .

السؤال: متى روي هذا الحديث؟؟

او قل ما هو السبب وراء ابتداع هذه البدعة؟، والسبب ببساطة أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان في حياته يصحح نص القرآن لمن يقرؤه فكان مصدر نص القرآن واحداً مضبوطاً. أما بعد رحيله والتحاقه (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرفيق الاعلى، فقد قدّم لهم امير المؤمنين علي عليه السلام نسخة القرآن بخط يده الشريفة امتثالا لأمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم يعتمدوها، بل ردوها على امير المؤمنين، لأنه كان فيها مصلحة اهل البيت النجباء (عليهم السلام)، وكان به ما ان تبين للناس افتضح امر كثيرين ممن يعدون انفسهم من الصحابة والمقربين، وكان ذلك بوحي منه تعالى الى رسول الله في بيان آياته وباملاء رسول الله صلى الله عليه وآله، لامير المؤمنين عليه السلام وقد علموا ذلك عندما اطلعوا عليه، فردوه الى امير المؤمنين عليه السلام. وتوارثوه اهل البيت عليهم السلام مع ماورثوه من ميراث النبوة من النبي الاكرم والرسول الاعظم صلى الله عليه وآله، وجملة ما كان بيد امير المؤمنين عليه السلام، وعهد لهم عهدا انه سيظهره المهدي من ولده عليهم السلام.

وقد جاء في المروي عن ابي عبد الله عليه السلام في الكافي للكليني: عن عبد الرحمن بن أبي هاشم، عن سالم بن سلمة قال: قرأ رجل على أبي عبد الله (عليه السلام) وأنا أستمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس، فقال أبو عبدالله: كف عن هذه القراءة، إقرأ كما

يقرأ الناس حتى يقوم القائم فإذا قام القائم (عليه السلام) قرأ كتاب الله عز وجل على حدهً، وأخرج المصحف الذي كتبه علي (عليه السلام). وقال: أخرجه علي (عليه السلام) إلى الناس حين فرغ منه وكتبه فقال لهم: هذا كتاب الله عز وجل كما أنزله الله على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد جمعته من اللوحين فقالوا: هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه فقال أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً، إنما كان علي أن أخبركم حين جمعته لتقرؤوه[١].

وهنا عندما اختلف الناس في قراءاتهم ولا مصحح لهم، فكان عليهم ان يبتدعوا حلا لهذه المشكلة الكبيرة فاختار عمر لحلها القول بالتسامح في نص القرآن! وأفتى بصحة جميع القراءات المختلف عليها! واستند بذلك إلى حديث بأن في القرآن سعة، وأنه نزل على سبعة أحرف!!

وستعرف أن الحديث النبوي الشريف في أن القرآن نزل على سبعة أقسام من المعاني، ولا علاقة له بألفاظ القرآن وحروفه! .

فالنظرية ولدت عندما واجهوا مشكلة لايعرفون لها حلا وابوا ان يردوها الى اهلها فلا معضلة الا ولها امير المؤمنين عليه السلام، ولم يعالجونها بنسخة القرآن الذي كان يمليه عليه رسول الله صلى الله عليه وآله، فحرفوا معنى حديث الاحرف السبعة عن النبي (صلى الله عليه

(١) الكافي:٢/٦٣٣.

وآله وسلم) ليثبتوا مشروعية التسامح والتفاوت في قراءة النص القرآني!. والى اليوم هم في حيص وبيص، اي في ضيق وشدّة، في حيرة، وفي اختلاط من أمرهم، لا مخرج لهم منه، الا بردّه الى اهله، وهم السادة المنتجبين والائمة المعصومين، وانى لهم هذا!!

اقوال العامة في معنى الاحرف السبعة

المعنى الأول، أن القرآن نزل على سبعة أشكال من الألفاظ، ويضيفون قيدا وهو الموافقة في المعنى وهذا هو المشهور على السنتهم، قال به سفيان بن عيينة، وقال به محمد بن جرير الطبري، وابن عبد البر وغيرهم، ويعني قال.. هذا الذي يخرجهم لكي ينسجم القول؛ أن الأحرف الستة.. أنك لا تجد في القرآن الكريم أي لفظة في القرآن الكريم تقرأ بسبعة أوجه بهذه الطريقة، يعني مترادفة، وإنما تجد لفظ واحد فقط، فقالوا: الستة أحرف الأخرى لما جمع عثمان بن عفان المصحف جمعه على حرف واحد من هذه الأحرف جمعًا للأمة على حرف واحد، لأن هذا من باب الرخصة، وليس من باب الإلزام.

المعنى الثاني، هو أن هذه الأحرف السبعة المقصود بها سبع لغات لسبع قبائل من العرب مبثوثة في القرآن الكريم، فهذا نزل بلغة قريش، وهذا نزل بلغة هُذيل، وهذا نزل بلغة بني بكر، وهذا نزل بلغة أهل اليمن، وهكذا. والمقصود من نزول القران بالاحرف السبع عند هؤلاء هو التيسير؛ فالذي نزل بلغة اليمن ليس فيه يسر على الذي نزل على

قريش، والذي نزل بلغة قريش ليس فيه يسر على ما نزل بلغة اليمن، وهكذا.

المعنى الثالث، وهو قول جماهير القراء، قال به ابن قتيبة، وقال به ابن الجزري، قال به أبو الفضل الرازي صاحب كتاب حديث الأحرف السبعة، قال: إنها سبعة أوجه من التغاير والاختلاف في الأوجه القرائية.

ابتداع ابن قتيبة تأويل الاحرف السبعة

وقد ابتدع ابن قتيبة في تاويل مشكل القران عبد الله بن قتيبة الدنيوري (٢٧٦هـ): تاويلا لمعنى الاحرف في حديث الحروف السبعة من ان معناها القراءات السبعة وفصل قائلا: وقد تدبّرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه:

الوجه الاول: الاختلاف في إعراب الكلمة أو في حركة بنائها مما لا يُزيلها عن صورتها في الكتاب، ولا يُغير في معناها، مثلًا: ﴿هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾[١]، أو (أطهرَ لكم). ﴿وَهَلْ نُجَازِى إِلاَّ الكَفُورَ﴾[٢]، (هل يجازي إلا الكفور). ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾[٣]، وبالبخل، (فَنَظِرَةٌ إلى

(١) هود: ٧٨.

(٢) سبأ: ١٧.

(٣) النساء: ٣٧.

مَيْسَرَة)[١] وميسرة.

والوجه الثاني: أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغيّر معناها، ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب، نحو قوله تعالى: (ربَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارنا)[٢] وربّنا باعَد بين أسفارنا، باعِدْ: يعني طلب، باعَدَ: فعل ماضي.

(وإِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ)[٣] وتلقونه، (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّة)[٤] وبعد أمة.

الوجه الثالث: أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها، بما يغيّر معناها ولا يزيل صورتها، نحو قوله: ﴿وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾[٥]، وننشرها. ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾[٦]، في قراءة: وفرّغ.

الوجه الرابع: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغيّر صورتها في الكتاب، ولا يغيّر معناها، نحو قوله: ﴿إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾[٧]، وقرأ ابن مسعود: (إن كانت إلا زقية واحدة) وصَيْحَةً. و

(١) البقرة: ٢٨٠.

(٢) سبأ: ١٩.

(٣) النور: ١٥.

(٤) يوسف: ٤٥.

(٥) البقرة: ٢٥٩.

(٦) سبأ: ٢٣.

(٧) يس: ٢٩.

«كالصَوف المنفوش» و﴿وَ تَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوش﴾[١] .

الوجه الخامس: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو قوله: «وطلع منضود» في موضع (وَطَلْح مَنْضُود)[٢] .

الوجه السادس: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير، نحو قوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾[٣]، في قراءة: (وجاءت سكرة الحق بالموت).

اقول: اخترع هذا المبتدع اعني ابن قتيبة هذا الوجه حتى لا ينسب الهجر والهذيان لأبي بكر في آخر حياته وهو على فراش الموت حيث قرأ الآية الكريمة بشكل آخر، فبدل أن يقول {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ} قرأها غلطا (وجاءت سكرة الحق بالموت)![٤] . وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، وقيل: الحق هو الموت سمي حقا إما لاستحقاقه وإما لانتقاله إلي دار الحق؛ فعلى هذا يكون في الكلام (ويقصد في كلام الله في الكتاب الذي لا ياتيه الباطل) تقديم وتأخير، وتقديره وجاءت سكرة الحق بالموت، وكذلك في قراءة أبي بكر وابن مسعود: لأن السكرة هي الحق فأضيفت إلى نفسها لاختلاف اللفظين.

(١) القارعة: ٥

(٢) الواقعة: ٢٩.

(٣) سورة ق: ١٩.

(٤) راجع البرهان للزركشي ج١ ص ٣٣٥ و تفسير القرطبي ج١٧ ص ١٢.

وقيل: يجوز أن يكون الحق على هذه القراءة هو الله تعالى؛ أي جاءت سكرة أمر الله تعالى بالموت.

وقيل: الحق هو الموت والمعنى وجاءت سكرة الموت بالموت؛ ذكره المهدوي.

ثم منهم من اتخذ مخالفة القران سنة من سنن (الصحابة) فلا يرى بها باسا، وقد زعم من طعن على القرآن فقال: أخالف المصحف كما خالف أبو بكر الصديق فقرأ: وجاءت سكرة الحق بالموت. فاحتج عليه بأن أبا بكر رويت عنه روايتان: إحداهما موافقة للمصحف فعليها العمل، والأخرى مرفوضة تجري مجرى النسيان منه إن كان قالها، أو الغلط من بعض من نقل الحديث[١].

الوجه السابع: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾[٢]، وفي قراءة: (وما عملت أيديهم). ونحو قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٣]، وفي قراءة: (إن الله الغني الحميد)، بدون (هو). وقرأ بعض (السلف): ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ

---

(١) انظر تفسير القرطبي تفسير القرطبي المسمى بـ «الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان» أية ١٩ من سورة: ق.

(٢) يس: ٣٥.

(٣) لقمان: ٢٦.

نَعْجَةً﴾[١] (أنثى)، و﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾[٢] من نفسي فكيف أظهركم عليها[٣].

هذا نموذج من فهمهم للحروف السبعة التي انزل فيها القران. وسياتي ان شاء الله بيان المزيد من آرائهم .

اما بالنسبة الى القراءات السبعة فقد بين علمائنا رحمهم الله، من ان الحق فيها (اي في القراءات) المتواتر منها ليس إلا القدر المشترك بين القراءات جميعا دون خصوص آحادها إذ المقطوع به ليس إلا ذاك، فان المتواتر لا يشتبه بغيره وجعلوا الأصل فيها ما كان الأخف على اللسان، والأوضح في البيان، والآنس للطبع السليم، والأبلغ لذي الفهم القويم، والأبعد عن التكلف في إفادة المراد، ولا يحوي هذه العلامات والاوصاف من القراءات الا ما كان الأوفق والاقرب لقراءة المعصومين. لانها قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وهي ما اوحي اليه، بواسطة الملك جبريل عن الله تبارك وتعالى، فلا قيمة ولا اعتبار بغيرها، اما حجة التسهيل دونه خرط القتاد، مآله الى التحريف، والله اعلم.

(١) ص: ٢٣.

(٢) طه: ١٥.

(٣) تاويل مشكل القران عبد الله بن قتيبة الدنيوري (٢٧٦هـ): ٣٦- ٣٧.

روايات العامة للحديث بوجه آخر

عن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: نزل الكتاب الأول من باب واحد على حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زاجراً، وآمراً، وحلالاً، وحراماً، ومحكماً، ومتشابهاً، وأمثالاً فأحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله وعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وقولوا أمنا به كل من عند ربنا[١].

وروى الطبري والهندي عن عوف بن أبي قلابة قال بلغني أن النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم قال أنزل القرآن على سبعة أحرف: أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل[٢].

والمستفاد من هاتين الروايتين إن الأحرف إشارة إلى اقسامه ومضمون الذي به انزل .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام كل قسم منها كاف شاف وهي: أمر وزجر وترغيب

---

(١) المستدرك على الصحيحين ج١ص٥٣٣ و علق عليه بـ)هذا حديث صحيح ولم يخرجاه)، وأخرجه الحاكم في ج٢:٢٩٠ بزيادة (وما يذكر إلا أولو الألباب)، والطبري في تفسيره ج١ص٢٣ ط دار الحديث سنة ١٩٨٧، كنز العمال ج١ص٥٤٩ وص٥٥٣ .

(٢) تفسير الطبري ج١ص٢١، وعنه في الكنز العمال ج٢ص٥ح٣٠٩٧ .

وترهيب وجدل ومثل وقصص.

وروت العامة أيضا عن النبي صلى الله عليه وآله أن القرآن أنزل على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حرف حد ومطلع.

ماهو الحق في المقام

وهو قول الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله (نزل القرآن على سبعة أحرف أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل). وما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: إن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام كل قسم منها كاف شاف وهي: أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل ومثل وقصص.

وما ورد من طرق العامة في الحديث (نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف)، فقد ذهب جمع الى ان المراد (بالاحرف) اللغات، يعني على سبع لغات من لغات العرب وهي مفرقة في القرآن، فبعض القران مثلا بلغة قريش، وهذيل، وثقيف، وهوازن، وكنانة، وتميم، واليمن.

قول ابن حجر في فتح الباري

وقد ذهب الى هذا القول أكثر علماء العامة كما عن ابن حجر في فتح الباري إلى أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد، على معنى أنه حيث تختلف لغات العرب في التعبير عن معنى من المعاني يأتي منزلا بألفاظ على قدر هذه اللغات لهذا

المعنى، وحيث لا يكون هناك اختلاف فإنه يأتي بلفظ واحد أو أكثر، واختلفوا في تحديد اللغات السبع؛ فقيل: هي لغات: قريش، وهذيل، وثقيف، وهوازن، وكنانة، وتميم، واليمن. فالقراءة على سبعة أحرف أي أن يقرأ القاريء على سبعة أوجه يجوز أن يقرأ بكل وجه منها، وليس المراد أن كل كلمة أو جملة منه تقرأ على سبعة أوجه، بل المراد أن غاية ما انتهى إليه عدد القراءات في الكلمة الواحدة إلى سبعة، فإن قيل فإنا نجد بعض الكلمات يقرأ على أكثر من سبعة أوجه. فالجواب أن غالب ذلك إما لا يثبت الزيادة، وإما أن يكون من قبيل الاختلاف في كيفية الأداء كما في المد والإمالة ونحوهما[1].

وقد جاء في لسان العرب: ما جاء في الحديث من قوله عليه السلام نزل القرآن على سبعة أَحْرُف كلُّها شافٍ كافٍ أَراد بالحرْفِ اللُّغَةَ قال أَبو عبيد وأَبو العباس نزل على سبع لُغات من لغات العرب قال وليس معناه أَن يكون في الحرف الواحد سبعة أَوجُه هذا لم يسمع به قال ولكن يقول هذه اللغات متفرّقة في القرآن فبعضه بلغة قُرَيْشٍ وبعضه بلغة أَهل اليمن وبعضه بلغة هوازِنَ وبعضه بلغة هُذَيْل وكذلك سائر اللغات ومعانيها في هذا كله واحد وقال غيره وليس معناه أَن يكون في الحرف الواحد سبعةُ أَوجه على أَنه قد جاء في القرآن ما قد قُرِئ

---

(١) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، (٨/ ٦٤٠).

بسبعة وعشرة نحو ملك يوم الدين وعبد الطاغوت ومما يبين ذلك قول ابن مسعود إني قد سمعت القراءة فوجدتهم متقاربين فاقرأُوا كما عُلِّمْتمْ إنما هو كقول أَحدكم هَلمَ وتعالَ وأَقْبِلْ قال ابن الأَثير وفيه أَقوال غير ذلك هذا أَحسنها.

ونقل في تاج العروس عن الزَّجَّاج في الحَدِيث: قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وسلَّم (نَزَلَ القُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُف كُلُّهَا شَاف كَاف فَاقْرَؤُوا كَمَا عُلِّمْتُمْ) قال أَبو عُبَيْد: أَي على سَبْعِ لُغَاتِ مِن لُغَاتِ الْعَرَبِ قال: ولَيْسَ مَعْنَاهُ أَنْ يَكُونَ في الْحَرْف الْوَاحِدِ سَبْعَةُ أَوْجُهٍ هذا لم يُسْمَعْ به، زَادَ غيرُ أَبي عُبَيْد: وإِنْ جاءَ على سَبْعَةٍ أَو عَشَرَةٍ أَو أَكْثَرَ نحو (مَلِك يَوْمِ الدِّينِ وعَبَد الطَّاغُوتَ) قال أَبو عبيد: ولكنِ الْمَعْنَى: هذهِ اللُّغَاتُ السَّبْعُ مُتَفَرِّقَةٌ في الْقُرآنِ فبَعْضُه بلُغَةِ قُرَيْشٍ وبَعْضُه بلُغَةِ أَهْلِ اليَمَنِ وبعضُهُ بلُغَةِ هوازن وبعضُه بلُغَةِ هُذَيْلٍ وكذلكَ سائرُ اللُّغَاتِ ومَعَانيها في هذا كُلِّه واحِدةٌ.

اقول: القرآن نسخة واحدة ومعنى قولهم السبعة حروف أن الله تعالى استعمل فيه سبعة أنواع من لغات العرب. ولكن هذا لا يقال له نزل على سبعة حروف، بل يقال إن ألفاظه مختارة من كلمات سبع قبائل!

ثم ينقل في تاج العروس عن الزجاج قوله: ومِمَّا يُبَيِّنُ ذلِكَ قَوْلُ ابن مسْعُود: (إِنِّي قد سمعتُ القَرَأَةَ فوَجَدْتُهم مُتَقارِبِينَ فَاقْرَؤُوا كما

عُلِّمْتُمْ إِنَّمَا هو كقَوْلِ أَحدِكُم: هَلُمَّ وتَعَالَ وأَقْبِلْ).

قال ابنُ الأثيرِ: وفيه أَقْوَالٌ غَيْرُ ذلك هذا أَحْسَنُهَا، وَرَوَى الأَزْهرِيُّ: أَن أبا العباسِ النَّحْوِي - وواحِد عَصرِه - قد ارْتَضَى ما ذهَب إِليه أَبو عُبَيْدٍ واسْتَصْوَبَه قال: وهذِه السَّبْعَةُ الأَحْرُفُ التي مَعْناها اللُّغَاتُ غَيْرُ خَارِجَةٍ من الذي كُتِبَ في مَصَاحِفِ المُسْلِمين التي اجْتَمع عليها السَّلَفُ المَرْضِيُّونَ والخَلَفُ المُتَّبِعُونَ فمَن قَرَأَ بحَرْفٍ ولا يُخالِفُ المُصْحَفَ بزِيَادَة أَو نُقْصَانٍ أَو تَقْدِيمٍ مُؤَخَّرٍ أَو تَأْخِيرٍ مُقَدَّم وقد قَرَأَ به إِمامٌ مِن أَئِمَّةِ القُرَّاءِ المُشْتَهَرِين في الأَمْصَارِ فقد قَرَأَ بحَرْف من الحُرُوفِ السَّبْعَةِ التي نَزَلَ القُرْآنُ بها ومَن قَرَأَ بحَرْفٍ شاذّ يُخَالِفُ المُصْحَفَ وخَالَفَ في ذلِك جُمْهُورَ القُرَّاءِ المَعْرُوفِين فهو غيرُ مُصِيبٍ وهذا مُذْهَبُ أَهل الدِّين والعِلْم الذين هم القُدْوَةُ ومَذْهَبُ الرَّاسِخِينَ في عِلمِ القُرْآنِ قَدِيماً وحَدِيثاً وإِلَى هذا أَوْمَأَ أَبو بَكْرِ بنُ الأَنْبَارِيِّ من كتاب له أَلَّفَهُ في اتِّبَاعِ ما فِي المُصْحَف الإِمامِ ووَافَقَهُ على ذلك أَبو بكر بنُ مَجَاهِدٍ مُقْرِىءُ أَهلِ العِرَاق وغيرُه من الأَثْبات المُتْقِين قال: ولا يجوزُ عندي غيرُ قالُوا واللهُ تعالَى يُوَفِّقُنا لِلاتِّباعِ ويُجَنِّبُنَا الابْتِداعَ آمينَ.

اقول: لعل هذا اشارة الى ما ابتدعه ابن قتيبة في تفصيله المتقدم يدخل تحت عدم الاتباع ووقوعه حتما في الابتداع، جنبنا الله الابتداع ووفقنا الاتباع لاهل الحق من ائمة المسلمين المعصومين وجدهم الاعلى صاحب المحجة البيضا صلوات الله وسلامه عليه وعلى اهل بيته الطيبين الطاهرين.

وقال الطبري في مجمع البيان: إن قوما قالوا إن المراد بالأحرف اللغات مما لا يغير حكما في تحليل ولا تحريم مثل: هلم وأقبل وتعال. وقالوا: وكانوا مخيرين في مبتدء الإسلام في أن يقرؤا بما شاؤوا منها ثم أجمعوا على أحدها وإجماعهم حجة فصار ما أجمعوا عليه مانعا مما اعرضوا عنه .

المتحصل، ان ظاهر الاحرف السبعة المذكورة في الحديث وروايات المعصومين عليهم افضل الصلاة واتم التسليم المراد منها كما في قول الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله (نزل القرآن على سبعة أحرف أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل).

وما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (إن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام كل قسم منها كاف شاف وهي: أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل ومثل وقصص).

فهي الاقسام التي يتالف منها الكتاب العزيز وهي سبعة: أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل ومثل وقصص.

واما اللغات التي نزل بها الكتاب العزيز، التي هي ضمن الايات في القران الكريم فلا شك في ان معناها لهجات العرب في كلامهم التي كانت سائدة آنذاك في الجزيرة العربية، مهبط الوحي باذنه تعالى.

وهذا امر آخر لا علاقة له بالاحرف السبعة، فكيف يثبت ان كل لغات العرب آنذاك كانت سبعة فقط؟ او كيف يثبت ان القران تضمن هذه اللغات السبعة على تقدير انها سبعة؟، وكيف يعلل بالتسهيل لاجل

مفردة او ثنتين؟ فلو كان التسهيل هو الغاية فكان من الاجدر ان ينزل القران كاملا بسبعة لغات في كل مرة بلغة قوم!! ومن قال ان الناس كانوا بلداء الى هذا الحد، فينزل من كلماتهم المتداولة مفردة او مفردتين او اكثر لاجل تسهيل فهمهم للقران، وهم اهل البلاغة والفصاحة وسوق عكاظ اكبر تظاهرة في ميادين الادب يذكرها التاريخ الى يومنا هذا؟.

وان كان الغرض من ابتداع ذلك، هو تبديل كلام او كلمة بدل اخرى نزلت من الله بالوحي، فلا معنى للتحريف غير ذلك، فلا يمكن تبديل كلام الله بغيره بحجة الترادف او الاشتراك، والا فهو من التحريف للكلم عن موضعه، لقوله تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظاً مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَة مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ)[1].

ما ورد في كتاب الاتقان في علوم القرآن للسيوطي

لعله من المناسب ان تعرف الوجوه التي ذكرت في تفسير (الاحرف السبعة) لتميز الصالح الذي يتمثل في رواية اهل البيت عليهم السلام ترجمان الوحي وحفاظه من غيره كالاقوال التي لا تنم الا عن ضعف بصيرة من يجادل فيها بغير علم ولا كتاب منير، هذا

---

(١) المائدة: ١٣.

والملاحظ ان بعض الاقوال يمتد جذورها الى عمدة صحابة القوم الا انهم لم يذكروا رايا واحدا لامير المؤمنين عليه السلام مع ان له كلاما واضحا مبينا لكلام الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله، ولا لغيره من اهل البيت عليهم السلام، ولا عجب ولا غرابة، حيث انهم يعلمون انهم يخالفون رسول الله صلى الله عليه وآله والرجوع الى عترته الطاهرة المعصومة رجوع اليه وهذا لا يناسبهم ولا يفيدهم في تمرير سفههم وكذبهم لاجل المفازة بلهو الدنيا ومتاعها، والا بما يفسر عزل اهل البيت عليهم السلام في هذه المعضلة الكبيرة التي تؤدي الى خطر الوقوع بتحريف الكتاب، وهكذا بالنسبة الى جميع القضايا التي يبتدعون لها اراء من عند انفسهم، ولا يرجعون فيها الى اعلم الناس فيهم واقربهم الى الله تعالى في التقوى وامثلهم طريقة واحسنهم ورعا وابعدهم عن حديث النفس، واحسنهم ملفظا..

فوجدنا من المناسب ان نذكر هذه الآراء واحسن ما كانت عليه مجتمعة في كتاب الاتقان في علوم القران لجلال الدين السيوطي وهو بدوره ينقلها عن قائليها بامانة وانضباط. فهو يشير الى اكثر من اربعين رايا، لكنه ينقل ستة عشر عن اصحابها، وينقل عن نقل ابن حجر عن القرطبي عن ابن حبان اوجه الاختلاف في الاحرف السبعة الى خمسة وثلاثين قولا. فمجموع الاقول واحد واربعين قولا في مسالة الاحرف السبعة عندهم فتامل لتغنم!! ثم افهم اي الفريقين احرص على عدم تحريف كتاب الله من الآخر! واي الفريقين اكثر اعتزازا

وتعظيما لكتاب الله تبارك وتعالى وصيانته من التحريف ولو من جهة معانيه ومقاصده ودلالاته!!

فقد ذكر في كتاب الاتقان في علوم القران لعبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) الاختلاف في معنى حديث السبعة احرف على اربعين رايا، فقال: اختلاف الأقوال في نزول القرآن على سبعة أحرف: وَسَأَسُوقُ مِنْ رُوَاتِهِمْ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فَأَقُولُ: اخْتُلِفَ فِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ عَلَى نَحْوٍ أَرْبَعِينَ قَوْلًا:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ مِنَ الْمُشْكِلِ الَّذِي لَا يُدْرَى مَعْنَاهُ لِأَنَّ الْحَرْفَ يَصْدُقُ لُغَةً عَلَى حَرْفِ الْهِجَاءِ وَعَلَى الْكَلِمَةِ وَعَلَى الْمَعْنَى وَعَلَى الْجِهَةِ قَالَهُ ابْنُ سَعْدَانَ النَّحْوِيُّ.

الثاني: أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ بِالسَّبْعَةِ حَقِيقَةَ الْعَدَدِ بَلِ الْمُرَادُ التَّيْسِيرُ وَالتَّسْهِيلُ وَالسَّعَةُ وَلَفْظُ [السَّبْعَةِ] يُطْلَقُ عَلَى إِرَادَةِ الْكَثْرَةِ فِي الْآحَادِ كَمَا يُطْلَقُ السَّبْعُونَ فِي الْعَشَرَاتِ وَالسَّبْعُمِائَةِ فِي الْمِئِينَ وَلَا يُرَادُ الْعَدَدُ الْمُعَيَّنُ. وَإِلَى هَذَا جَنَحَ عِيَاضٌ وَمَنْ تَبِعَهُ وَيَرُدُّهُ مَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ (وآله) وَسَلَّمَ قَالَ: أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ،وَفِي حَدِيثِ أُبَيٍّ عِنْدَ مُسْلِمٍ: إِنَّ رَبِّي أَرْسَلَ إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ: أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي فَأَرْسَلَ إِلَيَّ: أَنْ أَقْرَأَ عَلَى حَرْفَيْنِ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ: أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي: فَأَرْسَلَ إِلَيَّ أَنِ اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ.

وَفِي لَفْظٍ عَنْهُ عِنْدَ النَّسَائِيِّ: إِنَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ أَتَيَانِي فَقَعَدَ جِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِي وَمِيكَائِيلَ عَنْ يَسَارِي فَقَالَ جِبْرِيلُ: اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَقَالَ مِيكَائِيلُ: اسْتَزِدْهُ.. حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ، وفي حديث أبي بكرة عنه: فَنَظَرْتُ إِلَى مِيكَائِيلَ فَسَكَتَ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ قَدِ انْتَهَتِ الْعِدَّةُ. فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى إِرَادَةِ حَقِيقَةِ الْعَدَدِ وَانْحِصَارِهِ.

الثالث: أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا سَبْعُ قِرَاءَاتٍ وَتُعُقِّبَ بِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ فِي الْقُرْآنِ كَلِمَةٌ تُقْرَأُ على سبعة أوجه إلا القليل مثل: {وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ} و{فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ} .

الرابع: وَأُجِيبَ بِأَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ تُقْرَأُ بِوَجْهٍ أَوْ وَجْهَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ أَوْ أَكْثَرَ إِلَى سَبْعَةٍ وَيُشْكِلُ عَلَى هَذَا أَنَّ فِي الْكَلِمَاتِ مَا قُرِئَ عَلَى أَكْثَرَ وهذا يصلُحُ أَنْ يَكُونَ قَوْلًا رابعًا.

الخامس: أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا الْأَوْجُهُ الَّتِي يَقَعُ فيها التَّغَايُرُ ذَكَرَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ قَالَ: فَأَوَّلُهَا مَا يَتَغَيَّرُ حَرَكَتُهُ وَلَا يزول معناه وصورته مثل: {وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ} بِالْفَتْحِ وَالرَّفْعِ.

وَثَانِيهَا مَايَتَغَيَّرُ بِالْفِعْلِ مِثْلُ: {بَاعَدَ} و{بَاعِدْ} بِلَفْظِ الْمَاضِي والطَّلَبِ. وَثَالِثُهَا مَايَتَغَيَّرُ بِالنَّقْطِ مثل: {نُنْشِزُهَا} و{نَنْشُرُهَا} .

ورابعُها مَا يَتَغَيَّرُ بِإِبْدَالِ حَرْفٍ قَرِيبِ الْمَخْرَجِ مثل: {طَلْحٍ مَنْضُودٍ} و{طَلْعٍ} .

وخامسُها ما يَتَغَيَّرُ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ مِثْلُ: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ} وسَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ.

وَسَادِسُهَا مَا يَتَغَيَّرُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ مِثْلَ: {وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى} والذكر وَالْأُنْثَى.

وَسَابِعُهَا مَا يَتَغَيَّرُ بِإِبْدَالِ كَلِمَةٍ بِأُخْرَى مِثْلُ: {كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ} وَكَالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ.

وَتَعَقَّبَ هَذَا قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ بِأَنَّ الرُّخْصَةَ وَقَعَتْ وَأَكْثَرُهُمْ يَوْمَئِذٍ لَا يَكْتُبُ وَلَا يَعْرِفُ الرَّسْمَ وَإِنَّمَا كَانُوا يَعْرِفُونَ الْحُرُوفَ وَمَخَارِجَهَا. وَأُجِيبَ بِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ تَوْهِينُ مَا قَالَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ الِانْحِصَارُ الْمَذْكُورُ فِي ذَلِكَ وَقَعَ اتِّفَاقًا وَإِنَّمَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ بِالِاسْتِقْرَاءِ.

السَّادِسُ: وَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ الرَّازِيُّ فِي اللوامح الْكَلَامُ لَا يَخْرُجُ عَنْ سَبْعَةِ أَوْجُهٍ: فِي الِاخْتِلَافِ.

الْأَوَّلُ: اخْتِلَافُ الْأَسْمَاءِ مِنْ إِفْرَادٍ وَتَثْنِيَةٍ وَجَمْعٍ وتذكير وتأنيث.

الثاني: اخْتِلَافُ تَصْرِيفِ الْأَفْعَالِ مِنْ مَاضٍ وَمُضَارِعٍ وَأَمْرٍ.

الثَّالِثُ: وُجُوهُ الْإِعْرَابِ.

الرَّابِعُ: النَّقْصُ وَالزِّيَادَةُ.

الْخَامِسُ: التَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيرُ.

السَّادِسُ: الْإِبْدَالُ.

السَّابِعُ: اخْتِلَافُ اللُّغَاتِ كَالْفَتْحِ وَالْإِمَالَةِ، وَالتَّرْقِيقِ وَالتَّفْخِيمِ، وَالْإِدْغَامِ وَالْإِظْهَارِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَهَذَا هُوَ الْقَوْلُ السَّادِسُ.

السَّابِعُ: وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْمُرَادُ بِهَا كَيْفِيَّةُ النُّطْقِ بِالتِّلَاوَةِ مِنْ إِدْغَامٍ وَإِظْهَارٍ وَتَفْخِيمٍ وَتَرْقِيقٍ وَإِمَالَةٍ وَإِشْبَاعٍ وَمَدٍّ وَقَصْرٍ وتشديد وتخفيف

وتليين وتحقيق. وَهَذَا هُوَ الْقَوْلُ السَّابِعُ.

الثامن: وَقَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ: قَدْ تَتَبَّعْتُ صحيح القراءة وَشَاذَّهَا وَضَعِيفَهَا وَمُنْكَرَهَا فَإِذَا هِيَ يَرْجِعُ اخْتِلَافُهَا إِلَى سَبْعَةِ أَوْجُهٍ لَا يَخْرُجُ عَنْهَا وَذَلِكَ: **إِمَّا** فِي الْحَرَكَاتِ بِلَا تَغَيُّرٍ فِي الْمَعْنَى والصورة نحو: {بِالْبُخْلِ} بِأَرْبَعَةٍ وَيُحْسَبُ بِوَجْهَيْنِ.

أَوْ مُتَغَيِّرٌ فِي الْمَعْنَى فَقَطْ نَحْوَ: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ} .

وَإِمَّا فِي الْحُرُوفِ بِتَغَيُّرِ الْمَعْنَى لَا الصُّورَةِ نحو: {تَبْلُو} وَ: {تَتْلُو} .

أَوْ عَكْسُ ذَلِكَ نَحْوُ: {الصِّرَاطَ} وَ: السِّرَاطَ.

أَوْ بتغيرهما نحو: {وَامْضُوا} واسعوا.

وَإِمَّا فِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ نَحْوُ: {فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ} .

أَوْ فِي الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ نَحْوُ: {وَصَّى} وَ أَوْصَى.

فَهذه سبْعَةٌ لَا يَخْرُجُ الاخْتِلَافُ عَنْهَا قَالَ: وَأَمَّا نَحْوُ اخْتِلَافِ الْإِظْهَارِ وَالْإِدْغَامِ وَالرَّوْمِ والإشمام والتحقيق وَالتَّسْهِيلِ وَالنَّقْلِ وَالْإِبْدَالِ فَهذا لَيْس مِنْ الاخْتِلَافِ الذي يتنوع فيه اللفظ أو المعنى لْأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْمُتَنَوِّعَةَ فِي أَدَائِهِ لَا تُخْرِجُهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَفْظًا وَاحِدًا. انْتَهَى.

ومِنْ أَمْثِلَةِ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ: {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ}، وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: عَلَى قَلْبِ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ.

التاسع: أَنَّ الْمُرَادَ سَبْعَةُ أَوْجُهٍ مِنَ الْمَعَانِي الْمُتَّفِقَةِ بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ نَحْوَ أَقْبِلْ وَتَعَالَ وَهَلُمَّ وَعَجِّلْ وَأَسْرِعْ وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ وابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ وَهْبٍ وَخَلَائِقُ. وَنَسَبَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ لِأَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ

وَيَدُلُّ لَهُ مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ أَنَّ جِبْرِيل قَالَ: يَا مُحَمَّدُ اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ قَالَ مِيكَائِيلُ: اسْتَزِدْهُ.. حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ، قَالَ: كُلٌّ شَافٍ كَافٍ ما لم تختم آيَةُ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ أَوْ رَحْمَةٌ بِعَذَابٍ نَحْوُ قَوْلِكَ: تَعَالَ وَأَقْبِلْ وَهَلُمَّ وَاذْهَبْ وَأَسْرِعْ وَعَجِّلْ. هَذَا اللَّفْظُ رِوَايَةُ أَحْمَدَ وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ.

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ أَيْضًا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ نَحْوَهُ وَعِنْدَ أَبِي دَاوُد عَنْ أُبَيٍّ: قُلْتُ: سَمِيعًا عَلِيمًا عَزِيزًا حَكِيمًا مَا لَمْ تَخْلِطْ آيَةُ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ.

وَعِنْدَ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ عَلِيمًا حَكِيمًا غَفُورًا رَحِيمًا، وَعِنْدَهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ: أَنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ صَوَابٌ مَا لَمْ تَجْعَلْ مَغْفِرَةً عَذَابًا أَوْ عَذَابًا مَغْفِرَةً . أَسَانِيدُهَا جِيَادٌ.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: إِنَّمَا أَرَادَ بِهَذَا ضَرْبَ الْمَثَلِ لِلْحُرُوفِ الَّتِي نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَيْهَا أَنَّهَا مَعَانٍ مُتَّفِقٌ مَفْهُومُهَا مُخْتَلِفٌ مَسْمُوعُهَا لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا مَعْنًى وَضِدُّهُ وَلَا وَجْهٌ يُخَالِفُ مَعْنَى وَجْهٍ خِلَافًا يَنْفِيهِ وَيُضَادُّهُ كَالرَّحْمَةِ الَّتِي هِيَ خِلَافُ الْعَذَابِ وَضِدُّهُ. ثُمَّ أَسْنَدَ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ: {كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ} مَرُّوا فِيهِ، سَعَوْا فِيهِ، وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقْرَأُ: {لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا} أَمْهِلُونَا أَخِّرُونَا.

قَالَ الطَّحَاوِيُّ: وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ رُخْصَةً لِمَا كَانَ يَتَعَسَّرُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهُمُ التِّلَاوَةُ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ لِعَدَمِ عِلْمِهِمْ بِالْكِتَابَةِ وَالضَّبْطِ وَإِتْقَانِ الْحِفْظِ ثُمَّ نُسِخَ بِزَوَالِ الْعُذْرِ وَتَيَسُّرِ الْكِتَابَةِ وَالْحِفْظِ. وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ

وَالْبَاقِلَّانِيُّ وَآخَرُونَ.

وَفِي فَضَائِلِ أَبِي عُبَيْدٍ مِنْ طَرِيقِ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ أقرأ رجلا: {إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ} فَقَالَ الرَّجُلُ: طَعَامُ الْيَتِيمِ، فَرَدَّهَا فَلَمْ يَسْتَقِمْ بِهَا لِسَانُهُ فَقَالَ: أتستطيع أَنْ تَقُولَ: طَعَامُ الْفَاجِرِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَافْعَلْ.

الْعَاشِرُ: أَنَّ الْمُرَادَ سَبْعُ لُغَاتٍ وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ أَبُو عُبَيْدٍ وثعلب والأزهري وَآخَرُونَ وَاخْتَارَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ وَصَحَّحَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ. وَتُعُقِّبَ بِأَنَّ لُغَاتِ الْعَرَبِ أَكْثَرُ مِنْ سَبْعَةٍ وَأُجِيبَ بِأَنَّ الْمُرَادَ أَفْصَحُهَا فَجَاءَ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعِ لُغَاتٍ مِنْهَا خَمْسٌ بِلُغَةِ الْعَجُزِ مِنْ هَوَازِنَ قَالَ وَالْعَجُزُ: سَعْدُ بْنُ بكر وجشم بن بَكْرٍ وَنَصْرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ وَثَقِيفٌ وَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ مِنْ هَوَازِنَ وَيُقَالُ لَهُمْ: عُلْيَا هَوَازِنَ وَلِهَذَا قَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ: أَفْصَحُ الْعَرَبِ عُلْيَا هَوَازِنَ وَسُفْلَى تَمِيمٍ - يعْنِي بَنِي دَارِمٍ.

وَأَخْرَجَ أَبُو عُبَيْدٍ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلُغَةِ الْكَعْبِيِّينَ: كَعْبِ قُرَيْشٍ وَكَعْبِ خُزَاعَةَ قِيلَ: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: لِأَنَّ الدَّارَ واحدةٌ - يعْنِي أَنَّ خُزَاعَةَ كَانُوا جِيرَانَ قُرَيْشٍ فَسَهُلَتْ عَلَيْهِمْ لُغَتُهُمْ.

وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ السِّجِسْتَانِيُّ: نَزَلَ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ وَهُذَيْلٍ وَتَمِيمٍ وَالْأَزْدِ وربيعة وهوازن وَسَعْدِ بْنِ بَكْرٍ وَاسْتَنْكَرَ ذَلِكَ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَقَالَ: لَمْ يَنْزِلِ الْقُرْآنُ إِلَّا بِلُغَةِ قُرَيْشٍ وَاحْتَجَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ} فَعَلَى هَذَا تَكُونُ اللُّغَاتُ السَّبْعُ فِي بُطُونِ قُرَيْشٍ وَبِذَلِكَ

جَزَمَ أَبُو عَلِيٍّ الْأَهْوَازِيُّ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: لَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ تُقْرَأُ عَلَى سَبْعِ لُغَاتٍ بَلِ اللُّغَاتُ السَّبْعُ مُفَرَّقَةٌ فِيهِ فَبَعْضُهُ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ وَبَعْضُهُ بِلُغَةِ هُذَيْلٍ وَبَعْضُهُ بِلُغَةِ هَوَازِنَ وَبَعْضُهُ بِلُغَةِ الْيَمَنِ وَغَيْرِهِمْ قَالَ وَبَعْضُ اللغات أسعد بها مِنْ بَعْضٍ وَأَكْثَرُ نَصِيبًا.

وَقِيلَ: نَزَلَ بِلُغَةِ مُضَرَ خَاصَّةً لِقَوْلِ عُمَرَ: نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلُغَةِ مُضر.

وَعَيَّنَ بَعْضُهُمْ فِيمَا حَكَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ السَّبْعَ مِنْ مُضَرَ أَنَّهُمْ: هُذَيْلٌ وَكِنَانَةُ وَقَيْسٌ وَضَبَّةُ وَتَيْمُ الرِّبَابِ وَأَسَدُ بْنُ خُزَيْمَةَ وَقُرَيْشٌ فَهَذِهِ قَبَائِلُ مُضَرَ، تَسْتَوْعِبُ سَبْعَ لُغَاتٍ.

وَنَقَلَ أَبُو شَامَةَ عَنْ بَعْضِ الشُّيُوخِ أَنَّهُ قَالَ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ أَوَّلًا بِلِسَانِ قُرَيْشٍ وَمَنْ جَاوَرَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ الْفُصَحَاءِ ثُمَّ أُبِيحَ لِلْعَرَبِ أَنْ يقرؤوه بِلُغَاتِهِمُ الَّتِي جَرَتْ عَادَتُهُمْ بِاسْتِعْمَالِهَا على اخْتِلَافِهِمْ فِي الْأَلْفَاظِ وَالْإِعْرَابِ وَلَمْ يكلف أحد مِنْهُمُ الِانْتِقَالُ عَنْ لُغَتِهِ إِلَى لُغَةٍ أُخْرَى لِلْمَشَقَّةِ وَلِمَا كَانَ فِيهِمْ مِنَ الْحَمِيَّةِ وَلِطَلَبِ تَسْهِيلِ فَهْمِ الْمُرَادِ.

وَزَادَ غَيْرُهُ أَنَّ الْإِبَاحَةَ الْمَذْكُورَةَ لَمْ تَقَعْ بِالتَّشَهِّي بِأَنْ يُغَيِّرَ كُلُّ أَحَدٍ الْكَلِمَةَ بِمُرَادِفِهَا فِي لُغَتِهِ بَلِ الْمَرْعِيُّ فِي ذَلِكَ السَّمَاعُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ (وآله) وَسَلَّمَ.

وَاسْتُشْكِلَ بَعْضُهُمْ هَذَا بِأَنَّهُ يَلْزَمُ عَلَيْهِ أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَلْفِظُ بِاللَّفْظِ الْوَاحِدِ سَبْعَ مَرَّاتٍ! وَأُجِيبَ بِأَنَّهُ إِنما يَلْزَمُ هَذَا لَوِ اجْتَمَعَتِ الْأَحْرُفُ السَّبْعَةُ فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ وَنَحْنُ قُلْنَا كَانَ جِبْرِيلُ يَأْتِي فِي كُلٍّ

عَرْضَةٍ بِحَرْفٍ إِلَى أَنْ تَمَّتْ سَبْعَةً.

وَبَعْدَ هَذَا كُلِّهِ رد هذا الْقَوْلُ بِأَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ كِلَاهُمَا قُرَشِيٌّ مِن لغة واحدة وقبيلة وَاحِدَةٍ وَقَدِ اخْتَلَفَتْ قِرَاءَتُهُمَا وَمُحَالٌ أَنْ يُنْكِرَ عَلَيْهِ عُمَرُ لُغَتَهُ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَحْرُفِ السبعة غير اللغات.

الْحَادِي عَشَرَ: أَنَّ الْمُرَادَ سَبْعَةُ أَصْنَافٍ وَالْأَحَادِيثُ السَّابِقَةُ تَرُدُّهُ وَالْقَائِلُونَ بِهِ اخْتَلَفُوا فِي تَعْيِينِ السَّبْعَةِ. فَقِيلَ: أَمْرٌ وَنَهْيٌ وَحَلَالٌ وَحَرَامٌ وَمُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ وَأَمْثَالٌ وَاحْتَجُّوا بِمَا أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ (وآله) وَسَلَّمَ، قَالَ: كَانَ الْكِتَابُ الْأَوَّلُ يَنْزِلُ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ عَلَى سَبْعَةِ أحرف زاجر وآمر وحلال وَحَرَامٌ وَمُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ وَأَمْثَالٌ.. الْحديث.

وَقَدْ أَجَابَ عَنْهُ قَوْمٌ بِأَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ بِالْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا فِي الْأَحَادِيثِ الْأُخْرَى لِأَنَّ سِيَاقَ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ يَأْبَى حَمْلَهَا عَلَى هذا بل هي ظاهره فِي أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ الْكَلِمَةَ تُقْرَأُ عَلَى وَجْهَيْنِ وَثَلَاثَةٍ إِلَى سَبْعَةِ تَيْسِيرًا وَتَهْوِينًا وَالشَّيْءُ الْوَاحِدُ لَا يَكُونُ حَلَالًا وَحَرَامًا فِي آيَةٍ واحدة.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: الْمُرَادُ بِالسَّبْعَةِ الْأَحْرُفِ هُنَا الْأَنْوَاعُ الَّتِي نَزَلَ عَلَيْهَا وَالْمُرَادُ بِهَا فِي تِلْكَ الْأَحَادِيثِ اللُّغَاتُ الَّتِي يُقْرَأُ بِهَا.

وَقَالَ غَيْرُهُ: مِنْ أول الأحرف السبعة بِهَذَا فَهُوَ فَاسِدٌ لِأَنَّهُ مُحَالٌ أَنْ

يَكُونَ الْحَرْفُ مِنْهَا حَرَامًا لا ما سواه أو حلالا لا مَا سِوَاهُ وَلِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ يُقْرَأُ عَلَى أَنَّهُ حَلَالٌ كُلُّهُ أَوْ حَرَامٌ كُلُّهُ أَوْ أَمْثَالٌ كُلُّهُ.

وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: هَذَا الْقَوْلُ ضَعِيفٌ لِأَنَّ الْإِجْمَاعَ عَلَى أَنَّ التَّوْسِعَةَ لَمْ تَقَعْ فِي تَحْرِيمِ حَلَالٍ وَلَا تَحْلِيلِ حَرَامٍ وَلَا فِي تَغْيِيرِ شَيْءٍ مِنَ الْمَعَانِي الْمَذْكُورَةِ.

وَقَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: هَذَا الْقَوْلُ خَطَأٌ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ (وآله) وَسَلَّمَ أَشَارَ إِلَى جَوَازِ الْقِرَاءَةِ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْحُرُوفِ وَإِبْدَالِ حَرْفٍ بِحَرْفٍ وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى تَحْرِيمِ إِبْدَالِ آيَةِ أَمْثَالٍ بِآيَةِ أَحْكَامٍ.

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْأَهْوَازِيُّ وأبو العلاء الهمذاني: قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ: زَاجِرٌ وَآمِرٌ .. إِلَخْ. اسْتِئْنَافُ كَلَامٍ آخَرَ أَيْ هُوَ زَاجِرٌ أَيِ الْقُرْآنُ وَلَمْ يُرِدْ بِهِ تَفْسِيرُ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ وَإِنَّمَا تَوَهَّمَ ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ الِاتِّفَاقِ فِي الْعَدَدِ وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ فِي بَعْضِ طُرُقِهِ زَجْرًا وَأَمْرًا - بِالنَّصْبِ - أَيْ نَزَلَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ فِي الْأَبْوَابِ السَّبْعَةِ.

وَقَالَ أَبُو شَامَةَ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ التَّفْسِيرُ الْمَذْكُورُ لِلْأَبْوَابِ لَا لِلْأَحْرُفِ أَيْ هِيَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْكَلَامِ وَأَقْسَامِهِ أَيْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأَصْنَافِ لَمْ يَقْتَصِرْ مِنْهَا عَلَى صِنْفٍ وَاحِدٍ كَغَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ.

الثاني عشر: وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهَا الْمُطْلَقُ وَالْمُقَيَّدُ وَالْعَامُّ والخاص والنص والمؤول وَالنَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ وَالْمُجْمَلُ وَالْمُفَسَّرُ وَالِاسْتِثْنَاءُ وَأَقْسَامُهُ حَكَاهُ شَيْذَلَةُ عَنِ الْفُقَهَاءِ وَهَذَا هُوَ الْقَوْلُ الثَّانِي عَشَرَ.

الثالث عشر: وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهَا الْحَذْفُ وَالصِّلَةُ وَالتَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيرُ

وَالاسْتِعَارَةُ وَالتَّكْرَارُ وَالْكِنَايَةُ وَالْحَقِيقَةُ وَالْمَجَازُ وَالْمُجْمَلُ وَالْمُفَسَّرُ وَالظَّاهِرُ وَالْغَرِيبُ حَكَاهُ عَنْ أَهْلِ اللُّغَةِ وَهَذَا هُوَ الْقَوْلُ الثَّالِثُ عَشَرَ.

الرَّابِعَ عَشَرَ: وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهَا التَّذْكِيرُ وَالتَّأْنِيثُ وَالشَّرْطُ وَالْجَزَاءُ وَالتَّصْرِيفُ وَالْإِعْرَابُ وَالْأَقْسَامُ وَجَوَابُهَا وَالْجَمْعُ وَالْإِفْرَادُ وَالتَّصْغِيرُ وَالتَّعْظِيمُ وَاخْتِلَافُ الْأَدَوَاتِ حَكَاهُ عَنِ النُّحَاةِ وَهَذَا هُوَ الرَّابِعَ عَشَرَ.

الْخَامِسَ عَشَرَ: وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهَا سَبْعَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْمُعَامَلَاتِ الزُّهْدُ وَالْقَنَاعَةُ مَعَ الْيَقِينِ وَالْجَزْمِ وَالْخِدْمَةُ مَعَ الْحَيَاءِ وَالْكَرَمِ وَالْفُتُوَّةُ مَعَ الْفَقْرِ وَالْمُجَاهَدَةِ وَالْمُرَاقَبَةُ مَعَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالِاسْتِغْفَارُ مَعَ الرِّضَا وَالشُّكْرِ وَالصَّبْرُ مَعَ الْمُحَاسَبَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالشَّوْقُ مَعَ الْمُشَاهَدَةِ. حَكَاهُ عَنِ الصُّوفِيَّةِ وَهَذَا هُوَ الْخَامِسَ عشر.

السَّادِسَ عَشَرَ: أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا سَبْعَةُ عُلُومٍ: عِلْمُ الْإِنْشَاءِ وَالْإِيجَادِ وَعِلْمُ التَّوْحِيدِ وَالتَّنْزِيهِ وَعِلْمُ صِفَاتِ الذَّاتِ وَعِلْمُ صِفَاتِ الْفِعْلِ وَعِلْمُ الْعَفْوِ وَالْعَذَابِ وَعِلْمُ الْحَشْرِ وَالْحِسَابِ وَعِلْمُ النُّبُوَّاتِ.

وَقَالَ ابْنُ حجر: ذَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ عَنِ ابْنِ حِبَّانَ أَنَّهُ بَلَغَ الِاخْتِلَافُ فِي الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ إِلَى خَمْسَةٍ وَثَلَاثِينَ قَوْلًا وَلَمْ يَذْكُرِ الْقُرْطُبِيُّ مِنْهَا سِوَى خَمْسَةٍ وَلَمْ أَقِفْ عَلَى كَلَامِ ابْنِ حِبَّانَ فِي هَذَا بَعْدَ تَتَبُّعِي مَظَانَّهُ.

قُلْتُ: قَدْ حَكَاهُ ابْنُ النَّقِيبِ فِي مُقَدِّمَةِ تَفْسِيرِهِ عَنْهُ بِوَاسِطَةِ الشَّرَفِ الْمُزْنِيِّ الْمُرْسِيِّ فَقَالَ: قَالَ ابْنُ حِبَّانَ.

اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي مَعْنَى الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ عَلَى خَمْسَةٍ وَثَلَاثِينَ قَوْلًا.

فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ:

الاول: هِيَ زَجْرٌ وَأَمْرٌ وَحَلَالٌ وَحَرَامٌ وَمُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ وَأَمْثَالٌ.

الثاني: حَلَالٌ وَحَرَامٌ وَأَمْرٌ وَنَهْيٌ وَزَجْرٌ وَخَبَرٌ مَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدُ وَأَمْثَالٌ.

الثالث: وَعْدٌ وَوَعِيدٌ وَحَلَالٌ وَحَرَامٌ وَمَوَاعِظُ وَأَمْثَالٌ وَاحْتِجَاجٌ.

الرابع: أَمْرٌ وَنَهْيٌ وَبِشَارَةٌ وَنِذَارَةٌ وَأَخْبَارٌ وَأَمْثَالٌ.

الخامس: مُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ وَنَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ وَخُصُوصٌ وَعُمُومٌ وَقَصَصٌ.

السادس: أَمْرٌ وَزَجْرٌ وَتَرْغِيبٌ وَتَرْهِيبٌ وَجَدَلٌ وَقَصَصٌ وَمَثَلٌ.

السابع: أَمْرٌ وَنَهْيٌ وَحَدٌّ وَعِلْمٌ وَسِرٌّ وَظَهْرٌ وَبَطْنٌ.

الثامن: نَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ وَوَعْدٌ وَوَعِيدٌ وَرَغْمٌ وَتَأْدِيبٌ وَإِنْذَارٌ.

التاسع: حَلَالٌ وَحَرَامٌ وَافْتِتَاحٌ وَأَخْبَارٌ وَفَضَائِلُ وَعُقُوبَاتٌ.

العاشر: أَوَامِرُ وَزَوَاجِرُ وَأَمْثَالٌ وَأَنْبَاءٌ وَعِتَبٌ وَوَعْظٌ وَقَصَصٌ.

الحادي عشر: حَلَالٌ وَحَرَامٌ وَأَمْثَالٌ وَمَنْصُوصٌ وَقَصَصٌ وَإِبَاحَاتٌ.

الثاني عشر: ظَهْرٌ وَبَطْنٌ وَفَرْضٌ وَنَدْبٌ وَخُصُوصٌ وَعُمُومٌ وَأَمْثَالٌ.

الثالث عشر: أَمْرٌ وَنَهْيٌ وَوَعْدٌ وَوَعِيدٌ وَإِبَاحَةٌ وَإِرْشَادٌ وَاعْتِبَارٌ.

الرابع عشر: مُقَدَّمٌ وَمُؤَخَّرٌ وَفَرَائِضُ وَحُدُودٌ وَمَوَاعِظُ وَمُتَشَابِهٌ وَأَمْثَالٌ.

الخامس عشر: مُفَسَّرٌ وَمُجْمَلٌ وَمَقْضِيٌّ وَنَدْبٌ وَحَتْمٌ وَأَمْثَالٌ.

السادس عشر: أَمْرُ حَتْمٍ وَأَمْرُ نَدْبٍ وَنَهْيُ حَتْمٍ وَنَهْيُ نَدْبٍ وَأَخْبَارٌ وَإِبَاحَاتٌ.

السَابِعَ عَشَرَ: أَمْرُ فَرْضٍ وَنَهْيُ حَتْمٍ وَأَمْرُ نَدْبٍ وَنَهْيُ مُرْشِدٍ وَوَعْدٌ وَوَعِيدٌ وَقَصَصٌ.

الثَامِنَ عَشَرَ: سَبْعُ جِهَاتٍ لَا يَتَعَدَّاهَا الْكَلَامُ لَفْظٌ خَاصٌّ أُرِيدَ بِهِ الْخَاصُّ وَلَفْظٌ عَامٌّ أُرِيدَ بِهِ الْعَامُّ وَلَفْظٌ عَامٌّ أُرِيدَ بِهِ الْخَاصُّ وَلَفْظٌ خَاصٌّ أُرِيدَ بِهِ الْعَامُّ ولفظ يستغنى بِتَنْزِيلِهِ عَنْ تَأْوِيلِهِ وَلَفْظٌ لَا يَعْلَمُ فِقْهَهُ إِلَّا الْعُلَمَاءُ وَلَفْظٌ لَا يَعْلَمُ مَعْنَاهُ إِلَّا الرَّاسِخُونَ.

التَاسِعَ عَشَرَ: إِظْهَارُ الرُّبُوبِيَّةِ وَإِثْبَاتُ الْوَحْدَانِيَّةِ وَتَعْظِيمُ الْأُلُوهِيَّةِ وَالتَّعَبُّدُ لِلَّهِ وَمُجَانَبَةُ الْإِشْرَاكِ وَالتَّرْغِيبُ فِي الثَّوَابِ وَالتَّرْهِيبُ مِنَ الْعِقَابِ.

الْعِشْرُونَ: سَبْعُ لُغَاتٍ مِنْهَا خَمْسٌ مِنْ هَوَازِنَ وَاثْنَتَانِ لِسَائِرِ الْعَرَبِ.

الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ: سَبْعُ لُغَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ لِجَمِيعِ الْعَرَبِ كُلُّ حَرْفٍ مِنْهَا لِقَبِيلَةٍ مَشْهُورَةٍ.

الثَانِي وَالْعِشْرُونَ: سَبْعُ لُغَاتٍ أَرْبَعٌ لِعَجُزِ هَوَازِنَ سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ وجشم بن بكر ونصر بن مُعَاوِيَةَ وَثَلَاثٌ لِقُرَيْشٍ.

الثَالِثَ وَالْعِشْرُونَ: سَبْعُ لُغَاتٍ لُغَةُ قُرَيْشٍ وَلُغَةٌ لِلْيَمَنِ وَلُغَةٌ لِجُرْهُمَ وَلُغَةٌ لِهوازن ولُغَةٌ لِقُضَاعَةَ وَلُغَةٌ لِتَمِيمٍ وَلُغَةٌ لِطيء.

الرَابِعَ وَالْعِشْرُونَ: لُغَةُ الْكَعْبِيِّينَ كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو كعب بْنِ لُؤَيٍّ وَلَهُمَا سَبْعُ لُغَاتٍ.

الْخَامِسَ وَالْعِشْرُونَ: اللُّغَاتُ الْمُخْتَلِفَةُ لِأَحْيَاءِ الْعَرَبِ فِي مَعْنًى وَاحِدٍ مِثْلُ هَلُمَّ وَهَاتِ وَتَعَالَ وَأَقْبِلْ.

السادس والعشرون: سَبْعُ قِرَاءَاتٍ لِسَبْعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ .

السابع والعشرون: هَمْزٌ وَإِمَالَةٌ وَفَتْحٌ وَكَسْرٌ وَتَفْخِيمٌ وَمدٌّ وَقَصْرٌ.

الثامن والعشرون: تَصْرِيفٌ وَمَصَادِرُ وَعَرُوضٌ وَغَرِيبٌ وَسَجْعٌ وَلُغَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ كُلُّهَا فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ.

التاسع والعشرون: كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تُعْرَبُ بِسَبْعَةِ أَوْجُهٍ حَتَّى يَكُونَ الْمَعْنَى وَاحِداً وَإِنِ اختلف اللفظ فيه.

الثلاثون: أُمَّهَاتُ الْهِجَاءِ الْأَلِفُ وَالْبَاءُ وَالْجِيمُ وَالدَّالُ وَالرَّاءُ وَالسِّينُ وَالْعَيْنُ لِأَنَّ عَلَيْهَا تَدُورُ جَوَامِعُ كَلَامِ الْعَرَبِ.

الْحَادِي وَالثلاثون: أَنَّهَا فِي أَسْمَاءِ الرَّبِّ مِثْلُ الْغَفُورِ الرَّحِيمِ السَّمِيعِ الْبَصِيرِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ.

الثاني والثلاثون: هِيَ آيَةٌ فِي صِفَاتِ الذات آية تَفْسِيرُهَا فِي آيَةٍ أُخْرَى وَآيَةٌ بَيَانُهَا فِي السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ وَآيَةٌ فِي قِصَّةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَآيَةٌ فِي خَلْقِ الْأَشْيَاءِ وَآيَةٌ فِي وَصْفِ الْجَنَّةِ وَآيَةٌ فِي وَصْفِ النَّارِ.

الثالث والثلاثون: آية فِي وَصْفِ الصَّانِعِ وَآيَةٌ فِي إِثْبَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ لَهُ وَآيَةٌ فِي إِثْبَاتِ صِفَاتِهِ وَآيَةٌ فِي إِثْبَاتِ رُسُلِهِ وَآيَةٌ فِي إِثْبَاتِ كُتُبِهِ وَآيَةٌ فِي إِثْبَاتِ الْإِسْلَامِ وَآيَةٌ فِي نَفْيِ الْكُفْرِ.

الرابع والثلاثون: سَبْعُ جِهَاتٍ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ لِلَّهِ الَّتِي لَا يَقَعُ عَلَيْهَا التَّكْيِيفُ.

الْخامس والثلاثون: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَمُبَايَنَةُ الشِّرْكِ وَإِثْبَاتُ الْأَوَامِرِ

وَمُجَانَبَةُ الزَّوَاجِرِ وَالثَّبَاتُ عَلَى الْإِيمَانِ وَتَحْرِيمُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ.

قَالَ ابْنُ حِبَّانَ: فَهَذِهِ خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ قَوْلًا لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَاللُّغَةِ فِي مَعْنَى إِنْزَالِ الْقُرْآنِ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ وَهِيَ أَقَاوِيلُ يُشْبِهُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَكُلُّهَا مُحْتَمَلَةٌ وَتَحْتَمِلُ غَيْرَهَا.

وَقَالَ الْمُرْسِيُّ: هَذِهِ الْوُجُوهُ أَكْثَرُهَا مُتَدَاخِلَةٌ وَلَا أَدْرِي مُسْتَنَدَهَا وَلَا عَمَّنْ نُقِلَتْ وَلَا أَدْرِي لِمَ خَصَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ هَذِهِ الْأَحْرُفَ السَّبْعَةَ بِمَا ذَكَرَ مَعَ أَنَّ كُلَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي الْقُرْآنِ فَلَا أَدْرِي مَعْنَى التخصيص! وفيها أشياء لَا أَفْهَمُ مَعْنَاهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ وَأَكْثَرُهَا يُعَارِضُهُ حَدِيثُ عُمَرَ مَعَ هِشَامِ بْنِ حَكِيمٍ الَّذِي فِي الصَّحِيحِ فَإِنَّهُمَا لَمْ يَخْتَلِفَا فِي تَفْسِيرِهِ وَلَا أَحْكَامِهِ إِنَّمَا اخْتَلَفَا فِي قِرَاءَةِ حُرُوفِهِ وَقَدْ ظَنَّ كَثِيرٌ مِنَ الْعَوَامِّ أَنَّ الْمُرَادَ بها القراءات السبعة وهو جهل قبيح[1].

بَقِيَ شَيْءٌ لَا بُدَّ مِنْ ذِكْرِهِ

لنرى هل الأحرف السبعة حسب مروياتهم هي سبعة فقط أم أن هناك أحاديث متضاربة بهذا الشأن ؟

رواية نزول القران على حرف واحد

جاء في كنز العمال للمتقي الهندي: ابن منيع عن سليمان بن صرد

(١) الاتقان في علوم القران للسيوطي النوع السادس عشر في كيفية انزاله المسألة الثالثة في الاحرف السبعة التي نزل القران عليها: ١: ١٤٦ - ١٧٨.

أتاني جبريل فقال: اقرأ القرآن على حرفٍ واحد [١].

رواية نزول القران على ثلاثة احرف

جاء في المستدرك على الصحيحين: عن سمرة عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: أنزل القرآن على ثلاثة أحرف[٢].

وعلّق عليه الحاكم بـ (قد احتج البخاري برواية الحسن عن سمرة واحتج مسلم بأحاديث حماد بن سلمة وهذا الحديث صحيح وليس له علّة).

وفي كنز العمال: ابن الضريس عن سمرة: أنزل القرآن على ثلاثة أحرف فلا تختلفوا فيه، ولا تحاجوا فيه فإنه مبارك كله فاقرؤوه كالذي أقريتموه [٣].

رواية نزول القران على اربعة احرف

جاء في كنز العمال: أنزل القرآن على أربعة أحرف: حلالٌ وحرام، لا يعذر أحد بالجهالة به، وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء، ومتشابه لا يعلمه إلا الله، ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب [٤].

---

(١) كنز العمال ج٢ ص ٥٤ ح٣٠٩٠.

(٢) المستدرك على الصحيحين ج٢ ص ٢٣٣. و مسند أحمد ج٥ ص ٢٢.

(٣) كنز العمال ج٢ ص ٥٣ ح٣٠٨٨ و ح٣٠٨٧ (حم، طب، ك عن سمرة).

(٤) كنز العمال ج٢ ص ٥٥ ح ٣٠٩٧ (ابن جرير وأبو نصر السجزي عن ابن ←

رواية نزول القران على خمسة احرف

جاء في تفسير الطبري: عن عبد الله بن مسعود قال: إن الله أنزل القرآن على خمسة أحرف: حلالٌ وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحل الحلال وحرّم الحرام واعمل بالمحكم وآمن بالمتشابه واعتبر بالأمثال[١].

رواية نزول القران على سبعة احرف

جاء في صحيح البخاري ومسلم: عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأها وكان رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم أقرأنيها، وكدت أعجل عليه ثم أمهلته حتى انصرف ثم لببته بردائه فجئت به رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم فقلت: إني سمعت هذا يقرأ على غير ما أقرأتنيها، فقال لي: أرسله . ثم قال له: أقرأ، فقرأ . قال: هكذا أنزلت، ثم قال لي: اقرأ . فقرأت، فقال: هكذا

→

عباس وقال ابن جرير: في إسناده نظر . ورواه ابن جرير وابن المنذر وابن الأنباري في الوقف عن ابن عباس).

(١) تفسير الطبري ج١ ص ٢٤ ط دار الحديث.

أنزلت، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر [١].

رواية نزول القران على عشرة احرف

جاء في كنز العمال: أنزل القرآن على عشرة أحرف، بشير ونذير وناسخ ومنسوخ وعظة ومثل وحكم ومتشابه وحلال وحرام [٢].

تحقيق الكلام في مدرسة اهل البيت

من التابعين وتابعي التابعين قولا وفعلا النبي الاعظم صلى الله عليه وآله والمقتدين بائمة الهدى المعصومين اعلام الورى الذين اذهب الله تعالى الرجس وطهرهم تطهيرا وانتجبهم على العالمين جميعا عليهم افضل الصلاة واتم التسليم.

(١)ـ قال شيخ الطائفة الطوسي رحمه الله في التبيان: واعلموا أن العرف من مذهب أصحابنا والشائع من أخبارهم ورواياتهم: أن القرآن نزل بحرف واحد على نبي واحد[٣] .

(٢)ـ الشيخ الطبرسي رحمه الله في مجمع البيان: الظاهر من مذهب الامامية أنهم أجمعوا على القراءة المتداولة وكرهوا تجريد قراءة مفردة والشائع في أخبارهم أن القرآن نزل بحرف واحد[٤].

---

(١) صحيح مسلم باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف.

(٢) كنز العمال ج٢ ص ١٦ ح ٢٩٥٦.

(٣) التبيان في تفسير القرآن ج١ص٧.

(٤) مجمع البيان ج١ص٧٩.

(٣)ـ قال المولى الفيض الكاشاني رحمه الله في تفسير الصافي: والتوفيق بين الروايات كلها أن يقال: إن القرآن سبعة أقسام من الآيات وسبعة بطون لكل آية ونزل على سبع لغات. وأما حمل الحديث على سبعة أوجه من القراءات، ثم التكلّف في تقسيم وجوه القراءات على هذا العدد فلا وجه له، مع أنه يكذبه ما رواه في الكافي باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن القرآن واحد نزل من عند الواحد ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة .

وبإسناده عن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الناس يقولون: إن القرآن نزل على سبعة أحرف. فقال: كذبوا أعداء الله ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد.

ومعنى هذا الحديث معنى سابقه، والمقصود منهما واحد وهو: أن القراءة الصحيحة واحدة، إلا أنه عليه السلام لما علم أنهم فهموا من الحديث الذي رووه صحة القراءات جميعاً مع اختلافها كذَّبَهُم. وعلى هذا فلا تنافي بين هذين الحديثين وشيء من أحاديث الأحرف [١] .

قال المحقق الهمداني رضوان الله تعالى عليه في مصباح الفقيه: والحق انه لم يتحقق أن النبي صلى الله عليه وآله قرء شيئا من القرآن بكيفيات مختلفة بل ثبت خلافه فيما كان الاختلاف في المادة أو الصورة النوعية التي يؤثر تغييرها في انقلاب ماهية الكلام عرفا كما في

---

(١) انظر تفسير الصافي للفيض الكاشاني الجزء الاول المقدمة الثامنة.

ضم التاء من أنعمت ضرورة أن القرآن واحد نزل من عند الواحد كما نطق به الأخبار المعتبرة المروية عن أهل بيت الوحي والتنزيل مثل ما رواه ثقة الإسلام الكليني .

ولعل المراد بتكذيبهم تكذيبهم بالنظر إلى ما أرادوه من هذا القول مما يوجب تعدد القرآن و إلا فالظاهر كون هذه العبارة صادرة عن النبي صلى الله عليه وآله بل قد يدعى تواتره ولكن أعداء الله حرفوها عن موضعها وفسروها بآرائهم مع أن في بعض رواياتهم إشارة إلى أن المراد بالأحرف أقسامه ومقاصده (وهذا القول لا يمس كرامة القرآن بأي وجه كان، وهو عين القسم الآخر من الروايات غير القراءة بالمعنى) فانهم على ما حكى عنهم رووا عنه صلى الله عليه وآله انه قال نزل القرآن على سبعة أحرف أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل ويؤيده ما روي من طرقنا عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال إن الله تبارك وتعالى انزل القرآن على سبعة أقسام كل قسم منها كاف شاف وهي أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل ومثل وقصص.

وربما يظهر من بعض أخبارنا أن الأحرف إشارة إلى بطون القرآن وتأويلاته مثل ما عن الصدوق في الخصال بإسناده عن حماد قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام إن الأحاديث تختلف منكم فقال إن القرآن نزل على سبعة أحرف و أدنى ما للإمام أن يفتي على سبعة وجوه ثم

قال و {هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}[١].

وقال العلامة السيد الطباطبائي رحمه الله في الميزان: فالمتعيّن حمل السبعة أحرف على أقسام الخطاب وأنواع البيان، وهي سبعة على وحدتها في الدعوة إلى الله وإلى صراطه المستقيم، ويمكن أن يستفاد من هذه الروايات حصر أصول المعارف الإلهية في الأمثال، فإن بقية السبعة لا تلائمها إلا بنوع من العناية على ما لا يخفى[٢].

لا يخفى أن معنى الأحرف السبعة هنا غير المعنى الذي هو جواز تلاعب القارئ في مفردات القرآن حسب ما يشتهيه القارئ على ألا يختم آية الرحمة بالعذاب وبالعكس.

قال السيد الخوئي رحمه الله في البيان: إن جميع ما ذكر لها - الأحرف السبعة - من معاني أجنبي عن مورد الروايات.. وعلى هذا فلا بد من طرح الروايات، لأن الالتزام بمفادها غير ممكن. والدليل على ذلك :

أولا: إن هذا إنما يتم في بعض معاني القرآن التي يمكن أن يُعبّر عنها بألفاظ سبعة متقاربة. ومن الضروري أن أكثر القرآن لا يتم فيه ذلك، فكيف تتصور هذه الحروف السبعة التي نزل بها القرآن؟

ثانيا: إن المراد من هذا الوجه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) سورة ص:٣٩. انظر: مصباح الفقيه ج٢ ص ٢٧٥.

(٢) الميزان ج٣ ص ٧٤.

قد جوّز تبديل كلمات القرآن الموجودة بكلمات أخرى تقاربها في المعنى - وشهد لهذا بعض الروايات المتقدمة- فهذا الاحتمال يوجب هدم أساس القرآن، المعجزة الأبدية، والحجة على جميع البشر، ولا يشك عاقل في أن ذلك يقتضي هجر القرآن المنزل و عدم الاعتناء بشأنه. وهل يتوهم عاقل ترخيص النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقرأ قارئ (يس، والذكر العظيم، وإنك لمن الأنبياء، على طريق سويّ، إنزال الحميد الكريم، لتخوّف قوماً ما خوّف أسلافهم فهم ساهون)، فلتقرّ عيون المجوّزين لذلك.

سبحانك اللهم إنْ هذا إلا بهتان عظيم. وقد قال الله تعالى: {مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاّ مَا يُوحَى إِلَيَّ }[1]. وإذا لم يكن للنبي أن يبدّل القرآن من تلقاء نفسه، فكيف يجوّز ذلك لغيره؟ وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علّم البراء بن عازب دعاءً كان فيه: (ونبيك الذي أرسلت) فقرأ البراء (ورسولك الذي أرسلت) فأمره صلى الله عليه وآله وسلم لا يضع الرسول موضع النبي. فإذا كان هذا في الدعاء، فماذا يكون الشأن في القرآن؟ وإن كان المراد من الوجه المتقدم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ على الحروف السبعة ويشهد لهذا كثير من الروايات المتقدمة فلا بد للقائل بهذا أن يدلّ على هذه الحروف السبعة التي قرأ بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) يونس: ١٥.

لأن الله سبحانه قد وعد بحفظ ما أنزله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[١].

وخلاصة الكلام: إن بشاعة هذا القول تغني عن التكلف عن ردّه، وهذه هي العمدة في رفض المتأخرين من علماء السنة لهذا القول. ولأجل ذلك قد التجأ بعضهم كأبي جعفر محمد بن سعدان النحوي، والحافظ جلال الدين السيوطي إلى القول بأن هذه الروايات من المشكل والمتشابه، وليس يدري ما هو مفادها مع أنك قد عرفت أن مفادها أمر ظاهر، ولا يشك فيه الناظر إليها، كما ذهب إليه و اختاره أكثر العلماء[٢].

كيف وقد قال الله تعالى {قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ}.

رواية الطبري

ما رواه ابن جرير الطبري في مقدمة تفسيره عن أنس بن عياض عن أبي حازم عن أبي سلمة قال: لا أعلمه إلا عن أبي هريرة، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: انزل القرآن على سبعة أحرف فالمراء فيه كفر - ثلاث مرات - فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه

---

(١) الحجر: ٩.

(٢) البيان ص ١٨١-١٨٣.

فردوه إلى عالمه[١]. حيث إن المستفاد من هذا الحديث هو أن السبعة أحرف هي في المعاني لا في الألفاظ .

وفي الطبري حدثنا محمد بن حميد الرازي قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد، عن مغيرة، عن واصل بن حيان، عمن ذكره، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم: أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل حرف منها ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع[٢].

وفيه حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا الأعمش وحدثني أحمد بن منيع، قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأموي، عن الأعمش عن عاصم، عن زر بن حبيش، قال عبد الله بن مسعود: تمارينا في سورة من القرآن، فقلنا: خمس وثلاثون أو ست وثلاثون آية. قال: فانطلقنا إلى رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم، فوجدنا عليا يناجيه، قال: فقلنا: إنا اختلفنا في القراءة، قال: فاحمر وجه رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم وقال: إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم بينهم، قال: ثم أسر إلى علي شيئا، فقال لنا علي: إن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم يأمركم أن تقرءوا كما علمتم[٣].

فتلخص: أن القرآن انزل على سبعة وجوه من المعاني والتأويلات،

---

(١) تفسير الطبري القول في اللغة التي نزل بها القرآن: ١: ٢٢ ح٧.

(٢) تفسير الطبري القول في اللغة التي نزل بها القرآن من لغات العرب: ١: ٢٢ ح١٠.

(٣) تفسير الطبري القول في اللغة التي نزل بها القرآن: ١: ٢٢ ح١٣.

لكن لا تبلغ العقول إلا الأقل منها، ولابد من الرجوع إلى الراسخين في العلم في الأكثر. والظاهر أنه مأخوذ من الحرف وهو الطرف والجانب، وكأن للألفاظ القرآنية جوانب وأطرافا، أي معاني كلها محتملة احتمالا قريبا. تأمل في كلمات هؤلاء الأعلام عليهم أتم الرحمة والرضوان تراها متكاتفة يدا واحدة تذب عن القرآن الذي وجّهت له أخطر فكرة وهي دعوة لتحريفه تحت ستار الدين، فكان صيانة القرآن من التبديل والتغيير هو المحفز لهم لرفض مبنى الأحرف السبعة .

فاتضح أن ما سوى كلام اهل البيت في الأحرف السبعة ينتهي الى أن القرآن الكريم يتبع أهواء القرّاء ولا يثبت على حال، حتى ليُظن أن القرآن لم ينزل لتُتبع نصوصه، بل ليتبع اهواء ليس لها شغل الا تحريف الكلم عن مواضعه!، وهكذا أصبح تحريف القرآن دينا ومعتقدا فاسادا تصيبه اهوائهم الضالة المضلة، ومصالحهم المرسلة فلا تجد لدعوى تحريف القرآن هذه رادعا أو مستنكرا بين صفوفهم! نعوذ بالله من الخذلان .

وليعلم، ان أصل مفهوم الأحرف السبعة فلا أحد ينكر وجوده في القرآن، وإنما الكلام كله دائر حول تفسير ها ومعنها الذي صار دعوة مفتوحة لتحريف القرآن، بحسب ما تشتهيه انفسهم، ما تتطلبه عقائد البعض الفاسدة، فلا مناص غير التمسك برواية اهل البيت عليهم السلام التي تعكس ما صح عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله، وهم ادرى واعلم لانه صلى الله عليه وآله كان قد نصبهم بالعدل الاخر للقران الكريم. عليهم افضل الصلاة واتم التسليم.

الفصل السادس

مفهوم النسخ في القرآن

الفصل السادس

اهتم علماء الاسلام في مدرسة اهل البيت عليهم السلام بدراسة النسخ في القرآن الكريم، وصنفوا فيه، وأفردوا له مؤلفات خاصة، وكشفوا النقاب عن مواطنه، وأزالوا الشبهات التي أحيطت بموضوع النسخ، وذلك تبعا الى ما اسسته مدرسة العترة الطاهرة في اشتراط المعرفة باوجه نزول القران الكريم عامة وفي وجه معرفة الناسخ والمنسوخ في الذكر الحكيم خاصة. وعليه فقد اعتبر علماء القرآن علم الناسخ والمنسوخ من أهم علوم القرآن والتفسير، وهو عمدة العلوم، لأنه لا يمكن تفسير القرآن إلا بعد معرفة علم الناسخ والمنسوخ، وهو العلم الذي يبين مراحل نزول التشريع وتدرجه ويوضح منهج التشريع في إقرار الأحكام، وحكمته في خطاب المكلفين.

ونظرا لأهميته، فقد انصرف اهتمام علماء التفسير لدراسة هذا العلم، وناقشوا فكرة النسخ في القرآن، وأوضحوا مواطن النسخ، ودرسوا الروايات التي أشارت إلى وجود النسخ.

التعريف اللغوي للنسخ: يطلق النسخ في اللغة على معنيين:

المعنى الأول: إزالة الشيء وإعدامه وفي اللغة الازالة على ضربين :

(أ)ـ الإزالة للشيء دون إحلال آخر محله، مثل: نسخت الريح الأثر، ومثل الاية المتقدمة في قوله تعالى: (فَيَنْسَخُ اللّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ

يُحْكِمُ اللّهُ آيَاتِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[١] أي يزيله ويبطله.

(ب)- الإزالة للشيء بإحلال آخر محله، مثل: نسخت الشمس الظل ونسخ الليل النهار ونسخ النهار الليل أي أذهبه وأزاله وحل محله، ومثل قوله تعالى: (نَنْسَخْ مِنْ آيَة أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْر مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنّ اللّهَ عَلَى كُلّ شَيْء قَدِيرٌ)[٢].

المعنى الثاني: النقل والتبديل والتحويل: يقال: نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه حاكيا لفظه وخطه، ويأتي بمعنى التبديل: {وَإِذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَة}[٣].

واستعملت كلمة النسخ في المصطلح الفقهي بمعنى التحويل، كتناسخ المواريث أي تحويل الميراث من واحد إلى آخر. وجاءت لفظة (النسخ) في الاصطلاح بمعنى: (رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي) وكلمة (الرفع) دقيقة المعنى، لأنها تعبر عن المعنى الحقيقي لمعنى النسخ والغاية منه، وكلمة الرفع أدق من كلمة الإزالة والتبديل والنقل والتحويل، فالنسخ هو رفع حكم شرعي بدليل، وكلمة النسخ أدق من كل كلمة تفسيرية، إذ لا يمكن لأية كلمة أن تفيد المعنى المطلوب، وعلم الناسخ والمنسوخ هو العلم الذي يبحث في ظاهرة رفع الأحكام

(١) الحج: ٥٢.

(٢) البقرة: ١٠٦.

(٣) النحل: ١١٠.

الشرعية السابقة بأحكام شرعية لا حقة.

والنسخ ورد في الذكر الحكيم بمعنى كتابة أقوال العباد وأفعالهم في الصحف خيرها وشرها، مثل قوله تعالى: (وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ)[1].

النسخ في الاصطلاح الاصولي: عرف الأصوليون النسخ بتعاريف كثيرة أهمها خمسة :

النسخ: هو رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر.

النسخ: هو بيان انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي متراخ عنه.

النسخ: هو أن يرد دليل شرعي متراخيًا عن دليل شرعي مقتضياً خلاف حكمه.

النسخ: هو الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتًا مع تراخيه.

النسخ: هو إبطال الحكم المستفاد من نص سابق بنص لاحق .

وقد عرفت من ما تقدم ان اقربها ان يكون النسخ بمعنى رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر.

ووجه الاقربية فيه هو ان: كون هذا التعريف شاملا لجميع أقسام النسخ . وكونه أجمع التعاريف وامنعها .

ومعنى النسخ برفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر متعلق بالعباد

---

(١) الاعراف: ١٥٤.

المكلفين، أما معنى النسخ بالنسبة للإله المشرع الناسخ فمتعلق بالبيان الإلهي لانتهاء أمد الحكم وإظهار ذلك للمكلفين.

وقد زعم قوم: أن المستثنى ناسخ لما استثني منه وليس هذا بكلام من يعرف ما يقول لأن الاستثناء إخراج بعض ما شمله اللفظ وليس ذلك بنسخ وكذلك التخصيص.

للنسخ اربعة اركان

الركن الأول: الناسخ

الركن الثاني: المنسوخ

الركن الثالث: المنسوخ عنه

الركن الرابع: النسخ

اركـــن الأول: الناســـخ، وهذا له معنيان: معنى حقيقي ومعنى مجازي :

المعنى الحقيقي: الناسخ حقيقة هو الشارع المقدس، يقال: نسخ الله الحكم فهو ناسخ فهو الذي له سلطة إثبات الحكم أو رفعه، وقد نسب الله تعالى النسخ إلى نفسه فقال: (فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته)، وقال تعالى: (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) .

والمعنى المجازي: الناسخ مجازًا هو الآية أو الحكم فيقال: آية السيف نسخت آية كذا فهي ناسخة، أو الحكم في الآية نسخ الحكم في الآية الأخرى فيقال: حكم وجوب صيام رمضان نسخ حكم صيام عاشوراء..

فالحكم الأول هو الناسخ بينما الحكم الثاني هو المنسوخ، وقد يطلق الناسخ مجازاً على كل طريق يعرف به نسخ الحكم من خبر رسول الله صلى الله عليه وآله وفعله وتقريره.

الركن الثاني: المنسوخ: وله معنيان: وهما الآية والحكم. والمنسوخ يطلق عادة على الحكم في الآية فالمنسوخ هو الحكم الذي رفع وانقطع تعلقه بأفعال المكلفين فيما يستقبل من الزمن سواء أكان الرفع بالقرآن أو بالسنة فالمنسوخ بالقرآن مثاله: ارتفاع حكم وجوب تقديم الصدقة بين يدي مناجاة الرسول صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[1]، وذلك ارتفع ونسخ بقوله تعالى: (أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ)[2].

الركن الثالث: المنسوخ عنه: وهو المكلف الذي ارتفع عنه التكليف المنسوخ ووقع عليه التكليف الناسخ.

الركن الرابع: النسخ: بالمعنى المصدري: أي الارتفاع فهو إذن الأثر المترتب على المعنى المصدري وهو الرفع.

---

(١) المجادلة: ١٢.

(٢) المجادلة: ١٣.

طرق معرفة الناسخ والمنسوخ

ذكروا في طرق معرفة الناسخ والمنسوخ عدة موارد :

منها تصريح الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله: مثل حديث (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها). ومن السنة روايات اهل البيت عليهم السلام، في تعيين الايات المنسوخة والناسخة لانهم الراسخون في العلم، والذين استمدوا علومهم من الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله. اما مايذهب اليه العامة في كتبهم من اعتبار قول الصحابي فلا عبرة فيه فهذا ابو بكر لا يعرف معاني القران فضلا عن الناسخ والمنسوخ وهذا عمر لا يعرف معنى ابًا في قوله تعالى (وَفَاكِهَةً وَأَبًّا)، فمن اين لهم بعلم الناسخ والمنسوخ الذي هو اكثر كلفة علمية من معرفة معاني الكلمات التي انزلت بلغة زمانهم!!

واما الاجماعات فلا عبرة فيها مالم يكن المعصوم عليه السلام في ضمنها، والعبرة حينئذ بدخوله مع المجمعين، كما هو مقرر في ابحاث الاصوليين.

وايضا مما لا يستفاد منه، ولا يستند اليه في معرفة الناسخ والمنسوخ الاجتهاد، والتعارض بين الأدلة والأحكام، ولا على أقوال المفسرين .

فالنسخ بمعنى صدور خطاب شرعي بإزالة حكم شرعي وتثبيت حكم شرعي آخر إنما حصل زمن الرسول صلى الله عليه وآله لا بعده أي

في زمن نزول الوحي؛ ولذا يجب الاستناد إلى النقل الصريح عن الرسول صلى الله عليه وآله أو إلى القول الصحيح عن المعصومين عليهم السلام، لا إلى الرأي والاجتهاد. وكل ما كان من ناسخ ومنسوخ في الكتاب العزيز قد بينته السنة الطاهرة، وروايات اهل البيت عليهم السلام، وما يتنازع فيه انما مرده الى التخصيص او الاستثناء او غير ذلك، ومن عملية الاستقراء وجد ان الذي يحكم به بالنسخ هو وجود التعارض المستقر بين الاية المنسوخة والناسخة، فاصبح شاهدا على عملية النسخ.

والمتحصل انه لا يعتمد في النسخ على قول عوام المفسرين بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صريح للسنة المطهرة المعصومة ولا معارضة بينة؛ لأن النسخ يتضمن رفع حكم وإثبات حكم تقرر في عهده صلى الله عليه وآله والمعتمد فيه ما ذكرنا دون غيره.

أدلة ثبوت النسخ عقلا وشرعا

(١)ـ **الادلة العقلية**: في جواز النسخ الواقع في احكامه سبحانه الواردة في الكتاب العزيز ذكرت بعض الادلة العقلية، ومن بين تلك الادلة، هو ان الاحكام مبنية على مصالح العباد في الاوامر، والمصلحة من ملاكات الاوامر، فتستتبع ارادة الامر لتلك الاحكام، كما ان المفسدة من ملاكات النواهي، الذي تستتبع المبغوضية، فياتي الحكم بعدم ارادتها والنهي عن متعلقاتها، وهذا لطف منه تبارك وتعالى ورأفة بالعباد، فلا محظور حينئذ من وقوع النسخ في الاحكام لعلة اقتضاء

المصلحة او لتجنب الوقوع في المفسدة، وجرت حكمة المشرع الحكيم سبحانه في ذلك.

والاحكام التي تنسخ وان كان ظاهرها على الامتداد، الا انها بعلمه تعالى على التوقيت لسبق علمه تعالى بمحل وحال انتهاء امدها وان لم يكن في لسانها ما يشعر التوقيت، وهذا هو الاصل في النسخ، بانها غير مشعرة بالتوقيت، والا كان حالها حال الاحكام الموقتة باجل مسمى، فتامل.

وحيث ان الله تعالى يعلم مصلحة عباده في نوع من أفعالهم وقتًا ما فيأمرهم به في ذلك الوقت ويعلم ضرر عباده في هذا النوع نفسه من أفعالهم ولكن في وقت آخر فينهاهم عنه في ذلك الوقت الآخر وكل ما كان كذلك لا محظور فيه عقلا .

وذكروا ان للنسخ لازم عقلي مهم وهو ان النسخ لو لم يكن جائزًا لما ثبتت رسالة خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله إلى الناس كافة ولما ثبت نسخها للشرائع السماوية السابقة، فالنسخ جائز عقلا وإلا لكانت الشرائع السماوية باقية إلى الآن.

والاوامر الارشادية في الكتاب العزيز كثيرة ترشد العقل الى إن النسخ واقع شرعًا والوقوع الشرعي يستلزم الجواز العقلي وزيادة، اي ماحكم به الشرع يحكم به العقل، وهذه من المسائل الاصولية التي فرغ العلماء من تقريراتها، وتحقيقاتها على احسن الاقوال، فراجع كلماتهم في كتب الاصول، وقد قررناه مفصلا في كتابنا الظفر باصول الفقه

فراجع[١].

أدلة وقوع النسخ سمعا (شرعا)

وهي ثابتة في الذكر الحكيم في اكثر من موضع، فمن النسخ قوله تعالى: (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَة أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْر مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْء قَدِيرٌ)[٢]، ووجه الدلالة في هذه الآية واضح وهو أن النسخ يقتضي الرفع والإزالة للآية أو الحكم ثم تثبيت آية أخرى أو حكم آخر محل المنسوخ والناسئ، وسياتي ان شاء الله الفرق بينهما في طيات البحث.

ومن النسخ قوله تعالى: (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَة ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَر ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)[٣]، ووجه الدلالة في هذه الآية أن التبديل يقتضي رفع الأصل وإثبات البدل.

ومن النسخ قوله تعالى: (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)[٤].

---

(١) كتاب الظفر باصول فقه المظفر للمؤلف، المباحث العقلية الجزء الثالث مسألة التحسين والتقبيح العقلي.

(٢) البقرة: ١٠٦.

(٣) النحل: ١٠١.

(٤) الرعد: ٣٩.

ومن النسخ قوله تعالى: (فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا)[1]. ووجه الدلالة في هذه الآية أنها تفيد تحريم ما أحل من قبل، وكلمة: (أُحِلَّتْ لَهُمْ) يفهم منها أن الحكم الأول كان حكما شرعياً.

ويتبين مما ذكر من آيات تصرح بوقوع النسخ في الشريعة الإسلامية قرآناً، كما والسنة المطهرة تصرح بذلك، وروايات اهل البيت عليهم السلام الناقلة لها. كما كان وقوع النسخ بهذه الشريعة للشرائع السماوية السابقة.

شروط النسخ

عرَّف الفقهاء الشرط بأنه ما تتوقف عليه صحة الشيء وليس جزءاً منه. فشروط النسخ هي ما يتوقف عليها وقوع النسخ وبعدمها ينعدم النسخ. وقد وجدت بالاستقراء عدة شروط لحصول النسخ وهي:

أولا: أن يكون الناسخ دليلا شرعيًا: بمعنى أن يكون الناسخ قرآنًا أو سنة نبوية؛ ولذا فإن العلماء لم يجيزوا النسخ بالعقل لأنه دليل غير شرعي. فارتفاع التكليف بالجنون أو الموت لا يعتبر نسخاً؛ لأن ذلك دل عليه العقل لا الشرع فالعقل قاض بإسقاط التكليف عن المجنون والميت .

---

(١) النساء: ١٠٦.

وكذلك يشترط في الدليل الشرعي الناسخ أن يكون قرآنًا أو سنة فالإجماع ولو أنه أحد مصادر التشريع الإسلامي وأدلته إلا أنه لا يصلح أن يكون ناسخًا؛ لأن انسخ حصل في الحياة المباركة في هذه الدنيا للرسول الاعظم صلى الله عليه وآله بانزال الوحي الرسالي به.

ثانيا: أن يكون الناسخ متواترًا قرآنًا أو سنة متواترة، فالناسخ لا يقع بدليل غير متواتر ولو كان شرعيًا كخبر الثقة والامارات الشرعية الاخرى لأنها ظنية والقرآن قطعي لا ينسخ ولا يرفع حكمه بالمظنون.

ثالثا: أن يكون الناسخ متراخيًا عن المنسوخ، اي آتيا بعد المنسوخ، وقيل يمتد الى زمان العمل بالدليل الشرعي السابق، وهذا شرط لازم ليرفع الناسخ الحكم المنسوخ فرفع الحكم يقتضي أن يثبت الحكم الاول (الذي نسخ فيما بعد) أولا على المكلفين ثم يأتي بعد ذلك الدليل الناسخ الرافع والدال على ارتفاع ذلك الحكم؛ وهذا هو معنى النسخ، ولذا فإذا نزل حكم ونزل معه ما يقصره على بعض مدلوله لا يكون ذلك نسخًا وإنما هو تخصيص كالتخصيص بالشرط والصفة وما مثلهما وكالتخصيص بالدليل المستقل المقارن باتفاق فإذا لم يعلم التقدم أو التأخر فلا يصار إلى النسخ.

رابعا: أن يكون المنسوخ حكما، سواء أكان هذا الحكم مدلولا عليه بلفظ الإنشاء أو بلفظ الخبر الذي بمعنى الإنشاء. ومثال الأول قوله

تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[١]، فقد ثبت الحكم هنا بلفظ الإنشاء وهو قوله تعالى (فَقَدِّمُوا)، وقد نسخ هذا الحكم بالدليل المتراخي الذي بعده وهو قوله تعالى: (أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)[٢].

ومثال الثاني، اعني لفظ الانشاء، قوله تعالى: (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ)[٣]، فحكم وجوب ثبات الواحد مقابل عشرة ثبت بالجملة الشرطية الخبرية لفظًا الإنشائية معنًى في الآية السابقة وقد نسخ هذا الحكم بنفس قوله تعالى من نفس الاية، وهو قوله تعالى: (فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)، فهذا النسخ مثال لمقارنة المنسوخ واتيان النسخ بسياق نفس الاية، وهذا النسخ جاء كما هو ظاهر الاية لعلة التخفيف على

---

(١) المجادلة: ١٢.

(٢) المجادلة: ١٣.

(٣) الانفال: ٦٦.

عباده سبحانه.

خامسا: أن يكون المنسوخ حكما شرعيًا، فرفع الحكم العقلي ليس نسخًا كرفع البراءة الأصلية بشرعية العبادات ابتداء فإن ذلك لا يسمى نسخًا.

سادسا: أن يكون المنسوخ أصلا حكما ممتدا، بمعنى ألا يكون الحكم الشرعي المرفوع حكمه مقيداً بوقت معين وإلا ففي هذه الحالة ينتهي الحكم بانتهاء وقته فلا يعتبر نسخًا فالحكم المؤقت بوقت فقبل تمام وقته لا يجري النسخ فيه؛ لأنه يكون جهلا ينزه الشارع عنه.

فأن ما ورد من الخطاب وكان مشعراً بالتوقيت والغاية مثل قوله تعالى :(فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[1]، محكم غير منسوخ لأنه مؤجل بأجل والمؤجل بأجل لانسخ فيه.

سابعا: ألا يكون المنسوخ حكما مؤيدا بالنص، مثل قوله تعالى: (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)[2]، تنص الآية الكريمة على أن وجود أتباع عيسى، عليه السلام، يستمر إلى يوم

---

(١) البقرة: ١٠٩.

(٢) آل عمران: ٥٥.

القيامة. ومن المعلوم في عقيدتنا الاسلامية ان متبعي الرسل هم المسلمون.

فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله في رسالته متّبعاً لملة إبراهيم فلا شك أن عيسى عليه السلام هو أيضاً مُتبعاً لملة إبراهيم، عليه السلام، وإذا كنا أتباعاً لمحمد وإبراهيم، عليهما السلام، فإننا أيضاً أتباعاً لعيسى ولغيره من رسل الله الكرام، صلوات الله عليهم جميعاً. نقول ذلك لنبين أنّ قوله تعالى: (وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) يُقصَد به أهل الإيمان الصحيح الذين لم ينقطع وجودهم في الأرض بعد عيسى، عليه السلام، واستمروا يحملون لواء الحق والحقيقة حتى بُعِث الرسول، صلى الله عليه وآله، وبذلك تستمر مسيرة الحق إلى يوم القيامة.

فلا ناسخ لهذه الارادة الالهية والحكم فيها مؤيدا بالنص.

ثامنا: يستثنى من احكام النسخ الاحكام الكلية، وأن يكون النسخ خاص بالاحكام الفرعية، فالأحكام العملية الجزئية هي التي يرد عليها النسخ ومثاله: الحكم بعدم وجوب الغسل على من جامع إذا لم ينزل. فهذا (عدم ايجاب الغسل على من ينزل)حكم عملي جزئي نسخ بإيجاب الغسل من الجماع مطلقاً أنزل أم لم ينزل.

الاستثناء من النسخ في الاحكام

ومن ذلك فإنه يستثنى من النسخ الأحكام الكلية والقواعد الكلية والمقاصد العامة فمن الأحكام الكلية التي لا يقع فيها النسخ :

أ ـ أحكام العقيدة : فهي أصول الإيمان والتكاليف والفرائض مثل قوله تعالى: (قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ ۞اللّهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ۞) .

وقوله تعالى: (وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاّ إِلَهَ إِلاّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) [١].

وقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلك مِنْ رَسُول إِلّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَه إِلّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)[٢] .

وقوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيِّ لا تُشْرِكْ بِاللّـهِ إِنّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)[٣] .

وقوله تعالى: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ

---

(١) البقرة: ١٦٣.

(٢) الانبياء: ٢٥.

(٣) لقمان: ١٣.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)[١].

وقوله تعالى: (وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[٢].

ب ـ أصول العبادات: مثل قوله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ)[٣].

وقوله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[٤].

وقوله تعالى: (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)[٥].

جـ ـ أصول الأخلاق: مثل قوله تعالى: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً)[٦].

وقوله تعالى: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ

---

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) القصص: ٧٠.

(٣) البقرة: ٤٣.

(٤) البقرة: ١٨٣.

(٥) الحج: ٢٧.

(٦) الفرقان: ٦٣.

وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۞ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۞ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ۞)[1].

د ـ أصول الحدود: مثل قوله تعالى: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ)[2].

وقوله تعالى: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[3].

هـ ـ أصول الجهاد: مثل قوله تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَواْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)[4].

وقوله تعالى: (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)[5].

---

(١) لقمان: ١٧ - ١٩.

(٢) المائدة: ٤٥.

(٣) المائدة: ٣٨.

(٤) الانفال: ٣٩.

(٥) التوبة: ٣٦.

و ـ أصول المعاملات: مثل قوله تعالى: (إِنّ اللّـهَ يَـأْمُرُكُمْ أَن تُـؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَـدْلِ إِنّ اللّـهَ نِعِمّـا يَعِظُكُم بِهِ إِنّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً)[1].

وقوله تعالى: (وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النّاسِ بِالآثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)[2].

وكذلك القواعد الكلية لا يقع فيها النسخ، والدليل على ذلك الاستقراء التام، لأن النسخ لا يكون في الكليات وقوعًا وإن أمكن عقلا، ويدل على ذلك الاستقراء التام وأن الشريعة مبنية على حفظ الضروريات والحاجيات، وجميع ذلك لم ينسخ منه شيء بل أتى بالمدينة ما يقويها ويحكمها ويحصنها وإذ كان كذلك لم يثبت نسخ لكلي البتة، ومن استقرى كتب الناسخ والمنسوخ تحقق هذا المعنى فإنما يكون النسخ في الجزئيات منها..

ومن أمثلة القواعد الكلية: قاعدة العمل بأخف الضررين، وقاعدة الضرورات تبيح المحظورات، وقاعدة درء المفسدة أولى من جلب المنفعة، وقاعدة اليقين لا يزول بالشك، وكذلك فالمقاصد العامة لا يقع فيها النسخ وهي الضرورات والحاجيات .

---

(١) النساء: ٥٨.

(٢) البقرة: ١٨٨.

فالضرورات: هي التي لا تستقيم الحياة بدونها وهي خمس: النفس والمال والعقل وَالْعِرْضُ والدين، ومن هنا فقد شرع القصاص والحدود لها .

والحاجيات: هي التي تستقيم الحياة بدونها ولكن بمشقة ومثالها تزويج الأب لابنته القاصر، ومنها ما تستقيم الحياة بدونها ودون مشقة ولكن وجودها يحسن الحيان ويرفهها ومثالها حرمة القاذورات لنجاستها .

تاسعا: النسخ يقع في الأوامر والنواهي: فهو لا يقع في الأخبار إلا التي يراد منها الأمر والنهي. أما الأخبار بغير معنى الأمر والطلب كالوعد والوعيد والترغيب والترحيب والعظة والاعتبار فلا يقع النسخ فيها حيث لا يستساغ عقلا بل يكون ضرباً من التناقض أن يقع النسخ في خبر نبي أو قومه أو عن حادثة أو واقعة أو قصة رجل مؤمن أو رجل كافر ذكرت على سبيل التذكير والاعتبار تقريبًا للأذهان إلى غرس شواهد الإيمان في القلوب بسرد القصص في القرآن مصداق قوله تعالى: (كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا)[1].

ومصداق قوله تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْك أَحْسَن الْقَصَص بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْك هَذَا الْقُرْآن وَإِنْ كُنْتمِنْ قَبْله لَمِنَ الْغَافِلِينَ)[2].

---

(١) طه: ٩٩.

(٢) يوسف: ٣.

ومن أمثلة آيات الأخبار ما يتعلق بالأنبياء وأقوالهم قال تعالى:

(إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)[١].

وقال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ)[٢].

وقال تعالى: (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاّ مُفْتَرُونَ)[٣].

وقال تعالى: (وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ)[٤].

ومن أمثلة آيات الأخبار ما يتعلق بذكر البعث والجنة والنار .

قال تعالى: (وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَىٰ)[٥].

وقال تعالى: (إِنّ الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنّاتُ

---

(١) يوسف: ٤.

(٢) هود: ٢٥.

(٣) هود: ٥٠.

(٤) هود: ٦١.

(٥) الضحى: ٤.

الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا)[١].

وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ)[٢].

عاشرا: بقاء المنسوخ عنه(المكلف) على صفة التكليف

يشترط في المنسوخ عنه ان يبقى على صفة التكليف حتى يرد الدليل الناسخ، فإن فقدت الأهلية قبل ذلك لم يتحقق النسخ في حق هذا المكلف كمن مات أو جن قبل ورود النسخ فلا يكون أهلا لتوجه الخطاب إليه فلا يحصل النسخ عنه بهذا وإنما سقط التقيد بالتكليف لسقوط الأهلية .

الخلاصة: قيل في خلاصة الشروط المتفق عليها في ثبوت النسخ كما لخصه اهل العلم خمسة:

أحدها: أن يكون الحكم في الناسخ والمنسوخ متناقضا. بحيث لا يمكن العمل بهما جميعا فإن كان ممكنا لم يكن أحدهما ناسخا للآخر وذلك قد يكون على وجهين: اما أن يكون أحد الحكمين متناولا لما تناوله الثاني بدليل العموم والآخر متناولا لما تناوله الأول بدليل الخصوص فالدليل الخاص لا يوجب نسخ دليل العموم بل يبين أنه إنما تناوله التخصيص لم يدخل تحت دليل العموم. واما أن يكون كل

---

(١) الكهف: ١٠٧.

(٢) البينه: ٦.

واحد من الحكمين ثابتا في حال غير الحالة التي ثبت فيها الحكم الآخر مثل تحريم المطلقة ثلاثا فإنها محرمة على مطلقها في حال وهي ما دامت خالية عن زوج وإصابة فإذا أصابها زوج ثان ارتفعت الحالة الأولى وانقضت بارتفاعها مدة التحريم فشرعت في حالة أخرى حصل فيها حكم الإباحة للزوج المطلق ثلاثا فلا يكون هذا ناسخا لاختلاف حالة التحريم والتحليل.

الشرط الثاني: أن يكون الحكم المنسوخ ثابتا قبل ثبوت حكم الناسخ فذلك يقع بطريقين: اما من جهة النطق كقوله تعالى: (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا)[1].

وقوله تعالى: (عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ)[2].

ومثل قول النبي صلى الله عليه وآله: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها». واما أن يعلم بطريق التاريخ وهو أن ينقل بالرواية بأن يكون الحكم الأول ثبوته متقدما على الآخر فمتى ورد الحكمان مختلفين على وجه لا يمكن العمل بأحدهما إلا بترك الآخر ولم يثبت تقديم أحدهما على صاحبه بأحد الطريقين امتنع ادعاء النسخ في أحدهما.

---

(١) الانفال: ٦٦.

(٢) البقرة: ١٨٧.

الشرط الثالث: أن يكون الحكم المنسوخ مشروعا أعني أنه ثبت بخطاب الشرع فأما إن كان ثابتا بالعادة والتعارف لم يكن رافعه ناسخا بل يكون ابتداء شرع وهذا شيء ذكر عند المفسرين فإنهم قالوا: كان الطلاق في الجاهلية لا إلى غاية فنسخه قوله: (الطلاق مرتان)، وهذا لا يصدر ممن يفقه لأن الفقيه يفهم أن هذا ابتداء شرع لا نسخ.

الشرط الرابع: أن يكون ثبوت الحكم الناسخ مشروعا كثبوت المنسوخ فأما ما ليس بمشروع بطريق النقل فلا يجوز أن يكون ناسخا للمنقول ولهذا إذا ثبت حكم منقول لم يجز نسخه.

الشرط الخامس: أن يكون الطريق الذي ثبت به الناسخ مثل الطريق الذي ثبت به المنسوخ أو أقوى منه فأما إن كان دونه فلا يجوز أن يكون الأضعف ناسخا للأقوى.

أنواع النسخ

أنواع النسخ بصفة عامة يذكرها العلماء أربعة أقسام للنسخ هي :

القسم الأول: نسخ القرآن بالقرآن

القسم الثاني: نسخ القرآن بالسنة

القسم الثالث: نسخ السنة بالقرآن

القسم الرابع: نسخ السنة بالسنة

القسم الأول: نسخ القرآن بالقرآن : الأدلة العقلية والنقلية تؤكد هذا :

قال تعالى: (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[١].

وقال تعالى: (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)[٢].

وقال تعالى: (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)[٣].

أمثلة على نسخ القرآن بالقرآن:

قوله تعالى: (وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ)[٤]، **نسخت بقوله تعالى:** (لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلّا وُسْعَهَا)[٥].

قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ)[٦]. **نسخت بقوله تعالى:** (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً)[٧].

---

(١) البقرة: ١٠٦.

(٢) النحل: ١٠١.

(٣) الرعد: ٣٩.

(٤) القرة: ٢٨٤.

(٥) البقرة: ٢٨٦.

(٦) البقرة: ٢١٧.

(٧) التوبة: ٣٦.

- قوله تعالى: (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ)[١]، نسخت بقوله تعالى: (الْآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ)[٢].

-قوله تعالى: (انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا)[٣]، نسخت بقوله تعالى: (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيل وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[٤]. وأيضاً نسخت بقوله تعالى: (وَما كَانَ الْمؤْمنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً)[٥].

- قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ)، نسخت بقوله تعالى: (فَاتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُم).

القسم الثاني: نسخ القرآن بالسنة: إن نسخ القرآن بالسنة ليس مستحيلا لذاته ولا لغيره، وليس هناك مانع يمنعه عقلا وشرعاً، والأمثلة على ذلك واقعة. وإن السنة كالقرآن وهي من عند الله تعالى مصداق قوله: (وَما يَنطِقُ عَنِ الْهَوَي إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى)، ولا فارق بينهما .

---

(١) الانفال: ٦٦.

(٢) الانفال: ٦٦.

(٣) التوبة: ٤١.

(٤) التوبة: ٩١.

(٥) التوبة: ١٢٢.

الآيات التي اشتهرت بأنها منسوخة

لقد أورد السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القران اثنتين وعشرين آية اشتهرت بأنها منسوخة، ثم ذكر أن الأصح بالنسبة لآيتي الاستئذان والقسمة هو الإحكام لا النسخ، ولعميم الفائدة آثرنا ايرادها هنا بتصرف لطيف.

الآية الأولى: قوله تعالى: (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله). نسخت بقوله تعالى: (فول وجهك شطر المسجد وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره). قيل: إن الآية المذكورة غير منسوخة، وإنما هي محكمة؛ لأنها نزلت رداً على قول اليهود حين حولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة الشريفة: (ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) . فالآية المذكورة نزلت متأخرة عن آية التحول كما قال ابن عباس؛ ولذا فليس يعقل أن يكون الناسخ سابقاً للمنسوخ .

ومما يدفع بعدم النسخ أن الآية المذكورة: (ولله المشرق والمغرب)، إنما تفي التوجه إلى غير الكعبة في صلاة التطوع سفراً على الدابة أو الخوف والاضطرار في حين أن آية التحويل: (فول وجهك)، تفيد الصلاة المفروضة في الأوقات الخمس.

وقيل أن آية التحويل ناسخة (لسنة) التوجه بالصلاة إلى بيت المقدس.

الآية الثانية: قوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ

تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ)[١]. نسخت بقوله تعالى: (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا)[٢].

وبقوله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ)[٣].

وقيل: إن الآية المذكورة منسوخة بآيات المواريث.

وقيل: إن الله تعالى أنزل آية الوصية وأنزل آية المواريث فاحتمل أن تكون الوصية باقية مع المواريث، واحتمل أن تكون المواريث ناسخة للوصية.

الآية الثالثة: قوله تعالى: (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[٤].

نسخت بقوله تعالى: (فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)[٥].

قيل: إن الآية المذكورة منسوخة، وقيل: إنها محكمة.

وقال ابن عباس: ليست بمنسوخة، هي للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان كل يوم مسكينا. وليس بمعنى

---

(١) البقرة: ١٨٠.

(٢) النساء: ٧.

(٣) النساء: ١١.

(٤) البقرة: ١٨٤.

(٥) البقرة: ١٨٥.

يطيقونه على هذا يستطيعونه، وإنما معناه يتحملونه بمشقة وكلفة.

وقد جعل بعض من قال: إن الآية محكمة غير منسوخة الكلام على حذف حرف النفي. وتقديره: وعلى الذين لا يطيقونه فدية طعام مسكين .

الآية الرابعة: قوله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[1]. نسخت بقوله تعالى: (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ)[2].

الآية الخامسة: قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ)[3]. نسخت بقوله تعالى: (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً)، لانها تفيد الإذن بقتال المشركين عموما، والعموم في الأشخاص يستلزم العموم في الأزمات.

وأيدوا ذلك أن الرسول صلى الله عليه وآله قاتل هوازن بحنين، وثقيف بالطائف في شوال وذي القعدة سنة ثمان من الهجرة وهو من الأشهر الحرم.

وقيل: إن النسخ وقع بآية: (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)،

---

(١) البقرة: ١٨٣ .

(٢) البقرة: ١٨٧ .

(٣) البقرة: ٢١٧ .

فإن عموم الأمكنة يستلزم عموم الأزمنة.

الآية السادسة: قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[1].

نسخت بقوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[2].

وقيل: إن الآية محكمة، وقيل: إن ذلك تخصيص أنها منسوخة.

إن القول بأن الآية محكمة يقتضي عدم المنافاة بين الآية الأولى والثانية؛ لأن الأولى خاصة فيما إذا كان هناك وصية للزوجة بذلك ولم تخرج ولم تتزوج. أما الآية الثانية فهي لبيان العدة.

ويرد القائلون بالنسخ على ذلك: بأن الآية الأولى أعطت للمرأة المتوفى عنها زوجها حق الخروج والزواج في أي وقت ولم تمنعها من ذلك قبل اكتمال مدة أربعة أشهر وعشرا، أما الآية الثانية فقد حرمت عليها الخروج والزواج قبل مضي مدة أربعة أشهر وعشرا، فالآية الثانية ناسخة للأولى.

---

(١) البقرة: ٢٤٠.

(٢) البقرة: ٢٣٤.

الآية السابعة: قوله تعالى: (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله)، قال البعض: إن الآية المذكورة محكمة؛ لأنها خاصة بكتمان الشهادة وإظهارها، ويرده أنه لا دليل على هذا التخصيص .

وقال البعض: إنها محكمة مع بقائها على عمومها، والمعنى أن الله يحاسب المؤمنين والكافرين بما أبدوا وبما أخفوا فيغفر للمؤمنين ويعذب الكافرين والمنافقين، ويرده أن هذا العموم لا يسلم بعدما تقرر أن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها سواء أكانت نفسا مؤمنة أم كافرة؛ لأن لفظ نفسا نكرة في سياق النفي فيعم. فالآية إذن منسوخة .

الآية الثامنة: قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته). نسخت بقوله تعالى: (فاتقوا الله ما استطعتم)، قال السيوطي: ليس في آل عمران آية يصح فيها دعوى النسخ إلا هذه الآية.

الآية التاسعة: قوله تعالى: (وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفًا)، نسخت بآيات المواريث، ومنها: قوله تعالى: (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين).

الآية العاشرة: قوله تعالى: (والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم)، نسخت بقوله تعالى: (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) .

الآية الحادية عشرة: قوله تعالى: (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في

البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا).

نسخت بقوله تعالى: (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين).

والنسخ بالنسبة لعقوبة البكر من الرجال والنساء حيث كانت العقوبة المنسوخة الحبس في البيوت للبكر من النساء والتعزير بالنسبة للرجال، فأصبحت العقوبة الجلد للبكر من الرجال والنساء.

أما الثيب من الجنسين فقد نسخ الحكم الأول بالنسبة إليهما وأبدل بالرجم لما روي عنه صلى الله عليه وآله من طرق العامة انه قال: خذوا عني خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا: البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم.

الآية الثانية عشرة: قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنُوا لاَ تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَام)، نسخت بقوله تعالى: (وَقَاتِلُوا الْمشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُم كَافَّةً)، وقيل إن الآية محكمة وليست منسوخة، وفحوى التعليل كما سبق بالنسبة للآية الخامسة وهي القتال في الشهر الحرام .

الآية الثالثة عشرة: قوله تعالى: (فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ). نسخت بقوله تعالى: (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِما أَنْزَلَ اللهُ)، وقد قيل بعدم النسخ وأن الآية الثانية متممة للأولى، فالرسول صلى الله عليه وآله مخير بمقتضى الآية الأولى بين أن يحكم بينهم وأن يعرض

عنهم، وإذا اختار أن يحكم بينهم وجب أن يحكم بما أنزل الله بمقتضى الآية الثانية، وحيث تم الجمع بين الآيتين فلا تعارض، ومن ثم فلا نسخ.

الآية الرابعة عشرة: قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُم إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُم الْموْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْل منْكُم أَوْ آخَرَانِ منْ غَيْركُم).

وقوله تعالى: (أَوْ آخَرَانِ منْ غَيْركُم). نسخت بقوله تعالى: (وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْل منكُم)، قيل: إنه لا نسخ؛ لأن الآية الأولى خاصة بما إذا نزل الموت بأحد المسافرين وأراد أن يوصي، فإن الوصية تثبت بشهادة اثنين عدلين من المسلمين وغيرهم؛ توسعة على المسافرين حيث قد يتعذر وجود عدلين من المسلمين في السفر، ولو لم يبح الإسلام شهادة غير المسلمين لضاق الأمر عليهم وربما ضاعت الوصية . أما الآية الثانية فهي القاعدة العامة في غير ظروف السفر .

الآية الخامسة عشرة: قوله تعالى: (انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالا)، نسخت بآيات العذر وهي قوله تعالى: (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا للهِ وَرَسُولِهِ).

وقوله تعالى: (وَما كَانَ الْمؤْمنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ من كُلِّ فِرْقَة منْهُم طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمهُم إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِم لَعَلَّهُم يَحْذَرُونَ) .

قيل: إن الآية الأخيرة في النفر للتعليم والتفقة لا للحرب. والآيتان قبلها مخصصتان لا ناسختان للآية الأولى، كأنه قال من أول الأمر: لينفر منكم خفافا وثقالا كل من احتيج إليه وهو قادر لا عذر له.

الآية السادسة عشرة: قوله تعالى: (الزَّانِي لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ)، نسخت بقوله تعالى: (وَأَنْكِحُوا الأَيَامى مِنْكُم وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُم وَإِمائِكُم)، لأن الآية خبر بمعنى النهي بدليل قراءة: (لاَ يَنكِحُ)، بالجزم والقراءات يفسر بعضها بعضا، وقيل بعدم النسخ.

وقيل الحق: إن الآية الأولى منسوخة؛ لأنها خبر بمعنى النهي ولأن الأمر بالنسبة للمشرك والمشركة لا يستقيم إلا مع القول بالنسخ.

الآية السابعة عشرة: قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنُوا لِيَسْتَأْذِنكُم الَّذِينَ ملَكَتْ أَيْمانُكُم وَالَّذِينَ لَم يَبْلُغُوا الْحُلُم منكُم ثَلاَثَ مرَّات من قَبْلِ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم منَ الظَّهِيرَةِ وَمن بَعْدِ صَلاَةِ الْعِشَاءِ) .

الآية الثامنة عشرة: قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنُوا إِذَا نَاجَيْتُم الرَّسُولَ فَقَدِّموا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاكُم صَدَقَةً)، نسخت بقوله تعالى: (أَأَشْفَقْتُم أَن تُقَدِّموا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاكُم صَدَقَات فَإِذْ لَم تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُم فَأَقِيموا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ)، وقيل: إن الآية المذكورة

محكمة غير منسوخة؛ على اعتبار أن الآية الثانية بيان للصدقة المأمور بها في الآية الأولى، ويصح أن تكون صدقة غير مالية كالصلاة والزكاة. ولا شك أن هذا تكلف في التأويل.

وقيل: إن وجوب تقديم الصدقة إنما زال بزوال سببه، وهو تمييز المنافق من غيره .

الآية التاسعة عشرة: قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْمزَّملُ قُم اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلا نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ منْهُ قَلِيلا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا)، نسخت بقوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَم أَنَّكَ تَقُوم أَدْنَى من ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ منَ الَّذِينَ معَكَ وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)، وبيان ذلك: أن الآية الأولى أفادت وجوب قيامه صلى الله عليه وآله من الليل نصفه أو أنقص منه قليلا أو زيد عليه.

أما الثانية فتفيد أن الله تاب على النبي وأصحابه في هذا بأن رخص لهم في ترك هذا القيام المقدر من الليل ورفع عنهم كل تبعة في ذلك الترك كما رفع التبعات عن المذنبين بالتوبة إذا تابوا.

المتحصل من ذكر هذه الايات التي اشتهر فيها النسخ واقوال العلماء فيها في غير مدرسة اهل البيت عليهم السلام، واقعا لنبين ظاهر اختلافهم في معرفة الناسخ من المنسوخ وانه لا يكاد قول في نسخ عندهم الا ويقابل مع قول يناقضه ويثبت عدم النسخ، فلا طريق اذن لمعرفة الناسخ والمنسوخ الا عن طريق روايات اهل البيت عليهم

السلام في تعيين الناسخ من المنسوخ على اكمل وجه واعظم بيان. بل لا طريق لتفسير القران على جميع وجوه التفسير بما فيها التفسير اللغوي او المعنوي الا عن طريق المعصوم لانه هو العالم الرباني ومحل الوحي الالهي بالنسبة الى الرسول الاعظم، ومراقد الالهام والالقاء الالهي بالنسبة للعترة الطاهرة اهل بيت النبي الاعظم صلى الله عليه وآله. واما ما ذكرت من شروط لعله عند فقد النص واستقرار التعارض يصار بتحققها الى الترجيح. فتنبه ولا يكن تسمع قول الغافلين والله المستعان. لان فهم القرآن مختص بمن خوطب به، ويستند في ذلك إلى عدة روايات واردة في هذا الموضوع، كمرسلة شعيب بن أنس، عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قال لأبي حنيفة: أنت فقيه أهل العراق؟ قال: نعم. قال (عليه السلام): فبأي شيء تفتيهم؟ قال: بكتاب الله وسنة نبيه. قال (عليه السلام): يا أبا حنيفة تعرف كتاب الله حق معرفته، وتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: نعم. قال (عليه السلام): يا أبا حنيفة لقد ادعيت علما - ويلك - ما جعل الله ذلك إلا عند أهل الكتاب الذين أنزل عليهم، ويلك ما هو إلا عند الخاص من ذرية نبينا (صلى الله عليه وآله) وما ورثك الله تعالى من كتابه حرفاً[1].

وفي الكافي عن جميل بن صالح قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عزَّ وجلَّ: (الم ❖ غُلِبَتِ الرُّومُ ❖فِي أَدْنَى الأَرْضِ)

(١) الوسائل: ٢٧ / ٤٧، باب ٦، الحديث: ٣٣١٧٧.

فقال: إنَّ لهذا تأويلاً لا يعلمه إلاّ الله، والراسخون في العلم من آل محمّد إلى أن قال: ألم أقل لك إنَّ لهذا تأويلاً وتفسيراً، والقرآن ناسخ ومنسوخ[١].

وفي رواية زيد الشحام، قال: دخل قتادة على أبي جعفر (عليه السلام) فقال له: أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال: هكذا يزعمون. فقال (عليه السلام): بلغني أنك تفسر القرآن. قال: نعم (إلى أن قال) يا قتادة إن كنت قد فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت قد فسرته من الرجال فقد هلكت وأهلكت، يا قتادة - ويحك - إنما يعرف القرآن من خوطب به[٢].

النسط في الشرائع وفي الأمم السابقة

(١)ـ **نسخ أحكام شريعة بشريعة أخرى**، كنسخ الشريعة اليهودية لشريعة آدم ونوح بالنسبة لعديد من الأحكام، ونسخ حكم أكل لحوم بعض الدواب والذي كان مباحًا في شريعة آدم ونوح. وجاء في السفر الأول من التوراة أن الله تعالى قال لنوح عند خروجه من السفينة: إني جعلت كل دابة حية مأكلا لك ولذريتك، وأطلقت ذلك لكم كنبات العشب ما خلا الدم فلا تأكلوه. وقد حرم على اليهود أكل الكثير من لحوم الحيوانات والدواب التي كانت حلا لنوح كما ورد في السفر الثالث

---

(١) الكافي ٨: ٢٦٩ / ٣٩٧.

(٢) الكافي ٨: ٣١١ / ٤٨٥ .الوسائل: ٢٧ / ١٨٥، باب ١٣، الحديث: ٣٣٥٥٦.

من التوراة. وكنسخ الشريعة اليهودية لشريعة يعقوب حيث نسخت شريعة موسى حكم الزواج بالجمع بين الأختين والذي كان مباحًا في شريعة يعقوب .

وكنسخ الشريعة النصرانية للشريعة اليهودية بالنسبة لعدة أحكام.

(٢)- **نسخ حكم بحكم في شريعة واحدة**، ففي شريعة إبراهيم، فقد أمر الله تعالى إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل، ثم أمره بعدم ذبحه وفداه بكبش سمين واعترف منكرو النسخ بهذا. وفي الشريعة اليهودية، كان عمل يوم السبت كان مباحًا في الشريعة اليهودية ثم حرم العمل يوم السبت فكان ذلك نسخًا. وأمر الله تعالى بني إسرائيل أن يقتلوا من عبد العجل ثم أمرهم برفع السيف عنها فكان ذلك نسخًا. وغير ذلك كثير.

مذاهب منكري النسط

يذهب منكرو النسخ مذاهب ثلاثة هي :

المذهب الأول: ينكر وقوع النسخ عقلا وسمعًا، ومن أنصاره: الشمعونية من يهود ونصارى هذا العصر .

المذهب الثاني: ينكر وقوع النسخ سمعًا ويجيزه عقلا، ومن أنصاره: العنانية من يهود، وما نسب الى أبو مسلم الأصفهاني من المعتزلة، على انه غير محقق النسبة اليه، وقيل اضطراب ناشئ الاشكال اللفظي.

المذهب الثالث: يجيز وقوع النسخ عقلا وسمعًا إلا أنه ينكر أن الشريعة الإسلامية ناسخة للشريعة اليهودية.

شبهات العقلية لمنكري للنسط

الشبهة الأولى: إن النسخ يستلزم الجهل والعبث على الله تعالى، ويرى منكرو النسخ: أنه إذا جاز أن ينسخ الله تعالى حكما من أحكامه فإن ذلك إما يكون لحكمة ظهرت له وكانت خافية عليه وإما لايكون لحكمة .

فإن كان النسخ لحكمة ظهرت لله تعالى وكانت خافية عليه، فإن هذا يستلزم البداء المنزه عنه الذات المقدسة، الذي هو بمعنى العلم بعد الجهل بالعواقب وهذا عليه سبحانه مستحيل.

وإن كان النسخ لغير حكمة، فإن هذا يستلزم العبث على الله تعالى وهذا مستحيل. والجهل والعبث مستحيلان على الله تعالى بالأدلة النقلية والعقلية، فما يؤدي إليهما وهو جواز النسخ مستحيل.

وفيه: إن نسخ الله تعالى لحكم من أحكامه أساسه حكمة ظاهرة ومعلومة لله تعالى ويستحيل أن تخفي عليه. وغاية الأمر أن الله تعالى عندما ينسخ حكما بحكم آخر فإن الحكم الناسخ يأتي بحكمة غير الحكمة التي أتى بها الحكم الأول المنسوخ، وعلى اعتبار أن هناك مصلحة جديدة للعباد اقتضتها عملية النسخ وجاء بها الحكم الناسخ. فمصالح العباد تتجدد بتجدد الأزمان وتختلف باختلاف الأشخاص والأحوال؛ ولذا فإن النسخ يعني أن هناك مصلحة جديدة فيأتي الله بحكم جديد يتضمنها وينسخ به الحكم السابق الذي يتضمن

المصلحة السابقة، والله تعالى أحاط بكل شيء علما، فلا يستلزم النسخ إذن الجهل أو العبث على الله تعالى.

او ان يقال انها كانت مؤقة تقديرا منه تعالى لعلمه بعواقب الامور جميعا، وان لم يظهر في لسان الدليل المنسوخ ذلك التوقيت، بل الظاهر هو الاستمرار والدوام. على ما تقدم في اول البحث.

الشبهة الثانية: إن النسخ يستلزم جهالة الله تعالى وتحصيل الحاصل وهذا باطل . وتوضيح ذلك: إما أن يعلم الله أن الحكم المنسوخ مؤبد أو يعلمه مؤقتًا، فإن علم الله تعالى الحكم المنسوخ مؤبداً ثم نسخه ومنع من استمراره انقلب علمه جهلا وهذا محال على الله تعالى، وإذا علم الله تعالى الحكم المنسوخ مؤقتا بوقت معين ثم نسخه عند ذلك الوقت، وإذا ما علم أن المؤقت ينتهي بمجرد انتهاء وقته فإنهاؤه بالنسخ تحصيل للحاصل وهذا باطل.

وفيه: إن الله تعالى يعلم تمام العلم أن الحكم المنسوخ مؤقت لا مؤبد، ولكنه علم بجانب ذلك أن توقيته إنما هو بورود الناسخ لا بشيء آخر كالتقييد بغاية في دليل الحكم الأول؛ ولذا فإن علم الله تعالى بانتهاء الحكم المنسوخ بالناسخ لا يمنع النسخ بل يوجبه، وورود الناسخ محقق لما في علمه لا مخالف له.

الشبهة الثالثة: إن النسخ يستلزم تحصيل الحاصل والتناقض، وتوضيح ذلك: إما أن يكون الحكم المنسوخ محدداً بغاية معينة، فإنه ينتهي بمجرد تحقق هذه الغاية؛ ولهذا فالنسخ في هذه الحالة يكون

تحصيلا للحاصل، وإما أن يكون الحكم المنسوخ مؤبدا، ففي هذه الحالة فإن النسخ يعني التناقض؛ لأن التأبيد يقتضي بقاء، وديمومة الحكم، في حين أن النسخ يقتضي الرفع، وعدم البقاء .

وفيه: إن القول بأن نسخ الحكم المؤبد يؤدي إلى التناقض ينقض من عدة وجوه :

الأول: أن من الخطأ القول بأن الحكم المؤبد لا ينسخ .

الثاني: أن التكاليف الشرعية مقيدة ومعلقة من أول الأمر على عدم ورود ناسخ، كما أنها مقيدة بأهلية المكلف وألا يطرأ عليه جنون أو غفلة أو موت، ومن هنا فإن النسخ لا يفضي إلى تناقض بين الناسخ والمنسوخ .

الثالث: إن الحكم المنسوخ قد لا يكون مؤبدا ولا يكون مؤقتا، بل أحيانا يأتي خارجا عن التأبيد والتأقيت؛ ولذا فإنه قد يخضع للنسخ، ونسخ الحكم ليس من المحالات فقد يكون مستمرا بحسب الظاهر .

الشبهة الرابعة: إن النسخ يقتضي اجتماع الضدين، وهذا محال.

وتوضيح ذلك: أن الله إذا أمر بحكم فيعني هذا أنه حسن ومرغوب فيه، وإذا نهى عنه فيعني أنه خبيث وغير مرغوب فيه؛ ولذا فالأمر بالشيء والنهي عنه معناه اجتماع الصفات المتضادة في الحكم الواحد أو الفعل الواحد الذي تعلق به الأمر والنهي.

وفيه: أن الوقت الذي يكون فيه الفعل حسنا غير الوقت الذي يكون فيه ذلك الفعل قبيحا، فلم يجتمع الحسن والقبح في فعل واحد

وفي وقت واحد. وبهذا التأصيل ينتفي اجتماع الضدين. لان المستحيل عقلا اجتماعهما من جميع الجهات، وهو غير حاصل هنا لبداهة ان النسخ زمانه يختلف عن زمان المنسوخ.

حكمة الله في النسخ

تتجلى حكمة الله في النسخ تبعاً لنوع النسخ الواقع:

أولا: حكمة نسخ الشريعة الإسلامية للشرائع السماوية السابقة :

وتتجلى حكمة الله في هذا النسخ في كون الشريعة الإسلامية هي أكمل الشرائع وأتممها تشريعا وأحكاما ومنهجا، بكمالها ومنهجيتها وديمومتها ناسخة لشرائع غير منهجية ووقتية، وهذا مصداق قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا).

ثانيا: حكمة نسخ بعض أحكام الإسلام ببعض، وهو اللطف الالهي الذي اخذ فيه الشارع المقدس الناس بالتدريج في فرضية الأحكام؛ رأفة بهم وتيسيرا عليهم وتدريبا للنفوس على تقبل الأحكام وتلطفا بالأمة في التطبيق للفرائض ومراعاة للشعور في التحليل والتحريم.

ثالثا: حكمة نسخ الحكم الأصعب إلى الأسهل منه، وتتجلى حكمة الله في هذا النوع من النسخ في التخفيف، والتسهيل، والتهوين على الناس، وإظهارا لفضل الله ورحمته بالعباد، وابتلاء لهم في الشكر لله على نعمائه، وحفزا لهم على طاعته مصداق قوله تعالى: (وما جعل عليكم في الدين من حرج)، وقوله تعالى: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد

بكم العسر).

الفرق بين النسط والنسئ

قال تعالى: (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها). فالنسخ هو الإزالة، وهو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي. أي إزالته وعدم جواز امتثاله أو العمل به.

أما النسء أو المنسأ: هو التأخير لغة .

أما النسئ اصطلاحا: فيعرف بأنه الأمر بالشيء إلى زوال سببه، ومنه تأخير البيان إلى وقت الحاجة كالأمر بالصبر حتى زوال سببه: كالضعف، وقلة المال، أو المؤونة.

ومن امثلة ذلك قوله تعالى: (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره). فإن الخطأ القول إن حكم هذه الآية قد نسخ بآية السيف: (فاقتلوا المشركين)، وإنما النسيء الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون، وأما الحكم في حالة ضعفهم هو الصبر على الأذى.

فالمسلمون أمروا بالصبر؛ لأنهم ضعفاء إلى حين زوال سببه أي الضعف، فالنسئ: ما أمر به لسبب ثم يزول السبب كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر والصفح ثم نسخ بإيجاب القتال، وهذا في الحقيقة ليس نسخًا بل هو من قسم المنسأ كما قال تعالى: (أو ننسها)، فالمنسأ هو الأمر بالقتال لما يقوى المسلمون وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى، وبهذا يضعف ما لهج به كثيرون من أن الآية في ذلك منسوخة بآية السيف، وليس كذلك بل هي من المنسأ بمعنى

أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما لعلة تقتضي ذلك الحكم بل ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر، وليس بنسخ إنما النسخ الإزالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله .

ومنه قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم)، فحكم الآية: هو الأمر بالصبر حيث المسلمون في ضعفهم والدعوة في أولها، وأنسئ أمر القتال إلى حصول القوة من بعد ضعف وفهم ذلل من نزول آية السيف، ويعود هذان الحكمان أعني: المسالمة عند الضعف، والمسايفة عند القوة بعود سببهما، وليس حكم المسايفة ناسخاً لحكم المسالمة بل كل منهما يجب امتثاله.

العام والخاص في الذكر الحكيم

في التشريع والأحكام الدينية غايات اولية تهدف إليها، وقد يجتمع للحكم التشريعي مميزات تجعله عاماًشاملا ومستوعبا لكل أفراد مدخول اداة العموم، أو يكون صالحا للانطباق على جميع حالات موضوعه، وقد يكون ذلك العام مغيى بغاية خاصة فالتعبير عنه يتناول بعمومه الحكم، ثم يأتي لاحقا ما يبين حده أو يحصر نطاقه، والبيان العربي في تلوين الخطاب وبيان المقاصد والغايات مظهر من مظاهر قوة اللغة واتساع مادتها. فإذا ورد هذا في كلام الله المعجز كان وقعه في النفس عنوان إعجاز تشريعي مع الإعجاز اللغوي.

والعام: هواللفظ المستغرق لما يصلح له من غير حصر.

وللعموم صيغ تدل عليه.

منها (كل) كقوله تعالى: (كُلُّ نَفْس ذَائِقَةُ الْمَوْتِ).

وقوله تعالى: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)

ومثلها لفظ (جميع) وكل ما يدل من الفاظ على ارادة العموم، منها: المعرف بـ (ال) التي ليست للعهد كقوله تعالى: (وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ)، أي كل إنسان، بدليل قوله بعد: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا).

وقوله تعالى: {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ}.

وقوله: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا}.

ومنها: النكرة في سياق النفي والنهي كقوله: (فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ).

وقوله تعالى: (فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَ}.

أو في سياق الشرط كقوله تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ).

والعام على ثلاثة أقسام:

الأول: العام الباقي على عمومه، ومثاله عزيز، إذ ما من عام إلا ويتخيل فيه التخصيص، منه قوله تعالى: (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ).

وقوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ). فإنه لا خصوص فيها.

الثاني: العام المراد به الخصوص، كقوله تعالى: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ

إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ)، فقيل ان المراد بالناس الأولى نعيم بن مسعود، والمراد بالناس الثانية أبو سفيان(لع)، لا العموم في كل منهما، يدل على هذا قوله تعالى: (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ)، فوقعت الإشارة بقوله تعالى: (ذَلِكُمُ) إلى واحد بعينه، ولو كان المعنى به جمعاً لقال: إنما أولئكم الشيطان. وكقوله تعالى: (فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ)، والمنادى جبرائيل كما في قراءة ابن مسعود.

الثالث: العام المخصوص، وأمثلته في القرآن كثيرة، منه قوله تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ).

وقوله تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا).

الفرق بين العام المراد به الخصوص والعام المخصوص:

الفرق بين العام المراد به الخصوص والعام المخصوص من وجوه، أهمها: هو أن العام المراد به الخصوص لا يراد شموله لجميع الأفراد من أول الأمر، لا من جهة تناول اللفظ، ولا من جهة الحكم، بل هو ذو أفراد استعمل في فرد واحد منها أو أكثر.

أما العام المخصوص فأريد عمومه وشموله لجميع الأفراد من جهة تناول اللفظ لا من جهة الحكم، فالناس في قوله: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ) وإن كان عاماً إلا أنه لم يرد به لفظاً وحكماً سوى فرد واحد، أما لفظ الناس في قوله تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ)، فهو عام أريد

به ما يتناوله اللفظ من الأفراد. وإن كان حكم وجوب الحج لا يتناول إلا المستطيع منهم خاصة.

والأول مجاز قطعاً، لنقل اللفظ عن موضوعه الأصلي واستعماله في بعض أفراده، بخلاف الثاني فالأصح فيه أنه حقيقة، لأن تناول اللفظ للبعض الباقي بعد التخصيص كتناوله له بلا تخصيص، وذلك التناول حقيقي اتفاقاً، فليكن هذا التناول حقيقياً أيضاً.

وقرينة الأول عقلية غالباً ولا تنفك عنه، وقرينة الثاني لفظية وقد تنفك.

تعريف الخاص وبيان المخصص:

والخاص: يقابل العام، فهو الذي لا يستغرق الصالح له من غير حصر.

والتخصيص: هو إخراج بعض ما تناوله اللفظ العام.

والمخصص: إما متصل: وهو الذي لم يُفصل فيه بين العام والمخصص له بفاصل، وإما منفصل: وهو بخلافه. والمتصل خمسة:

أحدها: الاستثناء، كقوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ، إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا).

وقوله تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلاف أَوْ

يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ).

الثاني: الصفة، كقوله تعالى: (وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ)، فقوله تعالى: (اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ) صفة لـ(نِسَائِكُمُ) والمعنى: أن الربيبة من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له إذا لم يدخل بها.

الثالث: الشرط، كقوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ)، فقوله تعالى: (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا) أي مالًا، شرط في الوصية.

وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا)، أي قدرة على الأداء، أو أمانة وكسبًا.

الرابع: الغاية، كقوله تعالى: (وَلا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ).

وقوله تعالى: (وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ).

الخامس: بدل البعض من الكل، كقوله تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)، فقوله تعالى: (مَنِ اسْتَطَاعَ) بدل من (النَّاسِ) فيكون وجوب الحج خاصًا بالمستطيع.

والمخصص المنفصل: ما كان في موضع آخر من آية أو حديث.

فما خُصَّ بالقرآن كقوله تعالى: (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ) ٣، فهو عام في كل مطلقة حاملًا كانت أو غير حامل، مدخولًا بها أو غير مدخول بها، خُصَّ بقوله تعالى: (وَأُولاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ)، وبقوله تعالى: (إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ).

وما خُصَّ بالحديث كقوله تعالى: (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا)، خص من البيع البيوع الفاسدة.

المطلق والمقيد في الذكر الحكيم

المطلق: هو ما دل على الحقيقة بلا قيد، فهو يتناول واحداً لا بعينه من الحقيقة، وأكثر مواضعه النكرة في الإثبات كلفظ (رقبة) في مثل: (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) فإنه يتناول عتق إنسان مملوك، وهو شائع في جنس العبيد مؤمنهم وكافرهم على السواء وهو نكرة في الإثبات؛ لأن المعنى: فعليه تحرير رقبة، ولهذا عرَّفه بعض الأصوليين بأنه عبارة عن النكرة في سياق الإثبات، فقولنا: (نكرة) احتراز عن أسماء المعارف وما مدلوله واحد معين، وقولنا: (في سياق الإثبات) احتراز عن النكرة في سياق النفي فإنها تعم جميع ما هو من جنسها.

والمقيَّد: هو ما دل على الحقيقة بقيد. كالرقبة المقيَّدة بالإيمان

في قوله: (فَتَحْرِيرُ رَقَبَة مُؤْمِنَة).

المجمل والمبيّن، والظاهر والمؤول، والنص

النص: هو ما لا يحتمل إلاّ معنىً واحدا.

أو ان يكون اللفظ يحتمل معنيين:

فاما ظاهرا: وهو ترجيح احد المعنيين على الاخر بمرجح شرعي. واما ان يكون اللفظ يتساوى فيه المعنيان ولا نرجح لاحدهما على الاخر فهو المجمل.

اولا: المجمل

المجمل هو اللفظ الذي يحتمل أكثر من معنى وليس أحدُهما أرجحَ من الآخر. فهو الّذي لا يتّضح المقصود منه لتردّده بين معانٍ متساوية في الاحتمال. فيتوقف حنئذ فهم المراد منه على غيره، إماّ في تعيينه، أو بيان صفته، أو مقداره.

ومنه قوله تعالى: (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوء). فإنّ لفظ (القرء) - بفتح القاف وضمّها - يطلق ويراد به الحيض والطّهر، فهو لفظ مشترك، يحتاج تعيينه إلى دليل، لذلك كان مجملا.

ومنه قوله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ). فإنّ لفظ (الصّلاة) مفهوم الحقيقة، لكنّه مجمل في الصّفة.

ولفظ (الزّكاة) مفهوم الحقيقة لكنّه مجمل في المقدار، ويحتاج كلّ منهما إلى بيان.

ومنه قوله تعالى: (أَوْ يَعْفُوَ الَّذِى بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ)، فالّذي بيده عقدة النّكاح لفظ يحتمل أن يقصَد به الزّوج، ويحتمل أن يُقصد به وليّ المرأة، لذلك فهو مجمل.

ثانيا: المبيَن

المبيَّن - بفتح الياء -:البيان هو الإيضاح، وهو إخراج اللّفظ من حالة الإجمال والخفاء إلى حالة الظهور والاتضاح. فهو اللّفظ الدالّ على معنى بعد التبيين.

منه قوله تعالى: (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثلاثةَ قُرُوء)، فهو - كما سبق بيانه - نصّ مجمل، لأنّ القرء لفظ مشترك بين الطّهر والحيض.

لكن بعد ما يقف الطّالب على دلالة ارادة الحيض من معنى (القرء) يتبين له ما كان مجملا في ارادة اي المعنيين او المعاني المشتركة فيه ولا مرجح لاحدها.

ومن دلالات ارادة الحيض من القرء، ظاهر قوله تعالى: (وَاللاّءِ يَئِسْنَ منَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاَثَةُ أَشْهَرٍ وَاللاَّءِ لَمْ يَحِضْنَ..)، فجعل الأشهر بدلا من الحيض لا من الأطهار فدلّ أنّ الحيض أصل في العدّة.

وايضا يستدل لهذا المعنى بروايات المعصومين عليهم السلام في حملهم (القرء) على (الحيض)، ومن تلك الأدلّة قوله صلى الله عليه

وآله: (دَعِي الصَّلَاةَ أَيَّامَ أَقْرَائِكِ)، وغير ذلك من الاحاديث .

ثمّ إنّ النظر يؤيّد ذلك، فَإنَّ من مقاصد العدّة استبراء الرّحم، والعلامة الدّالة على براءته إنّما هو الحيض لا الطّهر، لأنّ الطّهر تشترك فيه الحامل والحائل.

ومن المبين ما جاء في بيان كيفية اقامة الصلاة على وجهها الشرعي المطلوب ومقدار ايتاء الزكاة في قوله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وآتُوا الزَّكَاةَ)، فهو قبل البيان نصّ مجمل الكيفيّة والمقدار، ولكنّ النبي الاعظم صلى الله عليه وآله بيّن معناه ببيان صفة الصّلاة، ومقدار الزّكاة قولا وعملا.

وقوله تعالى: (أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ) مجمل، وظاهر الفقهاء أنّه الزّوج، لقوله تعالى بعد: (وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى).

وقوله تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ)، بيّنه النّبيّ صلى الله عليه وآله قولا وعملا كذلك.

ثالثا: النص

هو اللّفظ الّذي لا يحتمل إلاّ معنى واحدا.

وهو ما كان تأويله تنزيله، أي إنّ تفسيره هو النّطق به فحسب.

منه قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً)، فهذا نصّ صريح في بيان عدّة المرأة

المتوفّى عنها زوجها.

ومثله أيضا قوله تعالى: (فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيـامٍ فِي الحَـجِّ وَسَـبْعَة إِذَا رَجَعْتُمْ)، فهي نصّ في كفّارة التمتّع.

وقوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ)، نصّ في تحريم الميتة وما ذكر معها، لا يحتمل الكلام معنًى آخر.

الفصل السابع

للقرآن ظاهر وباطن

الفصل السابع

قال امير المؤمنين عليه السلام: (ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ، ولَنْ يَنْطِقَ، ولَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ، أَلا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي، والْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي، ودَوَاءَ دَائِكُمْ، ونَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ)[١].

ويقول عليه السلام: (واعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُو النَّاصِحُ الَّذِي لا يَغُشُّ، والْهَادِي الَّذِي لا يُضِلُّ، فَاسْتَنْطِقُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ وهُو الْكُفْرُ والنِّفَاقُ والْغَيُّ والضَّلالُ، واعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، واسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ، واسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، واتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ)[٢].

(١)ـ معنى كون للقران ظاهر

الظاهر هو كل ما يبدو من الشَّيء، وفي قبال الظاهر الباطن الذي هو عليه ذلك الشيء في ذاته وحقيقته التي خلقه الله سبحانه عليها، والظاهر ما يدرك بالحواس، ومن هنا عرف اهل الظاهر، الذين يكتفون بظاهر الاشياء ولا يغوصون الى باطنها. وعلى هذا المعنى، فان ظاهر القران هو كل ما يدركه الانسان من ما يحتمله اللفظ من معنى، وما تعدد معناه يتحصل المراد بالقرينة، حيث قرر ان المجمل لابد له

(١) نهج البلاغة من خطبة له عليه السلام رقم (١٥٦).

(٢) نهج البلاغة من خطبة له عليه السلام رقم (١٧٤).

من قرينة تصرف ذهن المخاطب الى المعنى المراد.

وهذا هو معنى الاخذ بالظاهر، وقد قرر في ابحاث علم الاصول ان كل ظاهر حجة، ومنها ظواهر الكتاب العزيز حجة. بمعنى كل ما هو ظاهر من معنى في الفاظه واجبة الامتثال اذا كانت من الاوامر وواجبة الاجتناب والترك اذا كانت من النواهي.

ولكن ادراك هذا الظاهر لايحتمل تاديته الا من قبيل العلماء الذين لديهم القدرة الكافية في استنباط تلك الظواهر، وهذا امر نسبي يختلف بين شخص وآخر، ويختلف ايضا بين موضوع وآخر، فلانسان العادي الذي يمتلك قدرة محدودة من هذه العلوم المساعدة قد يستطيع ان يقف على ظاهر بعض الكلمات او الجمل فيستفيد الحكم، كمسالة وجوب الصلاة او الصوم او الحج وما سوى ذلك، اما في المسائل التي تتوقف فعلا على ادراك تلك العلوم بنحو عال فلا يكون مؤهلا للوقوف على ظاهر الايات الا رجال العلم من اهل الاختصاص، ولا يعتد بقول غيرهم في الكشف عن تلك الاحكام في هذا المستوى. والوجدان شاهد ان ليس كل من يتوقف في مسالة يبادر الى فتح المصحف الشريف ليتناول الحكم المعين لتلك المسالة، وانما جرت سيرة العقلاء على تلقي تلك المفاهيم من اهل العلم، وهذا ما يشهد عليه الوجدان، مضافا الى السيرة العقلائية الممضاة من الشارع في ذلك، فلم نجد سائلا عن مسالة معينة يرشد الى استنباطها من الكتاب العزيز وان كان على علم بالقواعد اللغوية او النحوية والبلاغية، ولا

رادع لسيرتهم هذه.

فيتحصل ان اهل الفقه هم المعنيون بذلك الاعتبار، فان ظواهر الكتاب العزيز التي يستكشفونها هي حجة وتنقل عنهم الى عامة الناس. كظاهر ايات الاحكام، والشرائع والتكاليف في مسائل الحلال والحرام، وهو الموصوف في قوله تعالى بالهدى، وهو بهذا الوصف يحتاج الى من يهدي به. قال تعالى: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)[١]. كما وصف سبحانه الكتب المنزلة بان فيها هدى ونور، قال تعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ)[٢].

نعم الاوامر الصادرة في التدبر والتفكر تفيد التذكير بانعم الله سبحانه وانذاره لغير المطيعين، واليقين والاعتقاد بالمسائل الايمانية، كالتوحيد والنبوة والامامة والمعاد وغير ذلك من الاصول الاعتقادية، قال تعالى: (نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۖ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[٣].. والنور لا يحتاج الى واسطة في مشاهدته، سوى الآلة التي تبصر ذلك النور الالهي المعنوي (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ

---

(١) البقرة: ٢.

(٢) المائدة: ٤٤.

(٣) النور: ٣٥.

الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[1].

فجاء الامر الالهي المقدس بالتدبر والتفكر .. ولكي يكون التدبر في القرآن مثمراً ومفيداً، ولكي يكون متكاملاً وسليماً لابد أن تتوفر مجموعة من المعارف الاولية بالقدر الذي يمكن المتدبر من ذلك، فمثلا لا يمكن لمن لا يجيد القراءة ان يتدبر في القراءة، او لا يسمع وتدعوه الى الاستماع الى الايات، وكذلك الحال في العلوم المساعدة في آلية التفكر والتدبر لابد من وجودها بالقدر الذي يستطيع معه على كلفة التدبر، كيف وهو لا يمتلك القوى التي بها يتدبر فيكون دونه العجز.

ويعتبر هذا الامر من الامور السيالة التي لابد من احراز قدر يعتد به من المعارف لسلامة وفائدة الامر الذي يقوم به، الا ترى عمال الصناعة والتجارة والزراعة، بل حتى في الاعمال المتواضعة كالتحميل والتعتيل وغيرهما لابد من اكتساب قدر مناسب من الخبرات في ادائها، والا ينعكس الامر بالمضرة والمخاطرة، وليس التدبر ولا التفكر الا وجهاً من وجوه البحث العلمي، فتامل.

---

(١) النور: ٣٥.

قال تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)[1].

وقد روي عن الامام الحسين سيد الشهداء عليه السلام انه قال في دعاء يوم عرفة: (مَتى غِبْتَ حَتّى تَحْتاجَ اِلى دَليل يَدُلُّ عَلَيْكَ، وَمَتى بَعُدْتَ حَتّى تَكُونَ الاْثارُ هِيَ الَّتى تُوصِلُ اِلَيْكَ، عَمِيَتْ عَيْنٌ لا تَراكَ عَلَيْها رَقيباً، وَخَسِرَتْ صَفْقَةُ عَبْد لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصيباً، اِلهى اَمَرْتَ بِالرُّجُوعِ اِلَى الاْثارِ فَارْجِعْنى اِلَيْكَ بِكِسْوَةِ الاْنْوارِ، وَهِدايَةِ الاْسْتِبصارِ، حَتّى اَرْجِعَ اِلَيْكَ مِنْها كَما دَخَلْتُ اِلَيْكَ مِنْها، مَصُونَ السِّرِّ عَنِ النَّظَرِ اِلَيْها، وَمَرْفُوعَ الْهِمَّةِ عَنِ الاْعْتِمادِ عَلَيْها، اِنَّكَ عَلى كُلِّ شَىء قَديرٌ..)[2].

---

(١) المائدة: ١٥-١٦.

(٢) انظر: إقبال الأعمال (الإقبال بالأعمال الحسنة): ٣٣٩، للسيد رضي الدين بن طاووس، ٥٨٩ هجرية، و المتوفى ببغداد سنة: ٦٦٤ هجرية، طبعة دار الكتب الإسلامية، طهران / إيران، سنة: ١٣٦٧ هجرية شمسية.
البلد الأمين والدرع الحصين: ٢٥١، الطبعة الحجرية.
بحار الأنوار - الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام): ٩٥ / ٢١٦، للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، المولود بإصفهان سنة: ١٠٣٧، و المتوفى بها سنة: ١١١٠ هجرية، طبعة مؤسسة الوفاء، بيروت ١٤١٤ هجرية.

(أ)ـ الادلة من الكتاب العزيز على حجية ظاهر الكتاب

وايضا الامر الوارد في الكتاب يؤكد هذا المعنى من هذه الجهة فقد قال تعالى: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوب أَقْفَالُهَا)[١].

وقوله تعالى:{ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَـل لَّعَلَّهُـمْ يَتَذَكَّرُونَ }[٢].

وقوله تعالى: (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ × نَـزَلَ بِـهِ الـرُّوحُ الأَمِـينُ × عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ × بِلِسَان عَرَبِيٍّ مُبِين)[٣].

وقوله تعالى: (هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ)[٤].

وقوله تعالى: (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)[٥].

وقوله تعالى: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)[٦].

---

(١) سورة محمد: ٢٤.

(٢) الزمر: ٢٧.

(٣) الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥.

(٤) آل عمران: ١٣٨.

(٥) الدخان: ٥٨.

(٦) القمر: ٢٢.

وقوله تعالى: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا)[١].

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب العمل بما في القرآن ولزوم الأخذ بما يفهم من ظواهره.

(ب)ـ الادلة من السنة المطهرة في الاخذ بظاهر الكتاب

عن الإمام الصادق عليه السلام: خطب النبي صلّى اللّه عليه وآله بمنى، فقال: أيها الناس ما جاءكم عنّي يوافق كتاب اللّه فأنا قلته، وما جاءكم يخالف كتاب اللّه فلم أقله[٢].

روى الكليني في الكافي معنعنا عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف[٣].

وفي الكافي والمحاسن عن أيّوب بن الحرّ، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: كلّ شيء مردود إلى الكتاب والسنّة، وكلّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف[٤].

---

(١) النساء: ٨٢.

(٢) الكافي: ١: ٦٩.

(٣) الكافي ١: ٥٥ / ٤. والوسائل: ٢٧: ابواب القضاء الباب ٩: ح٣٣٣٤٥.

(٤) الكافي ١: ٥٥ / ٣، والمحاسن ٢٢٠ / ١٢٨. والوسائل: ٢٧: ابواب القضاء الباب٩: ٣٣٣٤٧. والزخرف: الذهب. ثمّ شبه به كل مموّه مزوّر، انظر: الصحاح (زخرف) ٤: ١٣٦٩.

وفي الوسائل عن جميل بن درّاج، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة، إنَّ على كلّ حقّ حقيقة، وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه [١].

ومن هذا القبيل الروايات التي أمرت بعرض الشروط على كتاب الله ورد ما خالفه منها، ما عن الصدوق في الفقيه والشيخ في التهذيب عن النضر بن سويد، عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: المسلمون عند شروطهم إلا كل شرط خالف كتاب الله عز وجل فلا يجوز [٢].

واستدلالات الأئمة (عليهم السلام) على جملة من الأحكام الشرعية وغيرها بالآيات القرآنية: منها: قول الصادق (عليه السلام) حينما سأله زرارة من أين علمت أن المسح ببعض الرأس (لمكان الباء).

منها ما رواه الصدوق في الفقيه عن محمد بن علي بن الحسين بإسناده، عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ألا تخبرني من أين علمت وقلت، أن المسح ببعض الرأس وبعض الرجلين؟ فضحك فقال: يا زرارة، قاله رسول الله صلى الله عليه وآله، ونزل به الكتاب من

---

(١) الوسائل: ٢٧ / ١١١، باب ٩، الحديث: ٣٣٣٤٨.

(٢) الفقيه ٣: ١٢٧ | ٥٥٣. التهذيب ٧: ٢٢ | ٩٣. والوسائل: ١٨: ابواب الخيار: ٢٣٠٤١.

الله عز وجل، لأن الله عز وجل قال: (فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ)[١]، فعرفنا أن الوجه كله ينبغي أن يغسل، ثم قال: (وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ) فوصل اليدين إلى المرفقين بالوجه، فعرفنا أنه ينبغي لهما أن يغسلا إلى المرفقين، ثم فصل بين الكلام فقال: (وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ) فعرفنا حين قال: «بِرُءُوسِكُمْ» أن المسح ببعض الرأس لمكان الباء، ثم وصل الرجلين بالرأس، كما وصل اليدين بالوجه، فقال: (وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) عرفنا حين وصلهما بالرأس أن المسح على بعضهما ثم فسر ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله للناس فضيعوه، الحديث[٢].

وغير ذلك من استدلالاتهم (عليهم السلام) بالقرآن في موارد كثيرة، وهي متفرقة في أبواب الفقه وغيرها. هذا من جهة فهم الظاهر، فكما تبين من الايات التي ذكرناها وغيرها كثير، ومن خلال الاحاديث وروايات المعصومين عليهم السلام ان التمسك بالظاهر لفهم المراد من الامور البديهية التي لا يخالف فيها الا معاند.

دعوى اختصاص الظاهر بالمشافهين

الكلام في أنّ حجية الظواهر مختصة بمن قصد إفهامه أو تعمّ غيره أيضاً؟، والتفصيل المختار لصاحب القوانين بين المقصود

---

(١) المائدة: ٦.

(٢) الفقيه ١: ٥٦ | ٢١٢ .

بالافهام فالظهور له حجة وبين غيره فلا يكون حجة، حيث قال رحمه الله: (قد ذكرنا تقديم عرف الشارع على غيره وهو فيما خص به مما حصل فيه الحقيقة الشرعية واضح لان تعيينه ووضعه لهذا المعنى الذي أحدثه إنما هو لأجل تفهيم المكلفين المخاطبين فإذا خاطبهم به فلا بد أن يحمل على إرادة هذا المعنى.. الى ان قال: وقد يقع الاشكال فيما لو اختلف عرفه الخاص الذي لا يختص به بل يوافقه طائفة من قومه مع عرف طائفة أخرى منهم كلفظ الرطل الذي اختلف فيه أهل المدينة والعراق فإذا خاطب الإمام عليه السلام مع كونه من أهل المدينة مع من كان من أهل العراق فهل يقدم عرف الراوي أو المروي عنه فيه إشكال والحق الرجوع إلى القرائن الخارجية ومع عدمها التوقف)[١].

وفي موضع آخر من القوانين فقد ذهب المحقق القمي رحمه الله إلى اختصاص حجية الظواهر بمن قصد إفهامه، وعليه رتّب انسداد باب العلم والعلمي في معظم الأحكام، باعتبار أنّ الأخبار المروية عن الأئمة (عليهم السلام) لم يقصد منها إلاّ إفهام خصوص المشافهين، فتختص حجية ظواهرها بهم. فقال: (ثم الظن الحاصل بعد انقطاع سبيل العلم إلى الاحكام في أمثال زماننا كما سنبينه ومن جميع ذلك ظهر أن حجية ظواهر القرآن على وجوه: فبالنسبة إلى بعض الأحوال معلوم

---

(١) قوانين الأصول - الميرزا القمي - الصفحة ٦٠.

الحجية مثل حال المخاطبين بها، وبالنسبة إلى غير المشافهين مظنون الحجية وكونها مظنون الحجية اما بظن آخر علم حجيته بالخصوص كأن نستنبط من دلالة الاخبار وجوب التمسك بها لكل من يفهم منها شيئا، واما بظن لم يعلم حجيته بالخصوص كأن نعتمد على مجرد الظن الحاصل من تلك الظواهر ولو بضميمة أصالة عدم النقل وعدم التخصيص والتقييد وغير ذلك فإن ذلك إنما يثبت حجيته وقت انسداد باب العلم بالأحكام الشرعية وانحصار الامر في الرجوع إلى الظن ولما كان الاخبار أيضا من باب الخطابات الشفاهية فكون دلالتها على حجية الكتاب معلوم الحجية إنما هو للمشافهين بتلك الأخبار وطرو حكمها بالنسبة إلينا أيضا لم يعلم دليل عليه بالخصوص فيدخل حينئذ أيضا في القسم الاخر فليكن على ذكر منك وانتظر لتتمة الكلام)[1].

وقال رحمه الله في تضاعيف باب الاجتهاد في تعليل ما ادّعاه من اختصاص المُسَلَّمْ من الإجماع بمتفاهم المشافهين ـ: (لأنّ مخاطبته كأنّ معهم، والظنّ الحاصل للمخاطبين من جهة أصالة الحقيقة والقرائن الخارجيّة حجّة إجماعا، لأنّ الله تعالى أرسل رسوله وكتابه بلسان قومه، والمراد بلسان القوم هو ما يفهمونه، وكما أنّ الفهم يختلف باختلاف اللسان فكذلك يختلف باختلاف الزمان وإن توافق

---

(١) قوانين الأصول - الميرزا القمي - الصفحة ٤٠٣.

اللسان، فحجيّة متفاهم المتأخّرين عن زمن الخطاب وظنونهم يحتاج إلى دليل آخر غير ما دلّ على حجّية متفاهم المخاطبين المشافهين، لمنع الإجماع عليه بالخصوص)[١].

ظاهر كلامه رحمه الله: من (اختلاف الفهم باختلاف اللسان)، ما هو المعلوم بالضرورة من أنّ الفارسي مثلا لا يفهم من الألفاظ العربيّة بمثابة ما يفهمه العربي، بل بينهما تفاوت واضح في أصل الفهم وكيفيّته ومقداره وكذلك العكس، ومراده من (اختلافه باختلاف الزمان) ما يرشد إليه الضرورة أيضا من أنّ ما يفهمه المتأخّرون عن زمن الخطاب ليس بمثابة ما يفهمه المخاطبون، لتطرّق التغيير إلى الحقائق بالنقل والهجر وإلى المجازات وقرائنها بالوجود والاختفاء أو بالجلاء والخفاء[٢].

وبذلك كلّه ربّما يختلّ فهم المراد، فيفهم المتأخّرون من الخطاب خلاف ما فهمه المخاطبون بزعم أنّه المراد، وليس بمراد في نفس الأمر.

وقال الاخوند صاحب الكفاية رحمه الله: (وإن ذهب بعض الأصحاب إلى عدم حجية ظاهر الكتاب، إما بدعوى اختصاص فهم القرآن ومعرفته بأهله ومن خوطب به، كما يشهد به ما ورد في ردع أبي

---

(١) قوانين الاصول ١: ٣٩٨ و ٢: ١٠٣.

(٢) راجع كتابنا الظفر باصول فقه المظفر: ٥: ١٣٠.

حنيفة وقتادة[١] عن الفتوى به. أو بدعوى أنه لاجل احتوائه على مضامين شامخة ومطالب غامضة عالية، لا يكاد تصل إليه أيدي أفكار أولي الانظار الغير الراسخين العالمين بتأويله، كيف؟ ولا يكاد يصل إلى فهم كلمات الأوائل إلا الأوحدي من الأفاضل، فما ظنك بكلامه تعالى مع اشتماله على علم ما كان وما يكون وحكم كل شئ[٢].

أو بدعوى شمول المتشابه الممنوع عن اتباعه للظاهر، لا أقل من احتمال شموله لتشابه المتشابه وإجماله[٣].

أو بدعوى أنه وإن لم يكن منه ذاتا، إلا أنه صار منه عرضا، للعلم الاجمالي بطروء التخصيص والتقييد والتجوز في غير واحد من ظواهره، كما هو الظاهر.

أو بدعوى شمول الاخبار الناهية عن تفسير القرآن بالرأي، لحمل الكلام الظاهر في معنى على إرادة هذا المعنى[٤])[٥].

---

(١) هو قتادة بن دعامة بن عزيز أبو الخطاب السدوسي البصري، مفسر حافظ ضرير أكمه، قال أحمد بن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة، كان مع علمه بالحديث رأسا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب، وكان يرى القدر وقد يدلس في الحديث، مات بواسط في الطاعون سنة ١١٨ هـ، وهو ابن ست وخمسين سنة. (تذكرة الحفاظ: ١: ١٢٢الرقم ١٠٧).

(٢) حكي عن الأخباريين، راجع فرائد الأصول / ٣٤.

(٣) حكاه في الفرائد: ٣٨، عن الوافية.

(٤) عيون أخبار الرضا: ١ / ٥٩، الباب ١١، الحديث ٤، أمالي الصدوق: ١٥٥ / الحديث ٣، التوحيد: ٩٠٥، الحديث ٥. وما عن تفسير العياشي١: ١٧.

(٥) كفاية الأصول - الآخوند الخراساني - الصفحة ٢٨٢.

واجيب عنه بجوانين احدهما هو يجب ان يكون البحث في امكان نفي الحجية الثابتة لظهور الكلام ببناء العقلاء. وبتعبير آخر، هو ان حجية الظهور مما تبانت عليها اراء العقلاء، والخروج عليه يحتاج الى اقرار منهم بذلك اوحجة شرعية او عقلية، وهو مفقود في المقام.

ولو سلمنا جدلا على ان المشافهين في المحاورات العرفية العقلائية حجية الظهور للكلام ثابتة بحقهم فقط، وغير المشافهين مما يمكن انفكاك حجية الظاهر فلا يكون التكليف ظاهر بحقهم، لكن هذا غير تام بالنسبة الى احكام الله عزوجل في الكتاب والسنة بعد ما قرر في مقاره قاعدة الاشتراك في الاحكام، ولا خصوصية للمشافهين فيها فقط بل هي عامة في حق الجميع بنحو القضية الحقيقية، فكلما دخل منهم من احد سن التكليف وضع عليه تكاليف الدين الحنيف وصار عنها مسؤولا وان بعد عن زمان التشريع والمخاطبة بالتكليف مئات بل آلاف السنين الى ان يرث الارض ومن عليها.. الا ترى قوله صلى الله عليه وآله (حلال محمد حلال الى يوم القيامة وحرامه حرام الى يوم القيامة)..

فانه من المعلوم لنا ان التكاليف التي يتضمنها الذكر الحكيم عامة لجميع المكلفين ولا اختصاص لها بالمشافهين. وبمقتضى عمومها يجب الا تقترن بقرائن تخفى على غير المشافهين. بل لا شك في ان المشافهين ليسوا وحدهم المقصودين بالإفهام بخطابات القرآن

الكريم[١].

ومما يذكر في المقام ان حجّية ظواهر الكتاب، منعها الأخباريون، وما ذكروه في وجه المنع يرجع تارةً إلى منع انعقاد الظهور، من أنّ ألفاظ القرآن من قبيل الرموز، كفواتح السور التي هي كنايات عن أشياء لا يعرفها إلاّ النبي وأوصياؤه المعصومون (عليهم السلام). واُخرى إلى منع حجّية الظهور، من أنّ القرآن مشتمل على معان غامضة ومضامين شامخة، على نحو لا يصل إليه فكر البشر إلاّ من خصهم الله تعالى ووصفهم بالراسخين في العلم، وهم الأئمة المعصومون (عليهم السلام)، ولذا ورد في بعض الروايات أنّه (إنّما يعرف القرآن من خوطب به)[٢].

وهو كما ترى فيه اشارة الى المتشابه، وليس من احد ان يتجرأ على ذلك، وانما يصار فيه الى ما بينه الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله، والاخبار الواصلة عنه من المعصومين عليهم السلام في بيانه وتفسيره.

---

(١) راجع الظفر باصول فقه المظفر حجية ظواهر الكتاب العزيز لآل صبي نجفي: ٥: ١٤١.

(٢) الوسائل ٢٧: ١٨٥ / أبواب صفات القاضي ب ١٣ ح ٢٥.

(٢)ـ معنى الباطن في القران

عرفت ان باطن الشيء خفاياه والوجوه غير الظاهرة، وهو في قبال المعنى الظاهر من اللفظ. والباطِن: اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الذي لا يُحَسّ، وإنّما يُدرَك بآثاره وأفعاله، والذي لا يُعلم كُنْه حقيقته للخلق، والعالم ببواطن الأمور والمطّلع على حقيقة كلّ شيء.

روايات تؤكد ان للقرآن باطن

فقد روي ان للذكر الحكيم نزل بـ(اياك اعني واسمعي ياجارة)، وهذا مثل معروف مشهور بين العرب قديما وحديثا، يضرب لمن يتكلم بكلام ويريد به شيئا غيره، وهو مثل يراد به التعريض بالشيء، يعني ان القران خوطب به الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله، لكن المراد به الامة، مثل ما عاتب الله به نبيه في قوله تعالى: (وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا)[١]، فانه عنى بذلك غيره[٢].

والشيخ الصدوق رحمه الله في الاعتقادات قال: وكل ما كان في القرآن مثل قوله: (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين)[٣].

---

(١) الاسراء: ٧٤.

(٢) انظر: مجمع البحرين: ٣: ٢٦٥.

(٣) الزمر ٣٩: ٦٥.

ومثل قوله تعالى: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)[١].

ومثل قوله تعالى: (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ❖ إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات)[٢].

وما أشبه ذلك، فاعتقدنا فيه أنه نزل على إياك أعني واسمعني يا جارة.

وكل ما كان في القرآن (أو) فصاحبه فيه بالخيار.

وكل ما كان في القرآن: (يا أيها الذين آمنوا) فهو في التوراة: يا أيها المساكين.

وما من آية أولها: (يا أيها الذين آمنوا) إلا ابن أبي طالب قائدها، وأميرها، وشريفها، وأولها.

وما من آية تسوق إلى الجنة إلا وهي في النبي والأئمة عليهم السلام، وفي أشياعهم وأتباعهم.

وما من آية تسوق إلى النار إلا وهي في أعدائهم والمخالفين لهم.

وإن كانت الآيات في ذكر الأولين فإن كل ما كان فيها من خير فهو[٣].

وقد ورد في تفسير العياشي عن عبد الله بن بكير، عن ابي عبد الله

---

(١) الزمر ٣٩: ٦٥.

(٢) لاسراء ١٧: ٧٤، ٧٥.

(٣) انظر: الاعتقادات للشيخ الصدوق، باب الاغتقاد في القران.

عليه السلام قال: نزل القران بإياك اعني واسمعي يا جارة[١].

وايضا مما ورد في ارادة ذات المعنى في نهج البلاغة لامير المؤمنين عليه السلام قال لابن عباس لما بعثه على الخوارج: لا تخاطبهم بالقران، فان القران حمال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسنة، فانهم لن يجدوا عنها محيصا[٢].

وقد روي عن جابر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا جابر ان للقرآن بطنا وللبطن ظهرا ثم قال: يا جابر وليس شئ أبعد من عقول الرجال منه، ان الآية لتنزل أولها في شئ وأوسطها في شئ، وآخرها في شئ، وهو كلام متصل يتصرف على وجوه[٣].

وعن الفضيل بن يسار قال: سئلت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية (ما في القرآن آية الا ولها ظهر وبطن، وما فيه حرف الا وله حد ولكل حد مطلع)[٤].

ما يعنى بقوله لها ظهر وبطن؟ قال: ظهره وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد، يجرى كما يجرى الشمس والقمر، كلما جاء

---

(١) تفسير العياشي: ١: ١٠ ح٤. وورد من طرق غيرنا بنصه في كتاب عصمة الانبياء للفخر الرازي: ١١٢٣.

(٢) نهج البلاغة: ٤٦٥: كتاب: ٧٧. وانظر: فتح القدير للشوكاني: ١: ١٢. وكنز العمال: ١: ٥٥١: ح ٢٤٦٩.

(٣) البرهان ج ١: ٥٥٣. الصافي ج ١: ٥٥٠. .

(٤) البرهان ج ١: ٥٥٦. الوسائل ج ٢ أبواب زكاة الغلات باب ١٤.

منه شئ وقع قال الله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم)، نحن نعلمه[١].

وفي كنز العمال عنه صلى الله عليه وآله: ما انزل الله عزوجل آية الا لها ظهر وبطن، وكل حرف حدّ، وكل حد مطلع[٢]..

وقال الالوسي في تفسيره: ومما يؤيد ان للقران ظاهرا وباطنا، واخرجه ابن ابي حاتم من طريق الضحاك، عن ابن عباس قال: القران ذو شجون وفنون، وظهور وبطون، لا تنقضي عجائبه، ولا تبلغ غايته..

وقال ابن النقيب: ان ظاهرها ما ظهر من معانيها لاهل العلم بالظاهر، وباطنها ما تضمنته من الاسرار التي اطلع الله تعالى عليها ارباب الحقائق.. فلا ينبغي لمن له ادنى مسكة من عقل، بل ادنى ذرة من ايمان، ان ينكر اشتمال القران على بواطن يفيضها المبدأ الفياض على بواطن من شاء من عباده، ويااليت شعري، ماذا يصنع المنكر بقوله تعالى: (وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ)[٣]، وقوله تعالى: (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)[٤]، وبالله تعالى العجب، كيف يقول باحتمال ديوان المتنبي وابياته المعاني الكثيرة، ولا يقول باشتمال قران النبي

---

(١) البحار ج ٢٠: ٢٥. البرهان ج ١: ٥٥٦.

(٢) كنز العمال: ١: ٥٥٠. ح٢٤٦١. وانظر مجمع الزوائد: ٧: ١٥٢.

(٣) الاعراف: ١٤٥.

(٤) الانعام: ٣٨.

صلى الله عليه وآله وآياته - وهو كلام رب العالمين المنزل على خاتم المرسلين - على ما شاء الله تعالى من المعاني المجتجبة وراء سرادقات تلك المعاني[١].

امير المؤمنين عليه السلام أعلم الصحابة

قال الزركشي: وصدر المفسرين من الصحابة هو على بن أبي طالب (عليه السلام)، ثم ابن عباس وهو تجرد لهذا الشان، والمحفوظ عنه اكثر من المحفوظ عن علي (عليه السلام)، الا ان ابن عباس كان قد اخذ عن علي (عليه السلام)[٢].

قال ابن عباس: جل ما تعلمت من التفسير، من على بن أبي طالب وقال: علي علم علما علمه رسول اللّه، ورسول اللّه علمه اللّه، فعلم النبي من علم اللّه، وعلم علي من علم النبي، وعلمي من علم علي (عليه السلام) وما علمي وعلم اصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) في علم علي الا كقطرة في سبعة ابحر وفي حديث آخر: فإذا علمي بالقرآن في علم علي (عليه السلام) كالقرارة في المثعنجر، قال: القرارة: الغدير، والمثعنجر: البحر.

وقال: لقد اعطي على بن أبي طالب (عليه السلام) تسعة اعشار العلم، وايم اللّه لقد شاركهم في العشر العاشر، الأمر الذي احوج الكل

---

(١) تفسير روح المعاني للالوسي ١٣٤٢هـ: ١: ٧ - ٨.

(٢) البرهان، ج٢، ص ١٥٧، والبحار، ج٨٩، ص ١٠٥بيروت.

اليه واستغنى عن الكل، كما قال الخليل.

وقال سعيد بن جبير: كان ابن عباس يقول: إذا جانا الثبت عن علي (عليه السلام) لم نعدل به وفي لفظ ابن الاثير: إذا ثبت لنا الشي عن علي لم نعدل عنه إلى غيره. وقد عرفت ان ما اخذه ابن عباس من التفسير فانما اخذه عن علي (عليه السلام).

وقال سعيد بن المسيب: ما كان احد من الناس يقول سلوني غير على بن أبي طالب قال: كان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها أبوحسن وقد روى البلاذري في الانساب قولة عمر :(لا ابقاني اللّه لمعضلة ليس لهاابوحسن).

وقال أبوالطفيل: كان علي (عليه السلام) يقول: سلوني، سلوني، سلوني عن كتاب اللّه تعالى، فواللّه ما من آية الا وانااعلم انزلت بليل أونهار.

وقال عبد اللّه بن مسعود: ان القرآن انزل على سبعة احرف، ما منها حرف الا وله ظهر وبطن، وان على بن أبي طالب عليه السلام عنده منه الظاهر والباطن[1].

وروى أبو عمرو الزاهد (٣٤٥ - ٢٦١) باسناده إلى علقمة، قال: قال لنا عبد اللّه بن مسعود ذات يوم في حلقته: لوعلمت احدا هو اعلم مني

---

(١) بحار الانوار، ج٨٩، ط بيروت، ص ١٠٥ ١٠٦ عن كتاب سعد السعود للسيد ابن طأووس، ص ٢٨٥.٢٨٦ .

بكتاب اللّه عز وجل، لضربت اليه آباط الابل قال علقمة: فقال رجل من الحلقة:القيت عليا(ع عليه السلام)؟ فقال: نعم، قد لقيته، واخذت عنه، واستفدت منه، وقرات عليه، وكان خير الناس واعلمهم بعد رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) ولقد رايته كان بحرا يسيل سيلا[١].

قال ابن أبي الحديد - بصدد كونه (عليه السلام) مرجع العلوم الإسلامية كلها: ومن العلوم علم تفسير القرآن وعنه اخذ، ومنه فرع وإذا راجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك، لان اكثره عنه وعن عبد اللّه بن عباس وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له وانقطاعه اليه، وانه تلميذه وخريجه وقيل له: اين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط[٢].

واخرج الحاكم باسناده عن رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) قال : علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يرداعلي الحوض.

وقال : انا مدينة العلم وعلي بابها، فمن اراد المدينة فلياتها من بابها[٣].

وعنه عليه السلام قال: سلوني عن كتاب اللّه، فانه ليست آية الا

---

(١) راجع في ذلك: اسد الغابة لابن الاثير، ج٤، ص ٢٢ ٢٣ والاصابة لابن حجر، ج٢،ص ٥٠٩ وحلية الأوليا لابي نعيم، ج١، ص ٦٥ وانساب الاشراف للبلاذري، ج٢، ص ١٠٠، رقم ٢٩.

(٢) سعد السعود للنفوس لابن طاووس٦٦٤هـ، ص ٢٨٥، البحار، ج٨٩، ص ١٠٥.

(٣) المستدرك للحاكم، ج٣، ص ١٢٦ و١٢٤.

وقد عرفت بليل نزلت ام بنهار، في سهل أوجبل. واللّه ما نزلت آية الا وقد علمت فيم انزلت واين نزلت وان ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا سؤولا.

قيل له: عليه السلام ما بالك اكثر اصحاب النبى (عليه السلام) حديثا؟ فقال: لاني كنت إذا سالته انباني، وإذا سكت ابتداني[١].

وفي الكافي: فما نزلت على رسول اللّه آية من القرآن الا اقرانيها واملاها عليَّ، فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها ودعا اللّه ان يعطيني فهمهأ وحفظها فما نسيت آية من كتاب اللّه ولا علما املاه على وكتبته، منذ دعا اللّه لي بما دعا وما ترك شيئا علمه اللّه من حلال ولا حرام، ولا امر ولا نهي كان أويكون، ولا كتاب منزل على احد قبله من طاعة أومعصية، الاعل منيه وحفظته، فلم انس حرفا واحدا ثم وضع يده على صدري ودعا اللّه لي ان يملا قلبي علما وفهما وحكما ونورا فقلت: يا نبى اللّه - بابي انت وامي - منذ دعوت اللّه لي بما دعوت، لم انس شيئا ولم يفتني شي لم اكتبه، افتتخوف على النسيان فيما بعد؟ فقال: لا، لست اتخوف عليك النسيان والجهل[٢].

وفي الخطبة القاصعة - من نهج البلاغة : وقد علمتم موضعي

---

(١) انساب الاشراف للبلاذري، ص ٩٩٩٨، رقم ٢٦ و٢٧ و٢٨.

(٢) الكافي، ج١، ص ٦٤، كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث، رقم١.

من رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وانا ولد، يضمني إلى صدره، ويكنفني إلى فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشي ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل.

ولقد قرن اللّه به (صلى الله عليه وآله)، من لدن ان كان فطيما اعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن اخلاق العالم، ليله ونهاره. ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه، يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علما، ويامرني بالاقتدا به. ولقد كان يجأور في كل سنة بحرا، فاراه ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) وخديجة وانا ثالثهما ارى نور الوحي والرسالة، واشم ريح النبوة.

ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه (صلى الله عليه وآله) فقلت: يا رسول اللّه، ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان ايس من عبادته انك تسمع ما اسمع، وترى ما ارى، الا انك لست بنبى ولكنك لوزير وانك لعلى خير[١].

الصحابي عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه

هو عبد اللّه بن مسعود، من السابقين في الايمان، وأول من جهر بالقرآن بمكة، واسمعه قريشا بعد رسول اللّه (صلى الله عليه وآله)

---

(١) الخطبة، رقم١٩٢، النهج، ج١، ص ٣٩٢ ٣٩٤.

وأوذي في اللّه من اجل ذلك وكان قد اخذه رسول اللّه اليه، فكان يخدمه في اكثر شؤونه، حتى لقد ظن انه من اهل بيت رسول اللّه (صلى الله عليه وآله). هاجر الهجرتين، وصلى إلى القبلتين، وشهد المشاهد كلها مع رسول اللّه. كان من احفظ الناس لكتاب اللّه، وكان رسول اللّه يحب ان يسمع القرآن منه، وكان (صلى الله عليه وآله) يقول : من سره ان يقرا القرآن غضا طريا كما انزل فليقراه على قراة ابن ام عبد.

وكان حريصا على طلب العلم ولا سيما معاني آيات القرآن الكريم، قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات، لم يجأوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن، ومن ثم كان يقول: والذي لا اله غيره، ما نزلت آية من كتاب اللّه الا وانا اعلم فيم نزلت واين نزلت، كما كان شديد الحرص ايضا على بث العلم ونشره بين العباد.

قال مسروق بن الاجدع: كان عبد اللّه يقرا علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها، عامة النهار، وقد اذعن له عامة صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله) بالفضيلة والعلم بالكتاب والسنة[1].

ومن ثم كانت له مكانة سامية في التفسير، وبذلك طار صيته، وعنه في التفسير الشيء الكثير، والطرق اليه متقنة.

قال الخليلي في الارشاد: ولاسماعيل السدي تفسير يورده باسانيد

---

(١) حلية الأولياء، ج١، ص ١٢٤ ١٣٩ واسد الغابة، ج٣، ص ٢٥٦ ٢٦٠ والاستيعاب بهامش الاصابة، ج٢، ص ٣١٦ ٣٢٤ والاصابة، ج٢، ص ٣٦٨.٣٧٠ .

إلى ابن مسعود وابن عباس وروى عن السدي الائمة، مثل الثورى وشعبة، واضاف: ان امثل التفاسير تفسير السدي.

قال جلال الدين السيوطي - تعقيبا على كلام صاحب الارشاد: وتفسير السدي الذي اشار اليه، يورد منه ابن جرير الطبري كثيرا من طريق السدي عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وناس من الصحابة هكذا قال: والحاكم يخرج منه في مستدركه اشيا ويصححه، لكن من طريق مرة عن ابن مسعود، وناس فقط دون الطريق الأول[١]. اي طريق أبي صالح عن ابن عباس.

وكان بعد رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) قد اخذ العلم من امير المؤمنين عليه السلام، وليس من غيره بتاتا .

قال علقمة، قال ابن مسعود ذات يوم، وكنا في حلقته: لوعلمت ان احدا هو اعلم مني بكتاب اللّه عز وجل لضربت اليه آباط الابل قال علقمة: فقال رجل من الحلقة: القيت عليا؟ فقال: نعم، قد لقيته، واخذت عنه، واستفدت منه، وقرات عليه وكان خير الناس واعلمهم بعد رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) ولقد رايته كان بحرا يسيل سيلا[٢].

وعده الخوارزمي وشمس الدين الجزري في اسنى المطالب من رواة حديث الغدير من الصحابة[٣].

---

(١) الاتقان، ج٤، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٢) سعد السعود، ص ٢٨٥ البحار، ج٨٩، ص ١٠٥.

(٣) راجع: الغدير، ج١، ص ٥٣، رقم٧٩.

واخرج جلال الدين السيوطي عنه نزول آية التبليغ سورة المائدة السابعة والستين بشان علي (عليه السلام) يوم الغدير، قال: واخرج ابن مردويه عن ابن مسعود، قال: كنا نقرا على عهد رسول اللّه صلى الله عليه وآله: (يا ايهاالرسول بلغ ما انزل اليك من ربك - ان عليا مولى المؤمنين - وان لم تفعل فما بلغت رسالته، واللّه يعصمك من الناس)[١].

وروى الصدوق أبوجعفر ابن بابويه باسناده إلى زيد بن وهب الجهني أبي سليمان الكوفي[٢]، ان اثني عشر رجلا من صحابة رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) انكروا على أبي بكر تقدمه على علي (عليه السلام) وعدّ منهم: عبد اللّه بن مسعود. وكان هو الذي اشاد بذكر اهل البيت، وبث حديث (الخلفاء اثنا عشر) في الكوفة وما والاها[٣].

قال المرتضى علم الهدى - بشانه: لا خلاف بين الامة في طهارة ابن مسعود وفضله وايمانه، ومدح النبى (صلى الله عليه وآله) له وثنائه

---

(١) الدر المنثور، ج٢، ص ٢٩٨ والالوسي في روح المعاني، ج٦، ص ١٧٢.

(٢) وثقه اصحاب التراجم قال الاعمش: إذا حدثك زيد بن وهب عن احد فكانك سمعته من الذي حدثك عنه اسلم في حياة النبى (صلى الله عليه وآله) وهاجر اليه، فبلغته وفاته في الطريق فهو معدود من كبار التابعين، سكن الكوفة وكان في الجيش الذي مع على (عليه السلام) في حربه الخوارج وهو أول من جمع خطب على (عليه السلام) في الجمع والاعياد وغيرهما توفي سنة ٩٦، وقد عمر طويلا (الخصال، ج٢، ص ٤٦١، باب ١٢).

(٣) راجع: بحار الانوار، ج٣٦ (بيروت) صفحات ٢٢٩و٢٣٠ و٢٣٣ و٢٣٤.

عليه، وانه مات على الحالة المحمودة[١].

وأبي الصلاح الحلبي، عده وابيا من المخصوصين بولاية آل البيت.

وروى بن طأووس عن كتاب أبي عبد اللّه محمد بن علي السراج في تأويل قوله تعالى: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[٢]، بالاسناد إلى عبد اللّه بن مسعود، انه قال: قال النبى صلى الله عليه وآله: يا ابن مسعود، انه قد انزلت علي آية (واتقوا فتنة) وانا مستودعكها، فكن لما اقول لك واعيا وعني له مؤديا، من ظلم عليا مجلسي هذا كمن جحد نبوتي ونبوة من كان قبلي فقال له الرأوي: يا ابا عبدالرحمان، اسمعت هذا من رسول اللّه (صلى الله عليه وآله)؟ قال: نعم قال: فكيف وليت للظالمين؟ قال: لا جرم حلت عقوبة عملي، وذلك اني لم استاذن امامي كما استاذن جندب وعمار وسلمان، وانا استغفر اللّه واتوب اليه [٣].

---

(١) قاموس الرجال للتستري، ج٦، ص ١٣٦، ط١، نقلا عن الشافي.

(٢) الانفال / ٢٥.

(٣) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ص ٣٦، برقم ٢٥ وقاموس الرجال، ج٦، ص ١٤١ ١٤٢.

الفصل الثامن

نفي تحريف الذكر الحكيم

الفصل الثامن

اجمع المسلمون على نفي التحريف وعدم وقوعه في الذكر الحكيم، وأن الذي بين الدفتين والموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي الاعظم صلى الله عليه وآله، وقد صرح بذلك كثير من الاعلام في مدرسة اهل البيت، تبعا لما صح عن روايات المعصومين عليهم السلام. ثم انّ دلالة العقل (السوي)، حاكمة فان كل من تأمّل في الأدلّة وراجع تأريخ اهتمام المسلمين في حياة الرسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم وبعده بضبط القرآن وحفظه ودراسته، يقطع بأنّ سقوط الكلمة الواحدة منه محال. هذا، على أنّ أحداً لم يقل بالزيادة، والقول بنقصانه كما توهّمه بعضهم، لا يمكن الركون إليه، لاسيّما بعد الإلتفات إلى قوله تعالى (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)، وقوله تعالى (وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ)، وقوله تعالى (لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ).. إلى غيرها من الآيات. وبهذا الذي ذكرنا صرّح كبار علماء الإماميّة منذ الطبقات الأُولى، كالشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي والشيخ الطبرسي، وهم جميعاً يعتقدون بما صرّح به رئيس المحدّثين الشيخ الصدوق في كتاب (الإعتقادات) الذي ألّفه قبل أكثر من ألف سنة حيث قال: إعتقادنا أنّ القرآن الذي أنزله اللّه تعالى على نبيّه محمّد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم هو ما بين الدفّتين، وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك.. إلى أن قال رحمه الله: ومن نسب إلينا أنّا نقول أنّه أكثر من ذلك فهو كاذب. وسياتي ان شاء الله بيان اقوالهم رحمهم الله.

يحرفون الكلم عن مواضعه

قال سبحانه: (مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ)[1].

وقيل في تفسير هذه الاية المباركة: ان التحريف هنا مستعمل في الميل عن سواء المعنى وصريحه إلى التأويل الباطل الذي لم يثبت عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله، وهو بلا شك تنكّب عن الصراط، والمصير إلى سوء الفهم أو التضليل، فهو على هذا تحريفُ مراد الله في التوراة إلى تأويلات باطلة، كما يفعل أهل الأهواء واصحاب الراي من المشبهة والمجسمة من المبتدعة في تحريف معاني القرآن بالتأويلات الفاسدة الموافقة لفساد معتقداتهم.

والتحريف عند اهل اللغة ما كان مشتقّاً من (الحرف)، وهو الكلمة والكتابة، فيكون مراداً به تغيير كلمات التوراة وتبديلها بكلمات أخرى لتُوافِق أهواء أهل الشهوات في تأييد ما هم عليه من فاسد الأعمال.

والظاهر أنّ التحريف بمعنييه ارتكبه اليهود في التوراة.

والحق الذي عليه اهل القرن الظاهر من روايات المعصومين عليهم السلام بان المقصود منه هو التحريف الواقع في المعنى.

---

(١) النساء: ٤٦.

وهو ما نقل عن ابن عبّاس أنّ التحريف فساد التأويل ولا يعمد قوم على تغيير كتابهم.

فعلى اعتبار المعنى الاول للتحريف اعني فساد التاويل يكون استعمال (عَن مَّوَاضِعِهِ) مجازاً، لانه تحريف المعاني فلا مجاوزة ولا مواضعَ، واما على المعنى اللغوي المشتق من (الحرف) يكون استعمال (عَن مَّوَاضِعِهِ)حقيقة إذ التحريف حينئذٍ نقل وإزالة.

وقوله تعالى في سورة المائدة: (وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ)[1].

قال سبحانه هنا (مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ)، فما هو الفرق بين قولي الله تعالى: (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ)، و (يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ)؟.

قيل في جواب (ما) هو ان الزيادة الحاصلة في الاخيرة لها مدلولها الالتزامي في افادة معنى ارادة كل ما تحمله الكلمة من معان، لأنّ آية سورة النّساء هو تغيير كلام التّوراة بكلام آخر عن جهل أو قصد أو خطأ في تأويل معاني التّوراة أو في ألفاظها. فكان إبعاداً للكلام عن مواضعه، أي إزالة للكلام الأصلي سواء عوّض بغيره أو لم يعوّض.

وأمّا هاته أبطلوا العمل بكلام ثابتٍ في التّوراة إذْ ألغوا حكم الرّجم الثّابت فيها دون تعويضه بغيره من الكلام، فهذا أشدّ جرأة من

---

(١) المائدة: ٤١.

التَحريف الآخر، فكان قوله تعالى: (مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ)، فكان أبلغَ في تحريف الكلام، لأنّ لفظ (بَعْدِ) يقتضي أنّ مواضع الكلم مستقرّة وأنّه أبطل العمل بها مع بقائها قائمة في كتاب التّوراة. او برفعها منه تماما بعد مواضعته. ومآل الجميع الى المخالفة، والتجرء على الحق والانتصار الى آراء تخدم المنحرفين والمحرفين على ادامة سلطانهم ومما لكهم وحكوماتهم وملوكهم، وهذه هي الاغراض الدنيوية الدنيئة التي تجرء لاجلها، على تحريف الكلم عن مواضعه، وبما انهم لا يمكنهم النيل من كلام الله على الحقيقة، عمدوا الى تحريف المعنى الحقيقي.

ومن مبادئ الذكر الحكيم معالجة أمراض (التدين) المشوب بشائبة التحريف (المعنوي)، فقد افرد مساحةً واسعةً لمشكلة (تحريف الكلم عن مواضعه)، وتحريف الكلم عن مواضعه ليس المقصود به التفسير الشائع عند كثيرين بأن اليهود والنصارى كانوا يبدلون كلمات وأحرف كتبهم، بل إن التحريف كما قال ابن عباس: هو فساد التأويل ولا يعمد قوم على تغيير كتابهم!، وهذا التداعي ليس مختصا باليهود والنصارى فحسب، بل إن كثيرا من اهل الراي والهوى والبدع الضالة المضلة ممن ينتسب الى المسلمين تداعى لهم ما تداعى لليهود في التحريف (المعنوي) للكلم، تثبيتا لملكهم واثباتا لارائهم ومعتقداتهم القائمة على تزييف الحقائق واللهث وراء مصالحهم، فأساءوا تأويل

كثير من النصوص لتتوافق مع معتقداتهم الفاسدة.

ومن التحريف بمعناه اللغوي هو نقل الكلام عن مواضعه الى موضع آخر ضمن الكتاب، وهذا واقع في الكتاب العزيز، وبه صرح الكثير من الصحابة، وتناقلته مصنفات القوم وصحاحاتهم، واشار اليه الاعلام في مدرسة اهل البيت، واشار الى ذلك ممن يعاصرنا السيد الخوئي رحمه الله في تفسير البيان ونقل فيه الاجماع، فقال: معنى التحريف: يطلق لفظ التحريف ويراد منه عدة معان على سبيل الاشتراك، فبعض منها واقع في القرآن باتفاق من المسلمين، وبعض منها لم يقع فيه باتفاق منهم أيضا، وبعض منها وقع الخلاف بينهم. واليك تفصيل ذلك:

الاول: نقل الشئ عن موضعه وتحويله إلى غيره ومنه قوله تعالى: (مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ). ولا خلاف بين المسلمين في وقوع مثل هذا التحريف في كتاب الله فإن كل من فسر القرآن بغير حقيقته، وحمله على غير معناه فقد حرفه. وترى كثيرا من أهل البدع، والمذاهب الفاسدة قد حرفوا القرآن بتأويلهم آياته على آرائهم وأهوائهم. وقد ورد المنع عن التحريف بهذا المعنى، وذم فاعله في عدة من الروايات.

اقول: يتكلم السيد الخوئي رحمه الله عن معنى التحريف الذي هو نقل الشيء عن موضعه، ويشير الى التحريف المعنوي للايات، مع انه يفرق بينهما فهما معنيان لا واحد، فنقل الشيء عن موضعه هو

تغيير مواضع بعض الايات على سبيل التقديم والتاخير، كما هو مقرر في رواياتهم ايضا.

الثاني: «النقص أو الزيادة في الحروف أو في الحركات، مع حفظ القرآن وعدم ضياعه، وإن لم يكن متميزا في الخارج عن غيره ».

والتحريف بهذا المعنى واقع في القرآن قطعا، فقد أثبتنا لك فيما تقدم عدم تواتر القراءات، ومعنى هذا أن القرآن المنزل إنما هو مطابق لاحدى القراءات، وأما غيرها فهو إما زيادة في القرآن وإما نقيصة فيه.

الثالث: «النقص أو الزيادة بكلمة أو كلمتين، مع التحفظ على نفس القرآن المنزل ». والتحريف بهذا المعنى قد وقع في صدر الاسلام، وفي زمان الصحابة قطعا، ويدلنا على ذلك إجماع المسلمين على أن عثمان أحرق جملة من المصاحف وأمر ولاته بحرق كل مصحف غير ما جمعه، وهذا يدل على أن هذه المصاحف كانت مخالفة لما جمعه، وإلا لم يكن هناك سبب موجب لاحراقها، وقد ضبط جماعة من العلماء موارد الاختلاف بين المصاحف، منهم عبد الله ابن أبي دود السجستاني، وقد سمى كتابه هذا بكتاب المصاحف. وعلى ذلك فالتحريف واقع لا محالة إما من عثمان أو من كتاب تلك المصاحف، ولكنا سنبين بعد هذا إن شاء الله تعالى أن ما جمعه عثمان كان هو القرآن المعروف بين المسلمين، الذى تداولوه على النبي . ص . يدا بيد. فالتحريك بالزيادة والنقيصة إنما وقع في تلك المصاحف التي

انقطعت بعد عهد عثمان، وأما القرآن الموجود فليس فيه زيادة ولا نقيصة..

الرابع: التحريف بالزيادة والنقيصة في الاية والسورة مع التحفظ على القرآن المنزل، والتسالم على قراءة النبي صلى الله عليه وآله إياها.

والتحريف بهذا المعنى أيضا واقع في القرآن قطعا. فالبسملة. مثلا . مما تسالم المسلمون على أن النبي (ص) قرأها قبل كل سورة غير سورة التوبة وقد وقع الخلاف في كونها من القرآن بين علماء السنة، فاختار جمع منهم أنها ليست من القرآن، بل ذهبت المالكية إلى كراهة الاتيان بها قبل قراءة الفاتحة في الصلاة المفروضة، إلا إذا نوى به المصلي الخروج من الخلاف، وذهب جماعة اخرى إلى أن البسملة من القرآن.

وأما الشيعة فهم متسالمون على جزئية البسملة من كل سورة غير سورة التوبة، واختار هذا القول جماعة من علماء السنة.. وإذن فالقرآن المنزل من السماء قد وقع فيه التحريف يقينا، بالزيادة أو بالنقيصة.

الخامس: التحريف بالزيادة بمعنى أن بعض المصحف الذي بأيدينا ليس من الكلام المنزل. والتحريف بهذا المعنى باطل بإجماع المسلمين، بل هو مما علم بطلانه بالضرورة.

السادس: التحريف بالنقيصة، بمعنى أن المصحف الذي بأيدينا لا يشتمل على جميع القرآن الذي نزل من السماء، فقد ضاع بعضه

على الناس. والتحريف بهذا المعنى هو الذي وقع فيه الخلاف فأثبته قوم ونفاه آخرون[١].

اين تكمن مشكلة التحريف

يؤكد القرآن بشكل لا لبس فيه أن مشكلة الأمم التي سبقت لم تكن يوماً في قلة النصوص التي تدعو إلى الهدى والنور، بل المشكلة يكمن متعلقها في نفس مواقف تلك الأمم من كتبهم السماوية التي انزلت على انبيائها، وكثيرا ما تجد في الذكر الحكيم ثناء على التوراة، لقوله تعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ)[٢].

والذكر الحكيم يدعو النصارى إلى الاحتكام إلى الإنجيل لقوله تعالى: (وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)[٣].

ويدعو اليهود للاحتكام إلى التوراة لقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ

---

(١) انظر: البيان السيد الخوئي صيانة القران من التحريف: ١: ١٩٧ - ٢٠٠.

(٢) المائدة: ٤٤.

(٣) المائدة: ٤٧.

مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ)[١].

والملاحظ في هذه الآيات أنها دعوة لليهود والنصارى المعاصرين للرسول الاعظم صلى الله عليه وآله بأن يحتكموا إلى شرائعهم، أي أن القرآن يقرّ بشرعية كتبهم حتى بعد نزول القرآن، كما يلاحظ أن مشكلة اليهود لم تكن في تحريف كتابهم، إذ كيف يدعوهم القرآن للاحتكام إلى كتاب محرف!! بل الظاهر انها مشكلة نفسية تمثلت في الإعراض والتولي عن الحق، أي أن المشكلة هي في الموقف من الكتاب المقدس وليس في الكتاب المقدس ذاته.

ومما يؤكد هذا الفهم آية سورة المائدة: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)، ومعنى الكلام: لكل قوم منكم جعلنا طريقا إلى الحق يؤمه، وسبيلا واضحا يعمل به، ويخلص الى شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء من عند الله، فتكون هذه الآية تقريرا لوحدة الهدف التي ارسلت الرسل لاجله، ولحقيقة تعدد الشرائع، وفيها أمر لإبتدار الخيرات، وأي كتاب سماوي لن يخلو من المبادئ الأخلاقية الأساسية، فالتوراة والإنجيل والقرآن كلها تشترك في تحريم الكذب والغدر والإفساد في الأرض

---

(١) آل عمران: ٢٣.

والقتل ودعوة البشر إلى الاستقامة الأخلاقية والإحسان وفعل الخيرات، لكن كثيراً من أتباع هذه الشرائع هم أبعد ما يكونون عن الاستقامة والصلاح، وهو ما يؤكد من جديد أن النصوص مهما بلغت قداستها فهي لن تحمل الإنسان قهراً على الاستقامة ما لم يكن لديه استعداد داخلي، والقرآن يقول: (إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ)[1]، اي أن الله كان قادراً على إجبار الناس على الاستقامة تماماً كما في الفاعل القسري والتسخيري، كجعل حاجاتهم العضوية جبريةً لا يملكون مقاومتها، لكن مقصد الكتب السماوية اختبار الناس وليس إجبارهم.

فيتحصل إن مشكلة البشر ليست في قلة النصوص التي تدعو إلى العدل والخير بل في قابلياتهم الايمانية التي تتعطل، فتصم الآذان وتعمى القلوب عن أعظم الهدايات، وقالوا ما نفقه كثيراً مما تقول..

يتعمق القرآن في النفس البشرية فيتحدث عن الذين ينظرون وهم لا يبصرون وعن الذين يستمعون وهم لا يعقلون: (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ× وَمِنهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُونَ) لقد تعطلت احساساتهم وعقولهم فلم تعد تستقبل انوار الهداية ..

---

(١) الشعراء: ٤.

من يملك الاستعداد القلبي للهداية فسيكفيه القليل من النصوص، وقد كان المؤمنون الأوائل يؤتون الإيمان قبل القرآن، أي أن المعاني التي تتنزل في القرآن قد تحققت فيهم مسبقاً حتى قبل نزول الآيات، أما من وضعوا اصابعهم في آذانهم، وجعلوا على قلبهم اقفالها فلن تكفيه كل الآيات للإيمان: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا)[1].

الخلاصة: ان مشكلة التحريف تكمن في الذين يبحثون عن متشابهات الكتاب ويتركون المحكمات قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ)[2]،

إن الآيات المحكمات هي المعاني المستقرة الثابتة التي لا يختلف فيها الناس، فالعدل والإحسان وفعل الخيرات هذه آيات محكمات يتبعها من صدقت نيته في الهداية، أما الذين في قلوبهم زيغ فهم يظهرون حرصاً على الدين لكنهم بعيدون عن رسالته حين ينشغلون بالجدال في المتشابه ويتركون الآيات المحكمات، فهؤلاء لا يريدون هدايةً إنما

---

(١) الاعراف: ١٤٦.

(٢) آل عمران: ٧.

يريدون الضلال والإضلال.

إن الدعوة إلى عدم التكفير والإحسان والتوقف عن الولوغ بدماء المسلمين احسبه من المحكمات، فهلا هم منتهون؟ نترك هذا الهدف العظيم وننشغل في آيات متشابهات تتناول سياقات استثنائيةً لا يمكن أن تكون أصلاً في الدين والحياة إلا لمن تعمد البحث عن الزيغ وأولئك هم المحرفون للكلم من مواضعه، عن علم وعمد، ابتغاء للفتنة التي فيها ركسوا!.

نسط التلاوة قول بالتحريف

القائلون بنسخ التلاوة يذهبون الى ما حاصله هو ان بعض القرآن قد نسخت تلاوته، وحملوا على ذلك ما ورد في الروايات أنه كان قرآنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ويحسن بنا ان نسرد ما رووا في هذا المضمون.

(١)ـ جاء في صحاح القوم ومسانيدهم ان ابن عباس روى أن عمر قال فيما قال، وهو على المنبر: إن الله بعث محمدا (صلى الله عليه وآله) بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم، فقرأناها، وعقلناها، ووعيناها. فلذا رجم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال.. ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ، من كتاب الله: أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن

آبائكم، أو: إن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم..[١].

(٢)- يذكر السيوطي في الاتقان سبب لعدم كتابة هذه الاية في القران من ابي بكر عندما جاء بها عمر، هو ان عمر ذكر هذه الاية وحده ولم يذكر احد من الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان قد قرأها عليهم[٢]!!.

ومما يذكر ايضا ان آية (الرجم) المزعومة قد رواها عمر بعدة الفاظ مختلفة، ولا نعلم الاختلاف هل هو من المنزِّل او من المبلِّغ او من عمر السامع، ولعلهم يرجعونها الى السبعة احرف التي يقولون بها! ومن الصيغ التي رواها: إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة، نكالا من الله، والله عزيز حكيم.

ومنها: الشيخ والشيخة فارجموهما البتة، بما قضيا من اللذة ومنها إن الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة وكيف كان فليس في القرآن الموجود ما يستفاد منه حكم الرجم.

وهذا صريح منهم بسقوط آية من القرآن لا محالة!!.

(٣)- وفي الاتقان عن ابن عمر قال: ليقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله وما يدريه ما كله؟ قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل قد

---

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٦ وصحيح مسلم ج ٥ ص ١١٦ بلا زيادة ثم إنا . ومسند أحمد ج ١ ص ٤٧.

(٢) انظر: الاتقان للسيوطي: ١: ١١١ و ١٢١.

أخذت منه ما ظهر [١].

(٤)ـ روى في صحيح مسلم عن أبي حرب ابن أبي الاسود عن أبيه. قال: بعث أبو موسى الاشعري إلى قراء أهل البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم، فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب العرب من كان قبلكم، وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فانسيتها، غير أني قد حفظت منها: (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب). وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فانسيتها، غير أني حفظت منها: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، فتكتب شهادة في أعناقكم، فتسألون عنها يوم القيامة)[٢].

(٥)ـ وفي الاتقان وروى عروة بن الزبير عن عائشة قالت: كانت سورة الاحزاب تقرأ في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مئتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر منها إلا ما هو الان [٣].

(٥)ـ وفي منتخب كنز العمال للهندي قال روى زر قال: قال أبي بن كعب يا زر: كأين تقرأ سورة الاحزاب قلت: ثلاث وسبعين آية، قال: إن

---

(١) الاتقان ج ٢ ص ٤٠ . ٤١.

(٢) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٠٠.

(٣) الاتقان ج ٢ ص ٤٠ . ٤١.

كانت لتضاهي سورة البقرة، أو هي أطول من سورة البقرة..[١].

(٦)- وفي صحيح مسلم روى عمرة عن عائشة أنها قالت: كان فيما انزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بـ: خمس معلومات، فتوفي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو فيما يقرأ من القرآن [٢].

(٧)- وفي منتخب كنز العمال للهندي روى ابن أبي داود وابن الانباري عن ابن شهاب قال: بلغنا أنه كان أنزل قرآن كثير، فقتل علماؤه يوم اليمامة، الذين كانوا قد وعوه، ولم يعلم بعدهم ولم يكتب.. [٣].

(٨)- وفي الاتقان عن حميدة بنت أبي يونس قالت: قرأ علي أبي- وهو ابن ثمانين سنة- في مصحف عائشة: إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما، وعلى الذين يصلون الصفوف الاول. قالت: قبل أن يغير عثمان المصاحف[٤].

(٩)- وفي الاتقان للسيوطي روى المسور بن مخرمة. قال: قال عمر لعبد الرحمن بن عوف: ألم تجد فيما انزل علينا. أن جاهدوا كما

---

(١) منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٢ ص ٤٣.

(٢) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٦٧.

(٣) منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٢ ص ٥٠.

(٤) الاتقان ج ٢ ص ٤٠ . ٤١.

جاهدتم أول مرة فإنا لا تجدها قال: اسقطت فيما اسقط من القرآن[١].

(١٠)- وفي الاتقان روى أبو سفيان الكلاعي: أن مسلمة بن مخلد الانصاري قال لهم ذات يوم: أخبروني بآيتين في القرآن لم يكتبا في المصحف، فلم يخبروه، وعندهم أبو الكنود سعد بن مالك، فقال ابن مسلمة، إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا أبشروا أنتم المفلحون. والذين آووهم ونصروهم وجادلوا عنهم القوم الذين غضب الله عليهم أولئك لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون [٢].

(١١)- وفي الاتقان قال: قد نقل بطرق عديدة عن ثبوت سورتي الخقع والحفد في مصحف ابن عباس وأبي بن كعب اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكافرين ملحق[٣].

ان هذه الروايات وغيرها مما قد اثبتوها في صحاحاتهم ومسانيدهم، وان رواتها هم من كبار (الصحابة)، (عمر وابنه وبنته)!! وحسن البصري وغيرهم وقد ابتدعوا لها طريقا لقبولها، وهو ما يسمى بـ(نسخ التلاوة)!!.

---

(١) الاتقان ج ص ٤٢.

(٢) الاتقان ج ص ٤٢.

(٣) الاتقان ج ١ ص ١٢٢ . ٢١٣.

والسؤال الذي اضطربوا في اجابته ومازالوا: من الذي قام بنسخ تلاوة هذه الايات (المزعومة)، على القول بها؟

على زعمهم ان نسخ التلاوة قد حصل بعد وفاة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله. مع انها اخبار آحاد، وقد اجمع علماء مذاهبهم على عدم النسخ بخبر الواحد[١]! بل الشافعي ومن اتبعه على عدم نسخ القران بالسنة المتواترة فضلا عن الاحاد. وهو ظاهر راي ابن حنبل على قول[٢].

ولا تصح نسبة النسخ إلى النبي صلى الله عليه وآله، لعدة اسباب، منها ان هذه الاخبار اخبار آحاد، اكثر ما تفيد على القول بها الظن، وهو لا يعني عن الحق شيئا، ثم ان لسانها صريحا بان النسخ وقع بعد وفاته صلى الله عليه وآله، فلم يبقى الا ان يكون (نسخ التلاوة) قد حصل ممن تربع على عرش البلاد وسائسيها، ومن الذين تصدوا للزعامة بعد النبي صلى الله عليه وآله وهذا يكون عبارة ثانية عن التحريف بعينه!!.

وعليه ان القائل بنسخ التلاوة يكون قد اثبت التحريف بالترادف.. فبدل ان يقول يوجد تحريف، يقول يوجد نسخ تلاوة.. وحيث ان القوم توارثوا التقليد الاعمى في هكذا امور صار الاعم الاغلب الى هذا الراي.

---

(١) الموافقات لابي اسحاق الشاطبي ج ٣ ص ١٠٦ طبعة الرحمانية بمصر.

(٢) الاحكام في اصول الاحكام للامدي ج ٣ ص ٢١٧.

ولا يعلم كيف يسمحون لعقولهم بهذا التواضع ويتبعون في ديانتهم من قضى مع رسول الله صلى الله عليه وآله اكثر من ثمان سنين وفي أخر عمره لا يعلم بأية التيمم، ويفتي الناس في حال جنابتهم بعدم الصلاة!!، او كيف يتبعونه وربات الحجول خير منه في معرفتهن بدين الله، والفرائض، او كيف يتبعونه وقد اخذه الصفق في الاسواق عن تعلم الدين، كما يصف هو نفسه التي هو اعلم بها من غيره، حيث يعرف مقدار علمه وبحبوحة سعته من الدين، ومن شاء فليطلع على صحاحهم واخبارهم عن الرجل، وسواه ممن يتبعونهم وياخذون عنهم دينهم الذي يسائلون عنه وفيه يوم القيامة، الله يفصل بينهم يومالقيامة إن الله على كل شيء شهيد،(فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيَما كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)[1].

اجماع علماء اهل التوحيد على عدم تحريف القران

ومن الأدلّة على عدم نقصان القرآن إجماع العلماء في كل الأزمان كما في كشف الغطاء وفي كلام جماعة من كبار العلماء .

(١)ـ **الشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي (الصدوق)**،(٣٨١هـ) في الاعتقادات قال رحمه الله: اعتقادنا في القرآن أنه كلام الله، ووحيه، وتنزيله، وقوله، وكتابه. وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه القصص الحق، وأنه قول فصل، وما هو بالهزل، وأن الله تعالى

(١) البقرة: ١١٣.

محدثه، ومنزله، وحافظه، وربه.

اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك، ومبلغ سوره عند الناس مائة وأربع عشرة سورة.

وعندنا أن الضحى وألم نشرح سورة واحدة، ولايلاف وألم تر كيف سورة واحدة. ومن نسب إلينا أنا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب.

وما روي من ثواب قراءة كل سورة من القرآن، وثواب من ختم القرآن كله، وجواز قراءة سورتين في ركعة نافلة، والنهي عن القرآن بين سورتين في ركعة فريضة، تصديق لما قلناه في أمر القرآن وأن مبلغه ما في أيدي الناس.

وكذلك ما روي من النهي عن قراءة القرآن كله في ليلة واحدة، وأنه لا يجوز أن يختم في أقل من ثلاثة أيام، تصديق لما قلناه أيضا.

بل نقول: إنه قد نزل الوحي الذي ليس بقرآن، ما لو جمع إلى القرآن لكان مبلغه مقدار سبعة عشر ألف آية.

وذلك مثل قول جبرئيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله تعالى يقول لك: يا محمد، دار خلقي[١].

ومثل قوله: (اتق شحناء الناس وعداوتهم[٢].

---

(١) واه مسندا الكليني في الكافي ٢: ٩٥ باب المداراة ح ٢. وفي ج، وهامش م زيادة مثلما أداري.

(٢) رواه مسندا الكليني في الكافي ٢: ٢٢٨ باب المراء والخصومة ح ٩.

ومثل قوله: (عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه. وشرف المؤمن صلاته بالليل، وعزه كف الأذى عن الناس[١].

ومثل قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ما زال جبرئيل يوصيني بالسواك حتى خفت أن أدرد وأحفر[٢]، وما زال يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه، وما زال يوصيني بالمرأة حتى ظننت أنه لا ينبغي طلاقها، وما زال يوصيني بالمملوك حتى ظننت أنه سيضرب له أجلا يعتق به[٣].

ومثل قول جبرئيل - عليه السلام - للنبي صلى الله عليه وآله وسلم حين فرغ من غزوة الخندق: (يا محمد إن الله يأمرك أن لا تصلي العصر إلا ببني قريظة.

ومثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض[٤].

ومثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن

---

(١) رواه مسندا في أماليه: ١٩٤ المجلس الحادي والأربعين ح ٥، والخصال: ٧ باب الواحد ح ٢٠ باختلاف يسير.

(٢) في بعض النسخ: (حتى ظننت أنه فريضة) مكان (حتى خفت..).

(٣) روى نحوه مسندا في أماليه: ٣٤٩، المجلس السادس والستين ح ١.

(٤) رواه مسندا الكليني في الكافي ٢: ٩٦ باب المداراة ح ٤.

لا نكلم الناس إلا بمقدار عقولهم[١].

ومثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن جبرئيل أتاني من قبل ربي بأمر قرت به عيني، وفرح به صدري وقلبي، يقول: إن عليا أمير المؤمنين، وقائد الغر المحجلين.

ومثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (نزل علي جبرئيل فقال: يا محمد إن الله تعالى قد زوج فاطمة عليا من فوق عرشه، وأشهد على ذلك خيار ملائكته، فزوجها منه في الأرض، وأشهد على ذلك خيار أمتك.

ومثل هذا كثير، كله وحي ليس بقرآن، ولو كان قرآنا لكان مقرونا به، وموصلا إليه غير مفصول عنه كما كان أمير المؤمنين عليه السلام جمعه، فلما جاءهم به قال: (هذا كتاب ربكم كما أنزل على نبيكم، لم يزد فيه حرف، ولم ينقص منه حرف). فقالوا: لاحاجة لنا فيه، عندنا مثل الذي عندك. فانصرف وهو يقول: (فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون[٢].

وقال الصادق عليه السلام: (القرآن واحد، نزل من عند واحد على واحد، وإنما الاختلاف من جهة الرواة[٣].

---

(١) رواه مسندا الكليني في الكافي ١: ١٨ كتاب العقل والجهل ح ١٨، وفي أمالي الصدوق: ٣٤١، المجلس الخامس والستين ح ٦، باختلاف يسير في اللفظ..

(٢) آل عمران: ١٨٧.

(٣) رواه الكليني في الكافي ٢: ٤٦١ باب النوادر ح ١٢ باختلاف يسير. وصيغة ←

(٢)ـ **الشيخ محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد** (٤١٣هـ)، قال رحمه الله: وقد قال جماعة من أهل الإمامة: إنّه لم ينقص من كلمة، ولا من آية، ولا من سورة، ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف أمير المؤمنين عليه السلام من تأويله، وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله، وذلك كان ثابتاً منزلاً وإن لم يكن من جملة كلام اللّه تعالى الذي هو القرآن المعجز.

وعندي أنّ هذا القول أشبه من مقال من ادّعى نقصان كلم من نفس القرآن على الحقيقة دون التأويل، وإليه أميل، واللّه أسأل توفيقه للصواب[١].

(٣)ـ **السيدالشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي** (٤٣٦هـ)، الملقّب بعلم الهدى قال رحمه الله: إنّ العلم بصحّة نقل القرآن كالعلم بالبلدان، والحوادث الكبار، والوقائع العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب المسطورة، فإنّ العناية اشتدّت والدواعي توفّرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حدٍّ لم يبلغه في ما ذكرناه، لأنّ القرآن معجزة النبوّة، ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينيّة، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية، حتى عرفوا كلّ شيء اختلف فيه

→

الحديث في: (أنزل من واحد على واحد، وإنما الاختلاف وقع من جهة الرواية).

(١) أوائل المقالات في المذاهب المختارات: ٥٥ . ٥٦، القول في تأليف القرآن

من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيَّراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد؟!

وقال: «إنّ العلم بتفصيل القرآن وأبعاضه في صحّة نقله كالعلم بجملته، وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورةً من الكتب المصنّفة ككتابي سيبويه والمزني، فإنّ أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلهما ما يعلمونه من جملتهما، حتى لو أنّ مُدخلاً أدخل في كتاب سيبويه باباً في النحو ليس من الكتاب لعُرِف ومُيِّز، وعلم أنّه ملحق وليس من أصل الكتاب، وكذلك القول في كتاب المزني، ومعلوم أنّ العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء».

وقال: «إنّ القرآن كان على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم مجموعاً مؤلّفاً على ما هو عليه الآن.

واستدلّ على ذلك بأنّ القرآن كان يُدرّس ويُحفظ جميعه في ذلك الزمان، حتى عيّن على جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنّه كان يعرض على النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ويُتلى عليه، وأنّ جماعة من الصحابة مثل عبد اللّه بن مسعود وأُبيّ بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم عدّة ختمات.

وكلّ ذلك يدلّ بأدنى تأمّل على أنّه كان مجموعاً مرتّباً غير مبتور ولا مبثوث.

وذكر أنّ من خالف في ذلك من الإماميّة والحشوية لا يعتدّ بخلافهم، فإنّ الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث،

نقلوا أخباراً ضعيفة ظنّوا صحّتها، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحّته[١].

ولقد عرف واشتهر هذا الرأي عن الشريف المرتضى حتّى ذكر ذلك عنه كبار علماء أهل السُنّة، وأضافوا أنّه كان يُكّفِّر من قال بتحريف القرآن، فقد نقل ابن حجر العسقلاني عن ابن حزم قوله فيه: «كان من كبار المعتزلة الدعاة، وكان إمامياً، لكنّه يكفّر من زعم أنّ القرآن بُدّل أو زيد فيه، أو نقص منه قال: وكذا كان صاحباه أبو القاسم الرازي وأبو يعلى الطوسي[٢]. اقول: مع مافيه من خلط، الا ان مقصوده واضح.

(٤)ـ شيخ الطائفة الشيخ محمّد بن الحسن أبو جعفر الطوسي٤٦٠هـ، رحمه الله في مقدّمة تفسيره : في كتابه التبيان في تفسير القران هو على رد كل ما يذكر في تحريف القران، فقال: وأما الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يليق به أيضا، لان الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر أيضا من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا وهو الذي نصره المرتضى (ره)، وهو الظاهر في الروايات، غير أنه رويت روايات كثيره، من جهة الخاصة والعامة، بنقصان كثير من آي القرآن، ونقل شئ منه من موضع إلى موضع، طريقها

---

(١) انظر: مجمع البيان للطبرسي(٥٤٨) ١: ٤٣مقدمة الكتاب، الفن الخامس عن المسائل الطرابلسيات.

(٢) لسان الميزان ٥: ١٨ ـ حرف العين، من اسمه علي.

الآحاد التي لا توجب علما ولا عملا، والأولى الاعراض عنها، وترك التشاغل بها، لأنه يمكن تأويلها، ولو صحت لما كان ذلك طعنا على ما هو موجود بين الدفتين، فان ذلك معلوم صحته، لا يعترضه أحد من الأمة ولا يدفعه ورواياتنا متناصرة بالحث على قراءته والتمسك بما فيه، ورد ما يرد من اختلاف الاخبار في الفروع إليه.

واستدل الشيخ الطوسي رحمه الله على عدم التحريف بما قاله الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله في غدير خم يوم تنصيب امير المؤمنين عليه السلام لخلافته الشرعية، فقال رحمه الله: وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله رواية لا يدفعها أحد، أنه قال: (اني مخلف فيكم الثقلين، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)، وهذا يدل على انه موجود في كل عصر، لأنه لا يجوز ان يأمر بالتمسك بما لا نقدر على التمسك به. كما أن أهل البيت، ومن يجب اتباع قوله حاصل في كل وقت. وإذا كان الموجود بيننا مجمعا على صحته، فينبغي ان نتشاغل بتفسيره، وبيان معانيه ونترك ما سواه، واعلم أن الرواية ظاهرة في اخبار أصحابنا بأن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله، وعن الأئمة عليهم السلام، الذين قولهم حجة كقول النبي صلى الله عليه وآله، وان القول فيه بالرأي لا يجوز .

ثم المح الشيخ رحمه الله الى التحريف المعنوي الذي يتهم صاحبه ومبتدعه بالتحريف فقال: وروى العامة ذلك عن النبي صلى

الله عليه وآله أنه قال: (من فسر القرآن برأيه وأصاب الحق، فقد أخطأ) وكره جماعة من التابعين وفقهاء المدينة القول في القرآن بالرأي: كسعيد بن المسيب وعبيدة السلماني، ونافع، ومحمد بن القاسم، وسالم بن عبد الله، وغيرهم، وروي عن عائشة أنها قالت: لم يكن النبي -صلى الله عليه وآله- يفسر القرآن إلا بعد أن يأتي به جبرائيل (عليه السلام)(١).

ويقول الشيخ الفضل بن الحسن أبو علي الطبرسي، الملقّب بأمين الإسلام . المتوفّى سنة ٥٤٨ ـ ما نصّه: «... ومن ذلك الكلام في زيادة القرآن ونقصانه، فإنّه لا يليق بالتفسير، فأمّا الزيادة فيه فمجمع على بطلانها وأمّا النقصان منه، فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة: إنّ في القرآن تغييراً أو نقصاناً. والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه، وهو الذي نصره المرتضى . قدّس اللّه روحه ـ واستوفى الكلام فيه غاية الإستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات[٢].

(٥)ـ **السيد أبي القاسم علي بن طاووس الحلّي** (٦٦٤هـ)، في مواضع من كتابه القيّم (سعد السعود) منها: أنّه ذكر عن الجبائي أنّه قال في تفسيره: محنة الرافضة على ضعفاء المسلمين أعظم من محنة الزنادقة» ثمّ شرع في بيان ذلك زاعماً أن الرافضة تدّعي نقصان القرآن

---

(١) انظر: مقدمة التبيان في تفسير القران الشيخ الطوسي.

(٢) مجمع البيان ١: ٤٢ . ٤٣، مقدمة الكتاب، الفن الخامس.

وتبديله وتغييره، قال السيد: فيقال له، كلّ ما ذكرته من طعن أو قدح على من تذكر أنّ القرآن وقع فيه تبديل وتغيير فهو متوجّه إلى سيّدك عثمان بن عفان، لأنّ المسلمين أطبقوا أنّه جمع الناس على هذا المصحف الشريف وحرّق ما عداه من المصاحف. فلولا اعتراف عثمان بأنّه وقع تبديل وتغيير من الصحابة ما كان هناك مصحف يحرق وكانت تكون متساوية.

ويقال له: أنت مقرّ بهؤلاء القرّاء السبعة.. فمن ترى ادّعى اختلاف القرآن وتغييره؟ أنتم وسلفكم أو الرافضة. ومن المعلوم من مذهب الذين تسمّيهم رافضة أنّ قولهم واحد في القرآن[١].

ونصّ السيد ابن طاووس في بحث له مع أبي القاسم البلخي حول أنّ البسملة آية من السورة أو لا- حيث اختار البلخي العدم- على أنّ القرآن مصون من الزيادة والنقصان كما يقتضيه العقل والشرع[٢].

واستنكر ما روى أهل العامّة عن عثمان وعائشة من أنّ في القرآن لحناً وخطأً فقال: ألا تعجب من قوم يتركون مثل علي بن أبي طالب أفصح العرب بعد صاحب النبوّة وأعلمهم بالقرآن والسُنّة ويسألون عائشة؟ أمّا يفهم أهل البصائر أنّ هذا لمجرّد الحسد أو لغرض بعيد من صواب الموارد والمصادر.. ولو ظفر اليهود والزنادقة بمسلم يعتقد

---

(١) سعد السعود، الباب ٢ الفصل ١٤٣: ٢٥٥، ما ذكره من تفسير الجبّائي.

(٢) سعد السعود، الباب ٢ الفصل ١٧٣: ٣١٦، ما ذكره من تفسير البلخي.

أنّ في القرآن لحناً جعلوه حجّة[١].

(٦)ـ **العلاّمة الحلّي المتوفّى سنة (٧٢٦ هـ)** قال رحمه الله في اجوبته على المسائل المهناوية: إنّ القول بالتحريف يوجب التطرّق إلى معجزة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المنقولة بالتواتر[٢].

وقال رحمه الله في نهاية الوصول: واتّفقوا على أنّ ما نقل إلينا متواتراً من القرآن، فهو حجة، لأن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كان مكلّفاً بإشاعة ما نزل عليه من حجة القرآن إلى عدد التواتر، ليحصل القطع بنبوّته في أنّه المعجزة له.

وحينئذ لا يمكن التوافق على ما نقل مما سمعوه منه بغير تواتر، وراوي الواحد إن ذكره على أنّه قرآن فهو خطأ، والإجماع دلّ على وجوب إلقائه صلّى الله عليه وآله وسلّم على عدد التواتر، فإنه المعجزة الدالّة على صدقه، فلو لم يبلغه إلى حدّ التواتر انقطعت معجزته، فلا يبقى هناك حجّة على نبوّته[٣].

ويقول العلاّمة في بعض أجوبته حيث سئل عن نقص القران، فأجاب: الحق أنّه لا تبديل ولا تأخير ولا تقديم فيه، وأنّه لم يزد ولم ينقص، ونعوذ باللّه تعالى من أن يعتقد مثل ذلك وأمثال ذلك، فإنّه

---

(١) سعد السعود، الباب ٢ الفصل ٢٦٦: ٤١٧ . ٤١٨ ما ذكره من كتاب ثواب القرآن وفضائله.

(٢) أجوبة المسائل المهناوية: ١٢١.

(٣) نهاية الوصول للعلامة . مبحث التواتر .

يوجب التطرق إلى معجزة الرسول عليه وآله السّلام المنقولة بالتواتر[١].

(٧)ـ **الشيخ زين الدين البياضي العاملي** (٨٧٧هـ)، قال رحمه الله: علم بالضرورة تواتر القرآن بجملته وتفاصيله، وكان التشديد في حفظه أتم، حتى نازعوا في أسماء السّور والتعشيرات. وإنّما اشتغل الأكثر عن حفظه بالتفكر في معانيه وأحكامه، ولو زيد فيه أو نقص لعلمه كلّ عاقل وإنْ لم يحفظه، لمخالفة فصاحته وأُسلوبه[٢].

(٨)ـ **الشيخ محمّد بن الحسين بهاء الدين العاملي**(١٠٣٠هـ)، قال رحمه الله: الصحيح أنّ القرآن العظيم محفوظ عن ذلك، زيادة كان أو نقصاناً، ويدلّ عليه قوله تعالى: (وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ). وما اشتهر بين الناس من إسقاط اسم أمير المؤمنين عليه السلام منه في بعض المواضع مثل قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ -في علي-) وغير ذلك فهو غير معتبر عند العلماء[٣].

(٩)ـ **العلاّمة التوني** (١٠٧١هـ) صاحب كتاب (الوافية في الأُصول)، قال رحمه الله: والمشهور أنّه محفوظ ومضبوط كما أُنزل، لم يتبدّل

---

(١) أجوبة المسائل المهناوية: ١٢١، المسألة ٢٣، لا يجوّز العقل تحريف القرآن الكريم.

(٢) مباحث في علوم القرآن.

(٣) آلاء الرحمن: ٢٦، المقدمة، الفصل ٢ في جمع القرآن.

ولم يتغيّر، حفظه الحكيم الخبير، قال اللّه تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ)[١].

(١٠)ـ **الشيخ محمّد محسن الفيض الكاشاني**(١٠١٩هـ)، قال رحمه الله: معقبا على رواية البزنطي، - دفع إليَّ أبو الحسن عليه السلام مصحفاً وقال: لا تنظر فيه، ففتحته وقرأت فيه: (لَمْ يَكُنِ الَّذينَ كَفَرُوا..) فوجدت فيها اسم سبعين رجلاً- قال الفيض الكاشاني: لعلّ المراد أنّه وجد تلك الأسماء مكتوبة في ذلك المصحف تفسيراً للّذين كفروا والمشركين مأخوذة من الوحي، لا أنّها كانت من أجزاء القرآن، وعليه يحمل ما في الخبرين السابقين.. الى ان قال: وكذلك كلّ ما ورد من هذا القبيل عنهم عليهم السلام، فإنّه كلّه محمول على ما قلناه، وذلك لأنّه لو كان تطرّق التحريف والتغيير في ألفاظ القرآن لم يبق لنا اعتماد على شيء منه، إذ على هذا يحتمل كل آية منه أن تكون محرّفة ومغيّرة، وتكون على خلاف ما أنزله اللّه، فلا يكون القرآن حجّة لنا، وتنتفي فائدته وفائدة الأمر باتّباعه والوصية به، وعرض الأخبار المتعارضة عليه.

ثمّ استشهد رحمه اللّه تعالى ببعض الأخبار[٢].

وفي كتاب (علم اليقين) الذي اشار إليه في (الوافي)، فقد ذكر في

---

(١) الوافية في الأُصول، الفصل الأوّل في الكتاب: ١٤٨.

(٢) الوافي، أبواب القرآن، باب اختلاف القراءات وعدد الآيات ٥: ١٧٧٨.

هذا الكتاب ان المستفاد من كثير من الروايات ان القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما انزل ثم ذكر كلام الشيخ علي بن ابراهيم، وروايتي الكليني عن ابن أبي نصر وسالم بن سلمه، ثم قال: أقول: يرد على هذا كله إشكال وهو أنه على ذلك التقدير لم يبق لنا اعتماد على شيء من القرآن، إذ على هذا يحتمل كل آية منه أن تكون محرّفة ومغيرّة، ويكون على خلاف ما أنزله الله، فلم يبق في القرآن لنا حجة أصلا، فتنتفي فائدته وفائدة الأمر باتّباعه والوصية به، وايضاً قال الله عز وجل: (وَإِنَّه لَكتَابٌ عَزِيزٌ)[1]، وأيضاً قال الله عز وجل: (إنَّا نَحن نَزَّلنَا الذّكرَ)[2]، وأيضاً قد استفاض عن النبي والأئمة حديث عرض الخبر المروي عنهم على كتاب الله.

ثم قال: ويخطر بالبال في دفع هذا الإشكال- والعلم عند الله- أن مرادهم بالتحريف والتغيير والحذف إنما هو من حيث المعنى دون اللفظ، أي: حرّفوه وغيّروه في تفسيره وتأويله، أي: حملوه على خلاف ما هو عليه في نفس الأمر، فمعنى قولهم، كذا انزلت، ان المراد به ذلك لا ما يفهمه الناس من ظاهره، وليس مرادهم أنها نزلت كذلك في اللفظ، فحذف ذلك اخفاء للحق، وإطفاء لنور الله.

ومما يدل على هذا ما رواه في الكافي بإسناده عن أبي جعفر أنه

---

(١) فصلت: ٤١.

(٢) الحجر: ٩.

كتب في رسالته الى سعد الخير: وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرّفوا حدوده[١].

(١١)ـ **الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي**(١١٠٤هـ)، صاحب كتاب وسائل الشيعة المتوفّى قال رحمه الله: إنّ من تتبّع أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، وتصفّح التأريخ والآثار، عَلِم علماً يقينياً أنّ القرآن قد بلغ أعلى درجات التواتر، فقد حفِظه الألوف من الصحابة ونقله الألوف، وكان منذ عهده (صلى الله عليه وآله وسلم) مجموعاً مؤلّفاً[٢].

(١٢)ـ **الشيخ محمّد باقر المجلسي** (١١١٠هـ)، قال رحمه الله: بعد أن أخرج الأحاديث الدالّة على نقصان القرآن كلاماً للشيخ المفيد هذا نصه: فإنْ قال قائل: كيف يصحّ القول بأنّ الذي بين الدفّتين هو كلام اللّه تعالى على الحقيقة من غير زيادة ولا نقصان وأنتم تروون عن الأئمة عليهم السلام أنّهم قرأوا: (كنتم خير أئمّة أُخرجت للناس)، وكذلك: (جعلناكم أئمّة وسطاً)، وقرأوا: (يسئلونك عن الأنفال)، وهذا بخلاف ما في المصحف الذي في أيدي الناس.

قيل له: قد مضى الجواب عن هذا، وهو: إنّ الأخبار التي جاءت بذلك أخبار آحاد لا يقطع على اللّه تعالى بصحّتها، فلذلك وقفنا فيها ولم نعدل عمّا في المصحف الظاهر على ما أُمرنا به حسب ما بيّناه.

---

(١) انظر: علم اليقين ١: ٥٦٢ ـ ٥٦٩. والوافي٢: ٤٧٨.

(٢) آلاء الرحمن ١: ٢٩، المقدمة.

مع أنّه لا ينكر أن تأتي القراءة على وجهين منزلين، أحدهما، ما تضمّنه المصحف، والثاني: ما جاء به الخبر، كما يعترف مخالفونا به من نزول القرآن على وجوه شتى[١].

(١٣)ـ **السيد محمّد مهدي الطبا بائي بحر العلوم**(١٢١٢هـ)، قال رحمه الله: الكتاب هو القرآن الكريم والفرقان العظيم والضياء والنور والمعجز الباقي على مرّ الدهور، وهو الحقّ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من لدن حكيم حميد، أنزله بلسان عربيّ مبين هدىً للمتّقين وبياناً للعالمين.. ـ ثمّ ذكر روايتي: القرآن أربعة أرباع، والقرآن ثلاثة أثلاث.. وقال: والوجه حمل الأثلاث والأرباع على مطلق الأقسام والأنواع وإن اختلف في المقدار[٢].

(١٤)ـ **الشيخ الأكبر الشيخ جعفر كاشف الغطاء**(١٢٢٨هـ)، قال رحمه الله: لا ريب في أنّه محفوظ من النقصان بحفظ الملك الدّيان، كما دلّ عليه صريح القرآن وإجماع العلماء في جميع الأزمان، ولا عبرة بالنادر، وما ورد من أخبار النقيصة تمنع البديهة من العمل بظاهرها، ولاسيّما ما فيه نقص ثلث القرآن أو كثير منه، فإنّه لو كان ذلك لتواتر نقله، لتوفّر الدواعي عليه، ولاتّخذه غير أهل الإسلام من أعظم المطاعن على الإسلام وأهله، ثمّ كيف يكون ذلك وكانوا شديدي المحافظة على ضبط

---

(١) بحار الأنوار، كتاب القرآن، باب ما جاء في كيفيّة جمع القرآن ٨٩: ٧٥.

(٢) الفوائد في علم الأُصول، مبحث حجية الكتاب. مخطوط.

آياته وحروفه؟.. فلابدّ من تأويلها بأحد وجوه[١].

(١٥)ـ **السيد محمّد الطبا بائي**(١٢٤٢هـ)، قال رحمه الله: لا خلاف أنّ كل ما هو من القرآن يجب أن يكون متواتراً في أصله وأجزائه، وأمّا في محلّه ووضعه وترتيبه، فكذلك عند محقّقي أهل السنّة، للقطع بأنّ العادة تقضي بالتواتر في تفاصيل مثله، لأنّ هذا المعجز العظيم الذي هو أصل الدين القويم والصراط المستقيم ممّا توفّر الدواعي على نقل جمله وتفاصيله، فما نقل آحاداً ولم يتواتر يُقطع بأنّه ليس من القرآن قطعاً[٢].

(١٦)ـ **السيد عبد الحسين شرف الدين** (١٢٩٠هـ ـ ١٣٧٧ هـ)، قال رحمه الله في اجوبة مسائل جار الله وفي الفصول المهمة: المسألة الرابعة: نسب إلى الشيعة القول بتحريف القرآن بإسقاط كلمات وآيات..

فأقول: نعوذ باللّه من هذا القول، ونبرأ إلى اللّه تعالى من هذا الجهل، وكلّ من نسب هذا الرأي إلينا جاهل بمذهبنا أو مفتر علينا، فإنّ القرآن العظيم والذكر الحكيم متواتر من طرقنا بجميع آياته وكلماته وسائر حروفه وحركاته وسكناته تواتراً قطعياً عن أئمّة الهدى من أهل البيت عليهم السلام لا يرتاب في ذلك إلاّ معتوه، وأئمّة أهل البيت كلّهم أجمعون رفعوه إلى جدّهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله

---

(١) كشف الغطاء، المبحث ٨ من كتاب القرآن: ٢٩٩.

(٢) مفاتيح الأُصول، مبحث حجية ظواهر الكتاب.

وسلّم عن اللّه تعالى، وهذا أيضاً ممّا لا ريب فيه.

وظواهر القرآن الحكيم فضلاً عن نصوصه أبلغ حجج اللّه تعالى، وأقوى أدلّة أهل الحق بحكم الضرورة الأوليّة من مذهب الإماميّة، وصحاحهم في ذلك متواترة من طريق العترة الطاهرة، ولذلك تراهم يضربون بظواهر الصحاح- المخالفة للقرآن- عرض الجدار ولا يأبهون بها، عملاً بأوامر أئمّتهم عليهم السلام.

وكان القرآن مجموعاً أيام النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم على ما هو عليه الآن من الترتيب والتنسيق في آياته وسوره وسائر كلماته وحروفه، بلا زيادة ولا نقصان، ولا تقديم ولا تأخير، ولا تبديل ولا تغيير.

وصلاة الإماميّة بمجرّدها دليل على ذلك، لأنّهم يوجبون بعد فاتحة الكتاب في كلّ من الركعة الأُولى والركعة الثانية من الفرائض الخمس سورة واحدة تامّة غير الفاتحة من سائر السور، ولا يجوز عندهم التبعيض فيها ولا القِران بين سورتين على الأحوط، وفقههم صريح بذلك، فلولا أنّ سور القرآن بأجمعها كانت زمن النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم على ما هي الآن عليه في الكيفية والكميّة ما تسنّى لهم هذا القول، ولا أمكن أن يقوم لهم عليه دليل.

أجل، إنّ القرآن عندنا كان مجموعاً على عهد الوحي والنبوّة، مؤلّفاً على ما هو عليه الآن، وقد عرضه الصحابة على النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم وتلوه عليه من أوّله إلى آخره، وكان جبرائيل عليه السلام يعارضه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم بالقرآن في كلّ عام مرّة، وقد عارضه

به عام وفاته مرّتين، وهذا كلّه من الأُمور الضرورية لدى المحقّقين من علماء الإمامية، ولا عبرة ببعض الجامدين منهم، كما لا عبرة بالحشويّة من أهل السُنّة القائلين بتحريف القرآن والعياذ باللّه فإنّهم لا يفقهون.

نعم، لا تخلو كتب الشيعة وكتب السُنّة من أحاديث ظاهرة بنقص القرآن، غير أنّها ممّا لا وزن لها عند الأعلام من علمائنا أجمع، لضعف سندها ومعارضتها بما هو أقوى منها سنداً، وأكثر عدداً، وأوضح دلالة، على أنّها من أخبار الآحاد، وخبر الواحد إنّما يكون حجّة إذا اقتضى عملاً، وهذه لا تقتضي ذلك، فلا يرجع بها عن المعلوم المقطوع به، فليضرب بظواهرها عرض الحائط[١].

(١٧)ـ **السيد محمّد حسين الطبا بائي صاحب الميزان**، له رحمه الله بحث في أنّ القرآن مصون عن التحريف» في فصول، أورده في تفسيره القيّم، في ذيل تفسير قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لحافظُونَ)[٢].

(١٨)ـ **السيد الخوئي رحمه الله في البيان**، قال: والحق. بعد هذا كله ان التحريف بالمعنى الذي وقع النزاع فيه غير واقع في القرآن أصلا بالادلة التالية :

---

(١) أجوبة مسائل جار اللّه، المسألة الرابعة: ٢٨ ـ ٣٧، والفصول المهمّة.

(٢) الميزان في تفسير القرآن ١٢: ١٠٦، سورة الحجر، الآية ١ ـ ٩.

الدليل الاول- قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)، فإن في هذه الاية دلالة على حفظ القرآن من التحريف، وأن الايدي الجائرة لن تتمكن من التلاعب فيه.

الدليل الثاني- قوله تعالى: (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)، فقد دلت هذه الاية الكريمة على نفي الباطل بجميع أقسامه عن الكتاب فإن النفي إذا ورد على الطبيعة أفاد العموم، ولا شبهة في أن التحريف من أفراد الباطل، فيجب أن لا يتطرق إلى الكتاب العزيز. انتهى قوله رفع مقامه.

وعلى الجملة، فإنّ الشيعة الإمامية تعتقد بعدم تحريف القرآن، وأنّ الكتاب الموجود بين أيدينا هو جميع ما أنزله اللّه عزّ وجلّ على نبيّنا صلّى اللّه عليه وآله وسلّم من دون أيّ زيادة أو نقصان.

والذين قالوا: حسبنا كتاب الله، وأرادوا أن يعزلوا الأُمّة عن العترة والسنّة، أو يعزلوا السنّة والعترة عن الأُمّة، هم لم يجمعوا القرآن، وتركوا جمعه إلى زمن عثمان، وعثمان قال: إنّ فيه لحناً. وقال آخر: إنّ فيه غلطاً. وقال آخر: إنّ فيه خطأ[1].

وليعلم الجمع ان اقوال علماء المسلمين في مدرسة اهل البيت الايمانية التوحيدية هي تبع لاقوال اهل البيت عليهم السلام، في

---

(١) راجع: الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور ٢ / ٤٧، تفسير الرازي ٢٢ / ٧٤، الاتقان في علوم القرآن ١ / ٣١٦، فتح الباري ٨ / ٣٠١، معالم التنزيل.

رواياتهم واحاديثهم عن جدهم الاعلى صلى الله عليه وآله الذين لا يسبقوه بعمل ولا بقول، وعلَّمهُم صلى الله عليه وآله من العلم الف باب يفتح لهم في كل باب الف الف باب، ورثة الانبياء والشهداء على الناس حجج الله في ارضه وسمائه، لا نسبقهم بقول او عمل ولا نجعلهم وراءنا ظهريا، واعمالنا جميعها بهم عند الله مقبولة ان شاء الله تعالى، لاننا اخذنا عنهم عليهم السلام، فنسال الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم ان يجعل كلمة الذين آمنوا به هي العليا، وكلمة مخالفيهم هي العليا، انه سميع مجيب، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما..

تم وبالخير ختم

الحمد لله الذي اكرمني
باتمام الجزء الاول من كتاب الكليم بمفاهيم الذكر الحكيم،
اللهم ارزقنا بكل حرف من القرآن حلاوة وبكل كلمة
كرامة وبكل أية سعادة وبكل سورة سلامة
وبكل جزء جزاءا. والصلاة والسلام على
حبيب اله العالمين وحبيب قلوبنا
محمد وآله الطاهرين وارزقنا
شفاعتهم جميعا.
اللهم إني أسألك إخبات المخبتين، وإخلاص الموقنين، ومرافقة الأبرار،
واستحقاق حقائق الإيمان، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل
إثم، ورجوت رحمتك والفوز بالجنة والنجاة من النار. وآخر دعوانا أن
الحمد لله رب العالمين

آل صبي نجفي

مراجع كتاب الكليم بمفاهيم الذكر الحكيم

(١) القران الكريم

(٢) نهج البلاغة

(٣) الاعتقادات للشيخ الصدوق

(٤) تصحيح الاعتقادات للشيخ المفيد

(٥) التبيان في تفسير القران للشيخ الطوسي

(٦) الكافي للكليني

(٧) تفسير القمي

(٨) تفسير العياشي

(٩) تفسير الصافي

(١٠) تفسير التبيان للطبرسي

(١١) وسائل الشيعة للحر العاملي

(١٢) صحيح البخاري

(١٣) صحيح مسلم

(١٤) البيان للسيد الخوئي

(١٥) الميزان في تفسير القران للطباطبائي

(١٦) الكشاف للزمخشري

(١٧) الاتقان للسيوطي

(١٨) الإيضاح للقزويني

(١٩) الصناعتين: لأبي هلال العسكري

(٢٠) خصائص الأسلوب في الشوقيات

(٢١) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني

(٢٢) المحاسن للبرقي

(٢٣) التوحيد للصدوق

(٢٤) فتح الباري في شرح صحيح البخاري

(٢٥) السيرة الحلبية للحلبي

(٢٦) تفسير الطبري

(٢٧) كنز العمال للمتقي الهندي

(٢٨) الكناية والتعريض للثعالبي

(٢٩) الدر المنثور في التفسير الماثور

(٣٠) تفسير الرازي

(٣١) معالم التنزيل

(٣٢) لسان العرب لابن منظور

(٣٣) المثل السائر لابن الاثير

فهرس الكليم الكتاب الاول

مقدمة التمهيد ٥

أهمية علوم القرآن..... ٧

تعريف علوم القرآن ١١

شرح تعريف القرآن الكريم..... ١٣

أسماء القران وأوصافه..... ١٤

القرآن كتاب هداية ١٧

دور القرآن في الحياة ٢٢

القرآن معجزة الإسلام الخالدة ٢٣

العترة الطاهرة والقرآن..... ٢٤

وجوه منهج التفسير بالرأي..... ٢٧

من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار..... ٢٨

معنى (الرأي) عند الطباطبائي..... ٣٠

القرآن والوحي الذي انزل به ٣٣

كيف عمل أهل البيت بالقرآن..... ٣٥

الفصل الأول: مفردات قرآنية

الملائكة..... ٤١

مرتبة الملائكة عند ربهم ٤٢

صفات الملائكة الخلقية والخُلقية ٤٣
أعمال الملائكة ٤٦
الوحي في الذكر الحكيم ٥١
الوحي في الاصطلاح القرآني ٥٨
صور الوحي الى الأنبياء ٦١
بدء الوحي في حياته صلى الله عليه وآله ٦٨
قول أهل البيت عليهم السلام في مرحلة الإعداد الإلهي ٧١
كيفية نزول القرآن ٧٥
أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل منه ٧٨
المشركون ونزول الآيات بالتدريج ٧٩
ليلة القدر ونزول الكتب السماوية ٨٣

الفصل الثاني: الاساليب البلاغية في الذكر الحكيم

(١)- اسلوب المَثَل في الذكر الحكيم ٩٠
أنواع الأمثال في القرآن ٩٥
(أ)- الأمثال المصرَّحة في الذكر الحكيم ٩٨
(ب)- الأمثال الكامنة في الذكر الحكيم ١٠٤
(ج)- الأمثال المرسلة في الذكر الحكيم ١٠٦
(٢)- القسم في الذكر الحكيم ١٠٨
(٣)- الحقيقة والمجاز في الذكر الحكيم ١٠٩
أنواع المجازات الواردة في الذكر الحكيم: ١١٠
(٤)- اسلوب الاستعارة البلاغية في الذكر الحكيم ١١٣
(٥)- الكناية في الذكر الحكيم ١١٦
(٦)- اساليب علم البديع في الذكر الحكيم ١٢٠

اسلوب اللف والنشر في الذكر الحكيم ١٣٠
المشاكلة والمزاوجة والمبالغة في الذكر الحكيم ١٣٢
تنوع اللغات العربية في تنزيل الذكر الحكيم ١٤١

الفصل الثالث: الإعجاز التشريعي في القرآن

معنى التشريع في اللغة ١٧٢
معنى الإعجاز التشريعي في الذكر الحكيم ١٧٢
موافقة الذكر الحكيم الفطرة ١٧٩
الإيجاز في آيات الأحكام من الذكر الحكيم ١٨١

الفصل الرابع: أقسام التفسير ومناهجه

تعريف علم التفسير ١٨٩
أنواع التفسير ١٩٠
اقسام القران ستة ١٩٣
مناهج التفسير والمفسرين ١٩٧
معنى التفسير ١٩٩
معنى التأويل ١٩٩
أهلُ البيت وعلومُ الذكر الحكيم ٢٠٤
علوم الكتاب المنزل (التفسير) ٢٠٩
الصحابة والتفسير ٢١٤
الذكر الحكيم اهم مصادر التفسير ٢١٥
أقسام علم التفسير ٢١٩
التفسير التحليلي ٢٣٣
التفسير الإجمالي ٢٣٥

التفسير المقارن ٢٣٦
التفسير الموضوعي ٢٣٧
خصوصية النسق المفهومي القرآني ٢٤٠
دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ٢٤٦
منهج التفسير العقلي والاجتهادي للقرآن ٢٥١

الفصل الخامس: نزول القران على سبعة احرف

اشكالية الاحرف السبعة بين الابتداع والتحريف ٢٦٧
رواية الاحرف السبعة عند العامة ٢٦٧
اقوال العامة في معنى الاحرف السبعة ٢٧٥
روايات العامة للحديث بوجه آخر ٢٨١
ماهو الحق في المقام ٢٨٢
ما ورد في كتاب الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢٨٧
تحقيق الكلام في مدرسة اهل البيت ٣٠٥

الفصل السادس: مفهوم النسخ في القران

طرق معرفة الناسخ والمنسوخ ٣٢٠
أدلة ثبوت النسخ عقلا وشرعاً ٣٢١
أدلة وقوع النسخ سمعاً(شرعا) ٣٢٣
شروط النسخ ٣٢٤
الاستثناء من النسخ في الاحكام ٣٢٩
أنواع النسخ ٣٣٧
الآيات التي اشتهرت بأنها منسوخة ٣٤٠
النسخ في الشرائع وفي الأمم السابقة ٣٥٠

مذاهب منكري النسخ ٣٥١
شبهات العقلية لمنكري للنسخ ٣٥٢
حكمة الله في النسخ ٣٥٥
الفرق بين النسخ والنسئ ٣٥٦
العام والخاص في الذكر الحكيم ٣٥٧
المطلق والمقيد في الذكر الحكيم ٣٦٢
الْمُجْمِلِ وَالمبُيَّنِ، وَالظاَّهِرِ وَالمؤَّولِ، وَالنَّصِ ٣٦٣

الفصل السابع: للقرآن ظاهر وباطن

(١)- معنى كون للقران ظاهر ٣٦٩
(أ)- الادلة من الكتاب العزيز على حجية ظاهر الكتاب ٣٧٤
(ب)- الادلة من السنة المطهرة في الاخذ بظاهر الكتاب ٣٧٥
دعوى اختصاص الظاهر بالمشافهين ٣٧٧
(٢)- معنى الباطن في القران ٣٨٤
امير المؤمنين عليه السلام أعلم الصحابة ٣٨٨
الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ٣٩٢

الفصل الثامن: نفي تحريف الذكر الحكيم

يحرفون الكلم عن مواضعه ٤٠٠
اين تكمن مشكلة التحريف ٤٠٦
نسخ التلاوة قول بالتحريف ٤١٠
اجماع علماء اهل التوحيد على عدم تحريف القران ٤١٦
مراجع كتاب الكليم بمفاهيم الذكر الحكي ٤٣٩
فهرس الكليم الكتاب الاول ٤٤١